الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

العدد ٤٠٣ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ ـ يونيو / يوليو ١٩٩٩ م

دور وسائل الإعلام في تفتح الأبناء

كوسوفا

الهوس الصربي يحرق الأرض ويبيد البشر

مكانة العرب في القرآن

بين التشريف والمسؤولية

النص الثابت والواقع المتغيّر

كيف نوفق بينهما ؟

هديتك مع العدد براعم الإيمان

الأمانة العامة للأوقاف

شارك معنا من خلال

السهم الوقفي

بقيمة

١٠

د.ك

- بـ ١٠ د . ك فقط يكون لديك صدقة جارية الى ما شاء الله.
- احرص معنا على اقتناء سهم وقفي أو أكثر.
- بالانفاق المباشر أو بالاستقطاع الشهري بواسطة البنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذا مات الانسان إنقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له

« رواه مسلم »

للاستفسار :

رقم : (٢٤١-٨٠٠٨) صباحاً

ولخدمة التحصيل السريع

بيجر : (٩٢٥٠-٩٢٥)

السهم الوقفي

صدقة جارية .. لخدمة الدين والمجتمع

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 403 . السنة الخامسة والثلاثون - ربيع الأول 1420 هـ - يونيو / يوليو 1999 م

كلمة العدد

محنة اللاجئين الكوسوفيين

أعزاءنا القراء :

على الرغم من الانفراج النسبي في قضية كوسوفا وقبول الصرب بمطالب حلف الناتو، إلا أن قضية اللاجئين الكوسوفيين وإفرازاتها وأمر عودتهم إلى ديارهم تحتاج بعض الوقت بسبب تشتت وتفرّق اللاجئين في أقطار عدة في آسيا وأميركا وأوروبا، ونأمل أن تتحقق العودة لهم في أقرب وقت ممكن، وفي هذا العدد نسلط الضوء على محنة هؤلاء اللاجئين وما تعرضوا له من ذلّ وهوان على أيدي الصرب المعتدين، وذلك من خلال تحقيق حيّ من داخل خيامهم وأماكن إيوائهم، كما نقدم مزيداً من الموضوعات حول التحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون في عصر العولمة دون أن ينسينا ذلك تسليط الضوء على الجوانب الحضارية المشرقة في تراثنا الإسلامي العظيم في جميع مجالات الحياة، لتكون دافعاً لنا نحو استئناف مسيرتنا الحضارية الزاهرة بعد أن غُيّبت قروناً عدة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت : ٣٥٠ فلسا . السعودية : ٤ ريالات . البحرين : ٣٠٠ فلس . قطر : ٤ ريالات . الإمارات : ٤ دراهم . سلطنة عمان : ٣٠٠ بيسة . الأردن : ٥٠٠ فلس . مصر : جنيه واحد . السودان : ٥ جنيهات . موريتانيا : ١٢٠ أوقية . تونس : دينار واحد . الجزائر : ٥ دنانير . اليمن : ٥ ريالات . لبنان : ١٠٠٠ ليرة . سوريا : ٢٠ ليرة . المغرب : ٦ دراهم . ليبيا : ٥٠٠ مليم . اوروبا : جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الاخرى : دولاران او مايعادلهما .

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس ٢٤٣١٧٤٠(٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 2487210 FAX 965 2431740

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية.
- الدول العربية :
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر، والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت - برقيا نيوزبيبر

في العدد

تحقيقات

كوسوفا .. الهوس الصربي يحرق الأرض .. ويبيد البشر

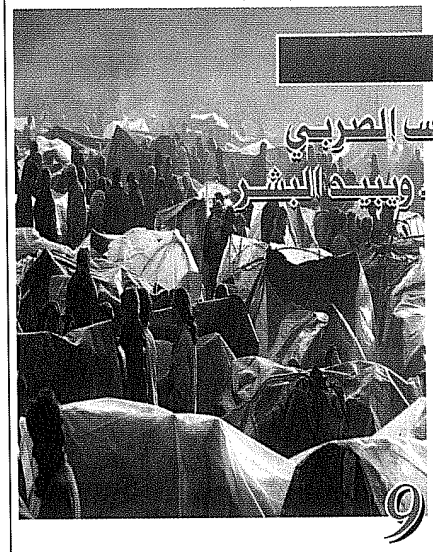

جريمة رهيبة ومذبحة منظّمة تلك التي حدثت لمليوني مسلم واستطاعت في النهاية اقتلاعهم بأساليب تصيب البدن بالقشعريرة والقلب بالأحزان.

9

فكر

64

النص الثابت والواقع المتغير

يتساءل كثير من الكتاب والمفكرين المعاصرين عن كيفية التوفيق بين نصوص ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية وبين واقع متغير، وهل العلاقة بينهما محلولة فيما سبق من تاريخ الاجتهاد؟

إعلام

56

حرية التعبير في منهج الإعلام الإسلامي

الشريعة الإسلامية أعطت الرأي والفكر والقول والتعبير مساحة واسعة من الحرية وفق ضوابط وحدود تكفل تطبيقها ضمن الحلال والمباح.

في الأعداد المقبلة

حوار مع د. محمد علي الجوزو مفتي «جبل لبنان»	د. عماد الدين عثمان
الانقلاب الكوني	د. خالص جلبي
هانتنجتون وقضية التزاوج الحضاري	عطية فتحي الويشي
الدور المتغير للتعليم في المجتمعات العربية	د. مصطفى رجب
الرأي العام وأثره في المجتمع	حيدر قفة
حاجتنا إلى التقريب بين المذاهب الفقهية	محمود النجيري
من أجل رؤية مستقبلية للإعلام	عبدالعزيز انسميرات

الفهرس

٣	كلمة العدد/ محنة اللاجئين الكوسوفيين	التحرير
٥	الافتتاحية/ ذكرى المولد النبوي وعملية الفرز الحضاري	التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	حدث في مثل هذا الشهر	وائل الهنيدي
	تحقيقات/ كوسوفا... الهوس الصربي يحرق	زكريا إبراهيم
٩	الأرض ويبيد البشر	
١٥	قضايا اسلامية / حاجتنا إلى التقريب بين المذاهب الفقهية	محمود النجيري
١٨	مؤتمرات/ الإسلام في عصر العولمة	مصطفى أحمد خليفة
٢٢	حوار/ مع وفد المركز الإسلامي لروسيا	د. عماد الدين عثمان
٢٤	حضارة/ نظام المواصفات والمقاييس في الحضارة الإسلامية	محمد عودة السلمان
٢٦	إنشاء أول أسطول إسلامي في التاريخ	اللواء محمد محفوظ
٢٨	دراسات/ مكانة العرب في القرآن بين التشريف والمسؤولية	د. محمد الزحيلي
٣٢	نظرات في كتاب الله - تفسير سورة الفتح	د. محمد طنطاوي
٣٥	أثر النزعة العلمية على الإيمان بالمعجزات الحسية	أحمد محمد سالم
٣٨	حديث/ تقسيمات الخبر المتواتر بين الأصوليين والمحدثين	محمد باقر خاكوني
٤٢	تربية / العلم والعلماء في الإسلام	د. حسن أبو غدة
٤٤	أدب الفكاهة والضحك	عبدالقادر السباعي
٤٦	لغة/ إشكالية الأسماء العربية وموقف الإسلام منها	نجدت كاظم لاطة
٤٨	تاريخ/ المظالم في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز	محمد حسين هيجل
٥٠	تراجم/ أعلام ومشهورون دفنوا في دمشق	محمد مروان مراد
٥٦	إعلام/ حرية التعبير في منهج الإعلام الإسلامي	عبدالله بدران
٥٨	ظاهرة الاستشراق الصحفي	د. حسن عزوزي
٦٠	فكر/ جذور التطرف وأسبابه	محمد الجاهوش
٦٤	النص الثابت والواقع المتغير وكيف نوفق بينهما	غازي التوبة
٦٦	شعر/ مولد الفجر	منير محمد خلف
٦٨	البيت المسلم/ دور وسائل الإعلام في تفتح الأبناء	عبدالرزاق بن سمعو
٧٠	متى نعوّد الأبناء على الحجاب؟	خالد أحمد الشنتوت
٧٢	لا تبك يا صغيري	غادة عدلي الشافعي
٧٤	يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً !	عابدة المؤيد العظم
٧٦	قصة واقعية - هزة أيقظته	عبدالناصر مغنم
٧٧	وتلك الأيام نداولها	عبدالستار خليف
٧٨	فضل النكاح والترغيب فيه	محمد سلامة جبر
٨٠	الغيرة عند الأطفال	رابعة بركات
٨٢	لماذا تنجو المسلمات من عروق الدوالي؟	محمد رشيد العويد
٨٣	علوم/ كسوف الشمس	د. مجدي يوسف أمين
٨٦	ترجمات/ هل أخطأ الناتو الحساب في كوسوفا؟	عبدالمنعم أحمد
٨٨	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩١	نافذة على العالم	التحرير
٩٤	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٦	فتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى/ المفتونون بأهوائهم	علي مدني الخطيب

ذكرى المولد النبوي... وعملية الفرز الحضاري

الافتتاحية

في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، تمر مناسبة عظيمة على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وهي مولد الحبيب المصطفى ﷺ، سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وميلاده ﷺ ميلاد الخُلق العظيم، ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾، وميلاد المبادئ الإنسانية النبيلة والقيم العظيمة ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾.

لقد استطاع النبي الكريم بالرسالة التي بُعث بها أن يقضي على العصبيات القبلية، والعادات السيئة البالية، والمعتقدات الوثنية، وأن يؤسس خلال فترة وجيزة نواة الدولة المسلمة التي امتدت بعد وفاته لتشمل الجزء الأكبر من أرض المعمورة، بعد أن استجابت لدعوته أمم وشعوب ما كان العقل البشري يتصور مطلقاً أن يوحدها الإسلام في منظومته الحضارية والإنسانية، وأن يفجر فيها الطاقات الكامنة، ويخرجها من الدائرة المغلقة والحلقة المفرغة إلى رحاب الكون الواسع، مستنداً في ذلك إلى منهجه الوسطي القائم على التعادل والتوازن الاجتماعي بين الفرد والمجتمع وبين المادة والروح وبين الدين والدولة وبين الدنيا والآخرة.

ونحن اليوم إذ تمر علينا ذكرى مولد النبي العظيم لمطالبون بالعودة إلى ذلك المنهج الذي جاء به والعودة إلى الله وتجديد الطاعة له سبحانه وتعالى، وإحياء سنة صاحب الذكرى وذلك بإتقان العمل وإحياء قيم التعاون والتكافل والصبر والصدق والأخذ بما صلح به أول هذه الأمة من عوامل القوة والمنعة والنصر والسؤدد وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ الأحزاب:٢١.

إن ما أصاب المسلمين اليوم من ذل وهوان وتفكك وتقاتل، وتبعية اجتماعية واقتصادية وإعلامية وسياسية لمناهج الأعداء وضياع للأرض والمقدسات. على الرغم من وجود بعض النقاط الإيجابية المضيئة. إنما سببه البعد عن منهج النبوة الخالد وخير مثال على هذا الواقع المزري والمتردي ما يتعرض له إخواننا المسلمين في كوسوفا على أيدي المعتدين الصرب، فهو شاهد على حالة الضعف العام الذي أصاب الأمة المسلمة على كثرتها، حيث تقف عاجزة عن إنقاذ الكوسوفيين من جريمة التطهير العرقي والإبادة الجماعية والتهجير القسري، وإن كانت في حقيقتها حرباً صليبية جديدة تستهدف الإنسان المسلم أينما كان على وجه هذه الأرض.

إن القوى الكبرى المهيمنة على العالم اليوم تسعى لدخول القرن الحادي والعشرين برؤية حضارية جديدة يُزاح من منظومتها وبصورة متعمدة الإسلام والمسلمون بكل ثقلهم الحضاري الذي امتد قروناً عدة في عملية فرز حضاري مستندة إلى عناصر المصلحة والقوة والنفوذ، وعلى المسلمين وهم يعيشون ذكرى مولد نبيهم ﷺ أن ينتبهوا لهذه التحولات المرسومة بدقة متناهية، وأن يفهموا ظروف المرحلة الحالية بحساباتها المعقدة، وأن يوحِّدوا صفوفهم وإمكاناتهم حتى يفرضوا وجودهم ومكانتهم في المسيرة الحضارية المعاصرة، ويكونوا عناصر إيجابية فاعلة ينشرون الخير والعدل والحق، ويعيدوا تجربتهم الحضارية ليستظل بظلالها الناس أجمعون.

والله الهادي إلى الحق وسواء السبيل.

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

خير جليس

رغم السيل الإعلامي والثقافي الوافدين إلينا عبر الفضائيات، ورغم برمجة الكتب على الكمبيوتر والديسكات الجاهزة، ورغم ما يقدم من برامج وندوات ومؤتمرات ثقافية عبر الإذاعات وشاشات التلفزة... وأمام هذا الزخم الثقافي الهائل فإن الكتاب لايزال يحتل الصدارة ويتمتع بمكانة مرموقة لدى القراء والمثقفين في عالمنا العربي والإسلامي. ولا يزال الكتاب «خير جليس» لأن القارئ يحسُّ بمتعة لا تُضاهى عندما يبحر في الكتاب ويغوص في أعماقه... يفعل به ويتفاعل معه مشركاً عيونه، وعقله، وجوارحه، وانفعالاته لتشكل وحدة متماسكة بغية استيعاب هذا الكتاب والتقاط دُرره الثمينة.

إن ما يتلقاه المرء من معارف من خلال وسائل الإعلام والندوات الثقافية يبعثُ على الملل والسأم في النفس من جرّاء التركيز والانتباه الطويل والمتابعة، لذا فهو في هذه الحال يكون أقل تفاعلاً وفاعلية، وتكون الأفكار الراسخة بذهنه عن طريق ذاك البرنامج أو تلك الندوة الثقافية أقل بكثير مما يرسخ في وجدانه من المبادئ والقيم التي يستخلصها من الكتاب الذي يقرأه. إن الكتاب لا يزال هو «الأصل» وهو المنهل الرئيسي للثقافة والعلوم والآداب على مرِّ العصور وهذا لا يعني أننا نسفّه دور وسائل الإعلام الحديثة والندوات والمؤتمرات الثقافية في إيصال المعرفة لأن هذه الأخيرة تلعب دوراً إيجابياً وفاعلاً إذ تجاري مقتضيات العصر الحديث والحياة اليومية ومشاغلها، لما توفره من وقت وراحة لذلك الإنسان وخير دليل على أن الكتاب لايزال هو الأصل في تناول المعرفة وارتشاف العلوم ما نلاحظة من إقبال منقطع النظير من مثقفينا على ارتياد المكتبات، وزيارة معارض الكتب التي تقام في كبريات المدن العربية والإسلامية.

ولا يسعنا في نهاية المطاف إلا أن نتوقف عند هذا البيت:

أعزُّ مكان في الدُّنا سرجُ سابح
وخير جليس في الأنام كتابُ

أحمد مسلم وحيد - لبنان

ملاحظات

- لوحظ في الأعداد الأخيرة من مجلة الوعي الإسلامي وبخاصة في باب «البيت المسلم» الاعتماد على صور لأطفال من ذوي الوجوه الأوروبية الغربية. ولا أرى مبرراً لذلك حيث إن وجه الطفل العربي والمسلم يجمع بين الأصالة والجمال تماماً مثل تاريخه. كما أرى أن القضية أعمق بكثير من الجمال الظاهر.

- وفي العدد ٢٧١ من مجلة البراعم ص١٠ في قصة العمالقة حدث تداخل بين قصتي نوح عليه السلام وقصة قوم عاد، فنرجو إعادة قراءة القصة.

هدى حنفي كامل - مصر

المحرر: شكراً على ملاحظاتك الطيبة، وقد أحيلت ملاحظاتك إلى الجهة المختصة لدراستها وتدارك الأخطاء مستقبلاً. أما بخصوص القصة فلا نعتقد أن فيها تداخلا كما ذكرت.

ردود خاصة

- الأخ سهل العود - فرنسا - توفيق هباش - الجزائر - الكشافة الإسلامية - ولاية بشار - الجزائر، فخر الدين بوطو - تايلاند: نأسف لعدم تلبية طلباتكم لظروف خارجة عن إرادتنا، وجزاكم الله كل خير.
- الأخ نور الدين بليبل - الجزائر: شكراً على مبادرتكم الطيبة ونفيدكم علماً بأن إدارة المجلة ليس من اختصاصها توقيع مثل هذه العقود باعتبارها مجلة حكومية وهي تدفع مكافآت مقطوعة لأصحاب المقالات المنشورة فقط.
- الأخ نور شهيد القدسي - إندونيسيا: يمكنك الاتصال بالجمعيات الخيرية المختصة بالأعمال الخيرية وجزاكم الله كل خير.
- الأخ أحمد السيد الشرقاوي - مصر: باب المجلة مفتوح لكل المواد الإعلامية التي تتلاءم ومنهج المجلة أما نظام المراسل الصحافي براتب شهري مقطوع فهو غير معمول به في الوقت الحاضر.
- الأخت ثريا نداوي - المغرب: العناوين المطلوبة غير متوافرة لدينا، يمكنك مراسلة المراكز الإسلامية في فرنسا للحصول عليها.
- الأخ هشام العيساوي - المغرب: المجلة ترحب بأي مادة إعلامية مرسلة إليها وفي حال اجازتها هيئة التحرير للنشر تدفع لكاتبها مكافأة مقطوعة - وفق القواعد والأسس المتبعة في المجلة.

فلسطين / كوسوفا

طريق البوسنة والهرسك مجرد تساؤلات وملاحظات :

إذا كان هجوم حلف شمال الأطلسي على يوغسلافيا قد أثبت شيئاً جديداً، فهو أن الأمم المتحدة لم يعد لها أي شأن حتى دورها السياسي ذهب إلى غير رجعة وأصبحت «خيال مآتة» وهي للعرب في كل الأحوال - لم تكن إلا أثراً بعد عين - وما يحدث حالياً في كوسوفا يفضح القانون الدولي غير الإنساني - فتقوم المظاهرات في إيطاليا وروسيا واليونان - اعتراضاً على ضرب يوغسلافيا لا لإيقاف التصفية العرقية لألبان كوسوفا.

هل هذا القصف الجوي والصاروخي مؤثر بالدرجة التي تجعل جزار يوغسلافيا «ميلوسيفتيش» يتراجع عن تقطيع وتشفية ذبيحته المسكينة التي لا حول لها ولا قوة؟... أم أن هذا الضرب يشبه «ضرب الغوازي» أي أنه هين لين حنون يستهدف فقط الدعاية و«البروباجندا» بدليل أن كل ما دمر عبارة عن مبان عدة، وكوبري، وما يُقال إنه مصنع للطائرات المدنية ومبنى إداري للشرطة الصربية في كوسوفا، ومبنى وزارة الداخلية اليوغسلافية، أهداف غير مؤثرة ولا تعرقل المجهود الرئيسي للقوات العسكرية الصربية.

عندما رأتنا المنظمات الدولية المختلفة لا نفعل شيئاً، أصبح ما تفعله منظمات حقوق الإنسان والإغاثة هو إعداد قوائم الضحايا وتجهيز الخيام للمطرودين المقهورين وإلقاء بعض الأطعمة والأدوية لهم... ودمتم... «وزغردي يا شرعية دولية»، زغرودة طويلة ممتدة من فلسطين إلى كوسوفا، والرسالة واضحة لكل من يستشير نفسه ويقل عقله ويعمل عملهم «يا عرب: الخيمة موجودة».

ما تفعله روسيا من إمداد الصرب بالمعلومات والمعدات العسكرية وصواريخ وأجهزة الدفاع الجوي قبل بداية هجوم «الناتو» بيومين يشير إلى أن هذه الدولة لم تع جيداً الدرس الإلهي لها عندما تفككت وانقسمت إلى دويلات عدة!!

ويشير كذلك إلى تواطؤ روسي يوناني صربي لتطهير يوغسلافيا من المسلمين.

بل يشير إلى شبهة تواطؤ بين «الناتو» والصرب للإسراع بالإجهاز على مسلمي كوسوفا فأغلب القصف الجوي يتم على أراضي كوسوفا نفسها، مما يجعل الصربيين يندفعون إلى الإمام أكثر فأكثر ليزدادو قتلاً وتحريقاً للقرى المسلمة وأسروا ٢٠ ألفاً لاستخدامهم كدروع بشرية عند اللزوم، ودفعوا أكثر من مليون آخرين للهجرة إلى الدول المجاورة في أكبر كارثة نزوح جماعي في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، وتواطؤ وشبهة تواطؤ يذكرنا بلعبة الأطفال «العسكر والحرامية».

منذ سنوات قليلة أطلق «أحمد بهاء الدين» كارثة العصر على هجرة اليهود السوفييت إلى إسرائيل، فماذا نُطلق على ما يحدث في كوسوفا اليوم؟

نكبة... كما أطلقنا على احتلال فلسطين وضياعها!! أم نكسة... كما أطلقنا على احتلال إسرائيل في ٥ يونيو ٦٧ لأراضي ثلاث دول تمثل أربعة أضعاف مساحته الأصلية!!

هل عقدنا يا سادة معاهدة أبدية مع هذه الأحرف التي تُفيد الهزيمة والمرارة؟

وهل نتذكر كلنا ما صرحنا به في أثناء مأساة «البوسنة والهرسك» من أن الدور على «كوسوفا» لقد صدق حدسنا وتوقعاتنا... وكما تعلمنا صغاراً: «إنما أُكلت يوم أُكل الثور الأحمر». يا سادة... كفانا تعاطياً مع الشرعية الدولية التي غيبت وعينا وجعلتنا من المدمنين الصادقين.

محمد عبدالعزيز محمود

طريق الخلاص

الدين عقيدة، والدين سلوك، والدين عمل وإنتاج، والدين تفوق في كل مجالات الإبداع الإنساني في عمارة الكون، كما هو تفوق في الامتثال للأوامر والنواهي الربانية لكن!! لو عرجنا إلى بعض الأوامر الإلهية... لوجدنا بوناً شاسعاً، وهوة سحيقة بين النظرية والتطبيق في عالم اليوم، وأسوأ من ذلك: ضعف المسلمين ولنستمع إلى صاحب كتاب «إلى الإسلام من جديد» وهو يصف لنا حال بعض المسلمين اليوم: - سعي وراء المادة في غير اقتصاد، واكتساب من غير احتساب، وسهر في غير طاعة، وعمل في غير نية، وتجارة في لهو عن ذكر الله، وحرفة في جهل عن دين الله، ووظيفة في الإخلاص لغير الله، وشغل في ضلالة، وقعود في بطالة، وحياة في غفلة وجهالة.

ولكن بالرغم من كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فإنهم الأمة الوحيدة على وجه الأرض، التي تعيد خصيم الأمم الغربية وغريمتها ومنافستها في قيادة الأمم، ومزاحمتها في وضع العالم، والتي يعزم عليها دينها أن تراقب سير العالم وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعاتها، وأن تقودها إلى الفضيلة والتقوى، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من القوة، والتي يحرم عليها دينها ويأبى وضعها وفطرتها أن تتحول إلى أمة جاهلية.

هذه هي الأمة التي يمكن أن تعود في حين من الأحيان خطراً على النظام الذي بسطته أوروبا في الشرق والغرب، وأن تحبط مساعيها، فلينهض إذن العالم الإسلامي برسالته التي وكلها إليه مؤسسه ﷺ.

وهي رسالة قوية واضحة مشرقة، لم يعرف العالم رسالة أعدل ولا أفضل ولا أيمن منها للبشرية، وأن يؤمن بها، وأن يستميت في سبيلها.

محمد عباس محمد عرابي مصر

بقلم: وائل أحمد الهندي

ربيع الأول

نقف في هذا الشهر مع الحدث الذي تمم أجمل صور العبودية لله في النسق الإنساني من لدن آدم عليه السلام حتى آخر من تصعقهم نفخة الصور إيذاناً ببدء الحساب.

خلق الله السموات والأرض، وتتابع على خلقها الملايين من السنين، ولم تكن هذه الأحقاب الطويلة التعاقب إلا لتؤهل الأرض لسكن الإنسان عليها... الإنسان، ذلك المخلوق الذي خلقه الله في أحسن تقويم، فكان أحسن وأجمل خلق الله، واختاره الله على جميع خلقه، اصطفاءً ثم اصطفى من البشر كلهم محمداً بن عبدالله رسول الله ﷺ، الذي ولد في مثل هذا الشهر عام الفيل سنة أربعين قبل البعثة المشرفة، ما يوافق ٥٧١/٤/٢٢م.

إن البيئة التي ألفت عبادة الأوثان والتقرب إليها من دون الله، والتي ذاقت صنوفاً من الظلم يأنف منها المنصفون العاقلون، قد أثمرت في تلك الحقبة إبطانَ الرفض والتمرد الصامت الذي لا يعرف من أين يبدأ ولا من أي جهة يتدارك سقطات هذا الظلم، فجاءت البشارات متتالية تمهد لرسول الله ﷺ مهمته الكبرى رسولاً ونبياً.

في يوم الاثنين - الثاني عشر من ربيع الأول - ملأ النور أرجاء الأرض، إذ وُلِدَ رسول الله ﷺ: معتمداً على يديه رافعاً بصره إلى السماء.(١) على غير الهيئة التي يولد عليها البشر، وما أن بلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً حتى عرف بين الناس بالصادق الأمين، وببلوغه سن الأربعين كان قد تم تهييئ الناس لقبول فيض النور الإلهي، فنزلت الآيات تبهر كل من سمعها، بجرس لم يسبق أن عُرف، وقوة الحق الذي يدمغ الباطل بأيسر وأوضح عبارة، فعرفوه بعد أن تعرف إليهم، فصغت له قلوبهم، واقشعرت لقولهس جلودهم، فغسل عن قلوبهم درة الجهل، وملأ الإيمان قلوباً طالما أخذتها الحيرة من غياب نهج الله عنها، فانقادت له ثابتة القلب، راسخة الإيمان، تتحمل في سبيل الله أقسى العذاب حتى هاجروا بعد أن ضاقت بلادهم عن دعوتهم وأصبحوا في نعيم الإيمان بالله من الاستسلام له - إخوة، متحابين، متكافلين، ينهلون من كتاب الله ويَعِلُّون من هدي نبيه ﷺ، وهو بينهم يعلّم جاهلهم ويبصر عالمهم، يمسح بيده الشريفة رأس الصغير، ويعين الضعيف، ويقري الضيف ويعطي السائل، إذا تبسم تهلّل وجهه كالقمر ليلة البدر، وإذا فرح غضّ بصره، وإذا غضب لم يقم لغضبه شيء، يمزح فلا يقول إلا حقاً ويخبر فلا يقول إلا صدقاً، حتى ملأ نفوس أصحابه حباً له وتفانياً في خدمته، يتسابقون القطرة تنسلُّ من ماء وضوئه حتى لا تسقط إلا في يد أحدهم، يجوعون فيكون أشدهم جوعاً، ويعملون فيكون أكثرهم عملاً... وما زال الصحابة رضوان الله عليهم يتعلقون برسول الله ﷺ - حباً وإجلالاً حتى دخل ذات يوم من أواخر صفر على زوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فوجدها تقول: وا رأساه. فقال لها: بل أنا والله يا عائشة وا رأساه.(٢)، وبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبض فيه، فكانت حمَّى شديدة تنتابه.

ولما دخل شهر ربيع الأول من العام العاشر من الهجرة كان قد اشتد الوجع برسول الله ﷺ، كلما أراد أن يخرج إلى الناس أغمي عليه، فقال: «أهريقوا عليَّ من سبع قُرب لم تُحلل أوكيتهنَّ لعلّي أعهدُ إلى الناس» قالت عائشة: فأجلسناه في مخضب ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يُشيرُ إلينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم، خرج عاصباً رأسه فجلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم، ثم قال: «عبدٌ خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر رضي الله عنه، إذ علم أن العبد المخيَّر هو رسول الله ﷺ - فقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله.

ولم يعد رسول الله ﷺ يطيق الخروج إلى الصلاة، فقال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس» فصلى أبو بكر بالناس ثلاثة أيام على حياة رسول الله ﷺ.

ويوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام العاشر من الهجرة، عندما كان يصلي أبو بكر رضي الله عنه بالناس صلاة الفجر، إذ ارتفع الستر المضروب على حجرة عائشة رضي الله عنها، ونظر رسول الله ﷺ إلى الصحابة مبتسماً يضحك، فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبه ليصل الصف، وقد امتلأت روحه فرحاً برسول الله - ﷺ - أن يصلي بالناس فأشار إليه النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم، ودخل ﷺ حجرة عائشة وأرخى الستر(٣). وظن الناس أن رسول الله ﷺ قد نشط فسكنت نفوسهم واطمأنت، ولكن تبين بعدها بسويعات أنها كانت نظرة مودِّع لم ير أمته - في آخر لحظة رآها فيها - إلا وهم وقوف بين يدي الله، ففاض البشر في نفسه وملأ الرضا قلبه فاترسم على وجهه الشريف تبسُّمٌ مشرق ونور فياض، ثم عاد إلى حجر عائشة وأسند رأسه إلى صدرها وجعل يدخل يده في ركوة بين يديه فيها ماء، ويمسح على وجهه الشريف ويقول: «لا إله إلا الله... إن للموت سكرات»(٤)، ودخلت عليه سيدة نساء أهل الجنة فاطمة ابنته - ولم يكن قد بقي من ذريته غيرها - فقالت: وا كرب أباه... فيردُّ عليها بلغة الواثق من إكرام الله له: «ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم»(٥)، ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبض ومالت يده.

وأغمض عينيه بعد أن أكمل الله دينه وأتم نعمته على البشرية جمعاء، أغمض عينيه فأظلمت المدينة التي أشرقت يوم قدومه الذي كان في الثاني عشر من ربيع الأول أيضاً، ولكن شتان بين هذين اليومين، يوم يستقبل الناس فيه نبيهم بالفرح والبشر، ويومٌ يودِّعُ الناس فيه نبيهم بعبرات تغصُّ بها حناجرهم وتدمع عيونهم، وهم يتذكرون وقوف نبيهم معلماً وهادياً يتتبع ما يصلحهم لأمر دينهم فيكون أسبقهم إليه، يتذكرون يوم أن كان يحمل اللَّبِنَ على كتفه الشريفة يبني معهم مسجده في المدينة، ويتذكرون حين سمعوا جلبة في إحدى الليالي فرأوه عائداً من قِبَلِ الصوت على فرس عُرْيٍ يشير إليهم بيده الشريفة أن قد كفيتم، يشتاقونَ إلي فلا تسكن نفوسهم حتى يرونه، ويخشون فراقه، ويشكون إليه: إنك بيننا الآن، فكيف بنا إن اشتقنا إليك وأنت في الجنة مع الرفيق الأعلى؟! فيجيبهم ماسحاً غمَّهم: «المرء مع من أحب».. اللهم إنَّا نحب نبيك وودنا لو أنَّا نراه بأموالنا وأولادنا فلا تحرمنا - ربنا - رؤيته، واجعلنا معه في الرفيق الأعلى، بمنك وفضلك وكرمك. نشهد أنك يا رسول الله قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة وجاهدت في الله حق جهاده حتى تركتنا على المَحجة البيضاء.

صلِّ اللهم وسلم وزد وبارك وأنعم على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبدالله الصادق الأمين، عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك. ■

الهوامش:

١- رواه ابن إسحاق وابن سعد في طبقاته.
٢- رواه البخاري ومسلم.
٣- رواه الشيخان.
٤ - ٥ - رواهما البخاري.

تحقيقات

أجراه : زكريا إبراهيم

مسلمو الإقليم الجريح بين التصفية والإبادة وامتهان الكرامة

كوسوفا: الهوس الصربي يحرق الأرض ... ويبيد البشر

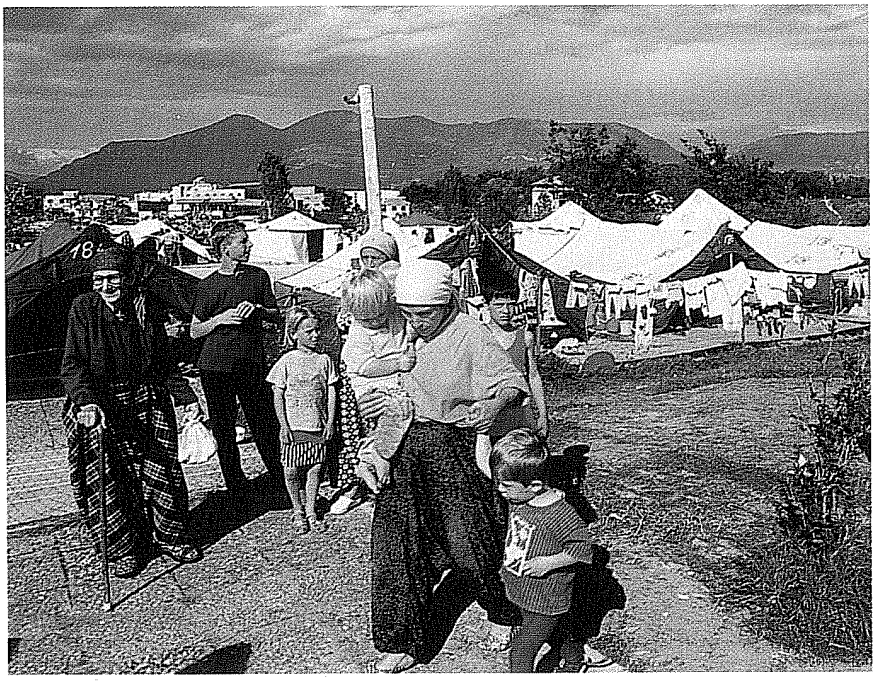

● معاناة لا توصف داخل المخيمات

توقف إبراهيم (٧٠ سنة) عن مضغ بضع لقيمات من الجبن والبصل كان يتناولها داخل المخيم الصغير الذي يضمه وعدداً من الأطفال والنساء في مدينة «الباسان» الألبانية، قبل أن يضع يده على رأس حفيده ويقسم أنه يشعر بطعم المرارة مع كل لقمة يزدردها، وإن روحه تكاد تنسل من جسده.

أشار إبراهيم إلى حفيده المنكمش بجواره وقال: «إن ولدي غائب ولا أعرف مصيره».

وحال إبراهيم ليست هي الوحيدة، فكل الذين هربوا من الجحيم الصربي في كوسوفا، واستطاعوا الوصول إلى مخيمات اللاجئين في ألبانيا لديهم قصص تبدو في معظمها متشابهة، خصوصاً تلك التي تدور حول فقدان الأبناء والأشقاء والأهالي إلى درجة أن العثور على أسرة خرجت بأكملها والتأم شملها يكاد يكون أمراً مستحيلاً في ظل موجة من العنف الصربي الممتزج بأحقاد تاريخية ضد كل من ينتمي إلى العرق الألباني المسلم الذي ظل يشكل أغلبية السكان في إقليم كوسوفا حتى بدأت جريمة التطهير العرقي وما رافقها من ممارسات شديدة الوحشية نجحت أخيراً من إفراغ الإقليم من سكانه بالطرد والإبادة أو باستخدامهم دروعاً بشرية.

جريمة رهيبة ومذبحة منظّمة تلك التي حدثت لمليوني مسلم واستطاعت في النهاية اقتلاعهم بأساليب تصيب البدن بالقشعريرة والقلب بالأحزان.

انكسار البشر

عندما وصلت «ناديا» إلى مدينة «كوكس» الحدودية الألبانية، التف حولها الصحافيون، كانت «ناديا» غائرة العينين، يبدو الإجهاد واضحاً على وجهها، تبحث عن ماء تروي به عطشاً كاد يقتلها بعد مسيرة أيام عدة هرباً من الجحيم الصربي

ناولها أحد الصحافيين الماء، لكنها لم تكن في حال تسمح لها بالكلام، حاولت تجنب ذلك، لكن لا فائدة أمام إلحاح الذين يطاردون الخبر، تحدثت عن قريتها (Korishe) الواقعة في محافظة (Prizren) الكوسوفية، وكيف قام الجنود الصرب بجمع الأهالي في ساحة تلك القرية، ثم قاموا بفصل النساء عن

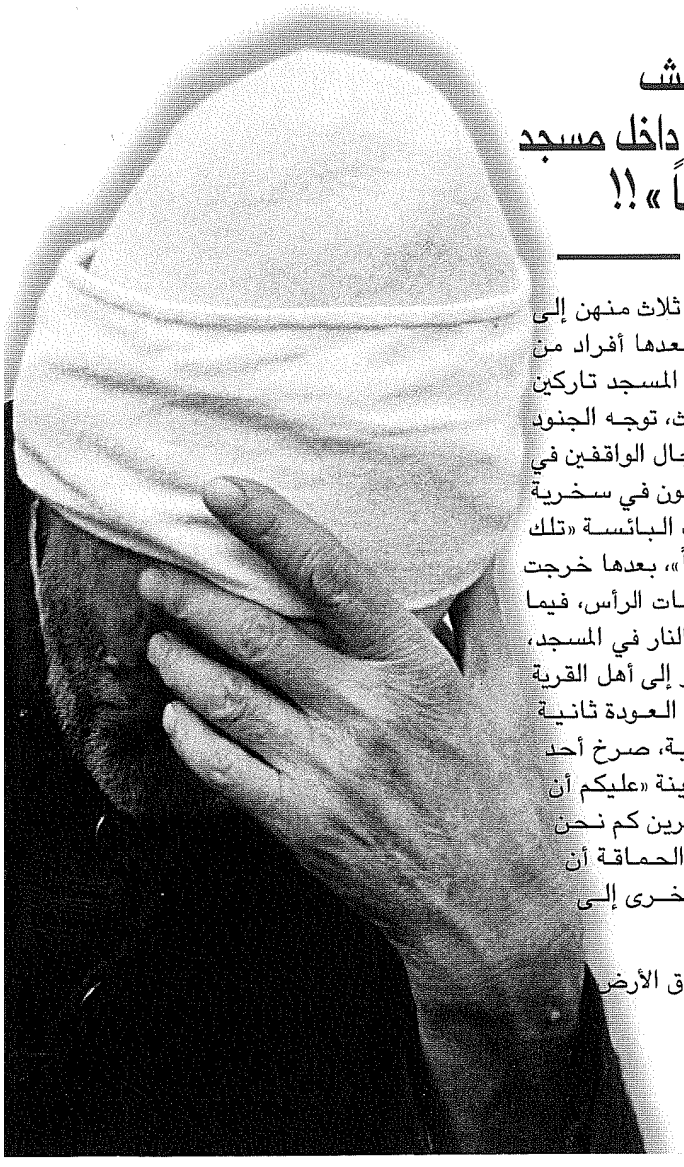

جنود ميلوسوفيتش اغتصبوا الفتيات داخل مسجد حتى يلدن «صرباً»!!

أزواجهن، وكيف أدخلوا ثلاث منهن إلى المسجد القريب، وخرج بعدها أفراد من الجنود الصرب من داخل المسجد تاركين في داخله الفتيات الثلاث، توجه الجنود إلى صفوف النساء والرجال الواقفين في الساحة وأخذوا يضحكون في سخرية قائلين لأفراد الصفوف البائسة «تلك الفتيات سوف يلدن صرباً»، بعدها خرجت الفتيات منكسرات، منكسات الرأس، فيما قام جنود آخرين بإشعال النار في المسجد، قبل أن يتم إصدار الأوامر إلى أهل القرية بالرحيل بعيداً، وعدم العودة ثانية «لتدنيس» الأرض الصربية، صرخ أحد الجنود في الجموع الحزينة «عليكم أن تخرجوا لتقولوا للآخرين كم نحن أقوياء، وكم سيكون من الحماقة أن يعود أي منكم مرة أخرى إلى أرضنا».

الهوس الصربي بإحراق الأرض

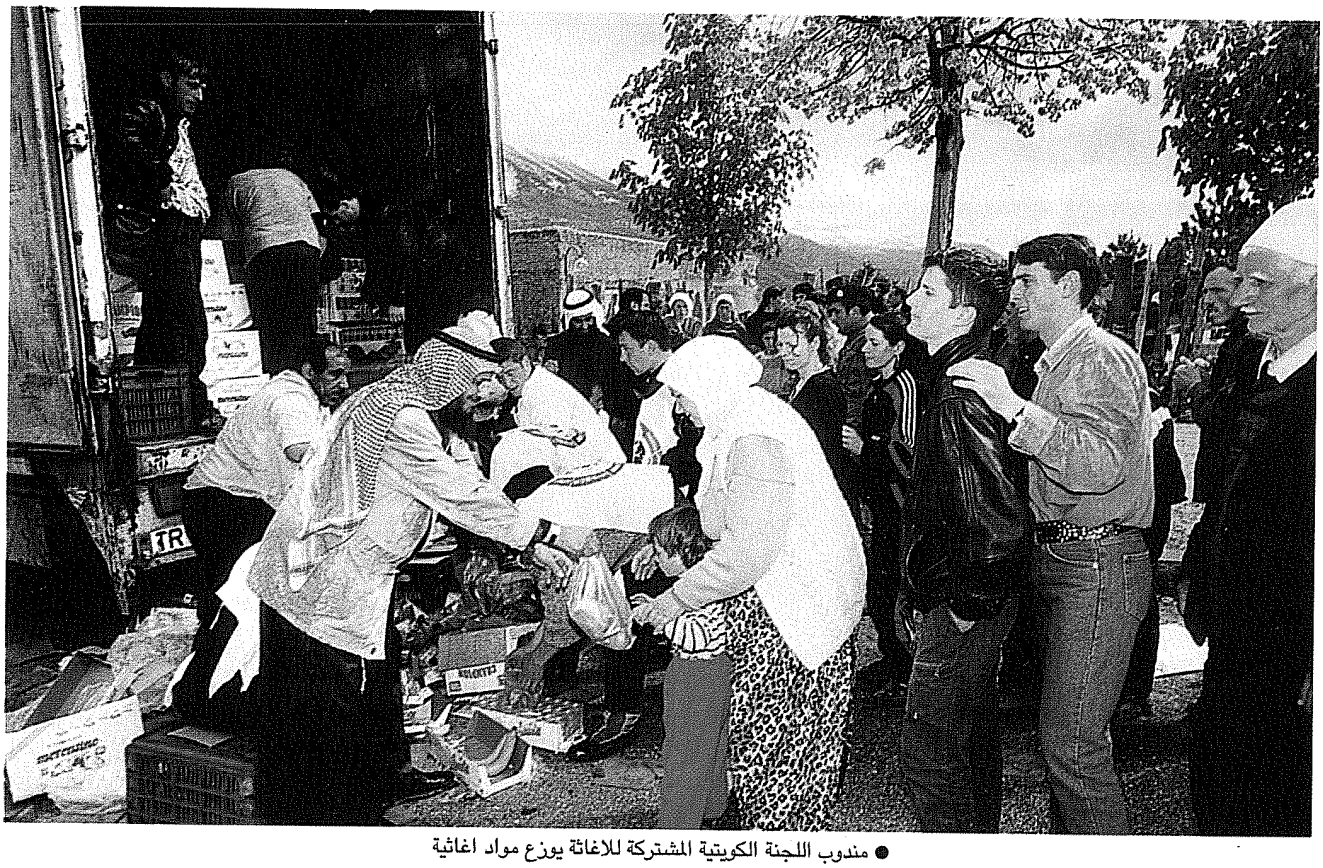

● مندوب اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة يوزع مواد اغاثية

ومن عليها الذي يشاهده العالم حالياً، والذي يُروى على ألسنة الضحايا يبدو من هول ما يسمعه المرء وكأنه بعيد عن الواقع، بينما الأهوال التي تحدث حقيقة أكبر من كل تصور، تؤكد لك المنظمات الدولية التي تشكو من أن نساء كوسوفا وفتياتها يفضلن عدم الكلام عن ما تعرضن له من عمليات اغتصاب على أيدي السفاحين من الصرب، لدرجة أن إحدى الطبيبات النفسيات اللواتي كلفهن صندوق السكان التابع للأمم المتحدة كتابة تقرير عن الجرائم الجنسية ضد فتيات كوسوفا تقول: «إن الفتيات الألبانيات» تقصد «الكوسوفيات» معروفات بالتدين والتحفظ الاجتماعي وعدم الانفتاح كباقي فتيات أوروبا، ومازلن يعيشن في إطار العادات الإسلامية المحافظة، بل عادات تشبه في بعض الأحيان العادات القبلية، ولذلك فإن مأساة الاغتصاب والآثار النفسية التي تحملها الفتيات الألبانيات يمكن أن تكون أصعب وآلامها أكثر، فهن يخجلن من التصريح عما جرى لهن في معتقلات الاغتصاب التي أقامها الجنود الصرب في كوسوفا، والتي شهدت أبشع أنواع الأساليب الوحشية الجنسية التي اشتهر بها الجنود الصرب، وبخاصة عصابات مجرم الحرب «راجنيا توفيتش آركان التي سمع عنها العالم قبل سنوات في البوسنة».

إلغاء الهوية

والممارسات الصربية لا تقف عند اغتصاب وإذلال وامتهان كرامة أبناء الشعب الكوسوفي فقط، بل تتعداه إلى إلغاء وجود هذا الشعب تماماً، فإلى جانب إحراق المنازل التي كان يسكنها الألبانيون، تقوم القوات الصربية بإحراق جميع مكاتب الأجهزة الحكومية التي توجد فيها مستندات خاصة بالمعاملات العادية الدالة على وجود بشر كانوا يسكنون القرى والمدن التي تضم تلك الأجهزة، إضافة إلى تجريد كل شخص عند وصوله إلى الحدود وقبل السماح له بالعبور إلى ألبانيا أومقدونيا أو أي من الدول الأخرى المجاورة من بطاقات الهوية وجوازات السفر والشهادات الدراسية والثبوتية الأخرى، بل حتى تُنزع اللوحات المثبتة على السيارات والجرارات الزراعية، وتسحب رخص القيادة وتراخيص تسيير العربات، وإحراق كل تلك الوثائق ما يعني إلغاء وطمس كل ما يمكن عن طريقه إثبات أن شخصاً ما كان يعيش في منطقة كوسوفا.

لا أهل ولا وطن

لطفي بريشا (٣٠ عاماً) يقول: غادرنا «جاكوفا» ثالث أكبر المدن الكوسوفية بعد أن ماتت تماماً... لقد دمرها الصرب وصارت رماداً، هاجمتنا قواتهم فركضنا مختبئين في الغابة المحيطة بالمدينة حيث أنشأنا هناك سقيفة نحتمي بها، ظللنا هناك نحو أربعة أيام حتى عثر علينا مقاتلون من جيش تحرير كوسوفا وقادونا إلى الحدود التي خرجنا منها إلى العراء لننام هناك حتى تم توزيعنا على أحد المعسكرات... وأنا هنا الآن أحاول معرفة أي خبر عن والدتي التي افتقدتها وعن أبناء عمي... ولا أعرف أين هم الآن، وماذا حل بهم ومتى يمكن أن أراهم ثانية؟.

لطفي اليائس، يعرف أن الإجابة عن تساؤلاته ستطول، وأن التئام الشمل مرة أخرى أصبح عسيراً للغاية في ظل مخطط صربي تم تنفيذه بدقة لإلغاء الوجود الألباني المسلم تماماً، ووسط شبه موافقة دولية على

ضرورة ألا يعود هذا الإقليم كما كان سابقاً عندما كانت الأغلبية المسلمة فيه تصل إلى ما يزيد عن نسبة ٩٠ في المئة فيما كانت نسبة العشرة في المئة الباقية تتوزع بين صرب وكروات وعرقيات أخرى.

مخطط التشتيت

بدأ الصرب تنفيذ مخطط الإبادة والتهجير مع تشتيت الأبناء بعيداً عن الآباء وفصل الزوجات عن أزواجهم وإبعادهن إلى الدول المجاورة، في الوقت الذي تم فيه ترحيل نحو مئة ألف آخرين إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة، وحتى إسرائيل وعودة هؤلاء أشبه بالمستحيلة إذا لم تتوافر لهم تأكيدات أن حال التوتر لن تعود، وهو ما لا توجد أي مؤشرات عليها، فالدول الغربية والولايات المتحدة لا تتحدث عن كيان مستقل لأبناء الشعب الكوسوفي، بل عن كيان تابع ليوغسلافيا مع منحه صلاحيات الحكم الذاتي، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان التجربة السابقة في البوسنة والهرسك والتي لا يزال التوتر الناتج عن اتفاقية دايتون الهشة يحمل في طياته بذور الانفجار العرقي في أي لحظة.

المخطط الصربي الرهيب بدأ في العام ١٩٨٩م عندما وقف الديكتاتور الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش في احتفال عام قائلاً: «إن معركة كوسوفا قد بدأت قبل ستة قرون وانتهت اليوم، ونحن مستعدون أن نضحي بمئات المقاتلين الصرب لاستئصال الإسلام من سراييفو إلى مكة».

أسطورة ملفقة

ميلوسوفيتش كان ينطلق من أسطورة لفقها الرئيس اليوغسلافي السابق جوزيف بروز تيتو وبرر بها إلحاق إقليم كوسوفا بصربيا هذه الأسطورة تقول: «إن كوسوفا هي أرض أجداد الصربيين قبل أن يأتي الأتراك بالألبانيين لكي يحولوهم إلى (مصدة) إسلامية بوجه أمم البلقان المسيحية. وفي معركة كوسوفا العام ١٣٨٩م هزم الصربيون العثمانيين وأوقفوا تقدمهم في أوروبا، ولو أن تلك المعركة انتهت لصالح العثمانيين لكانت أوروبا بأسرها قد صارت مسلمة، وإذاً فإن الصربيين منقذو المسيحية المزعومين، حولوا كوسوفا ودفنوا فيها أجساد قديسيهم»، هذه الأسطورة التي لفقها تيتو جاءت مثل ثوب تم ترقيعه، لا يوجد فيها جملة واحدة صادقة، رغم أنها اعتنقها الصرب تماماً وكانت وراء موجة الهوس التي أصابتهم تجاه كل ما هو مسلم في البوسنة والهرسك وسلوفينيا والجبل الأسود، فما بالك بكوسوفا التي يصفونها دائماً بـ«قدس الصرب».

اقتلاع مليوني مسلم من ارضهم رافقته جرائم ومذابح رهيبة منظمة

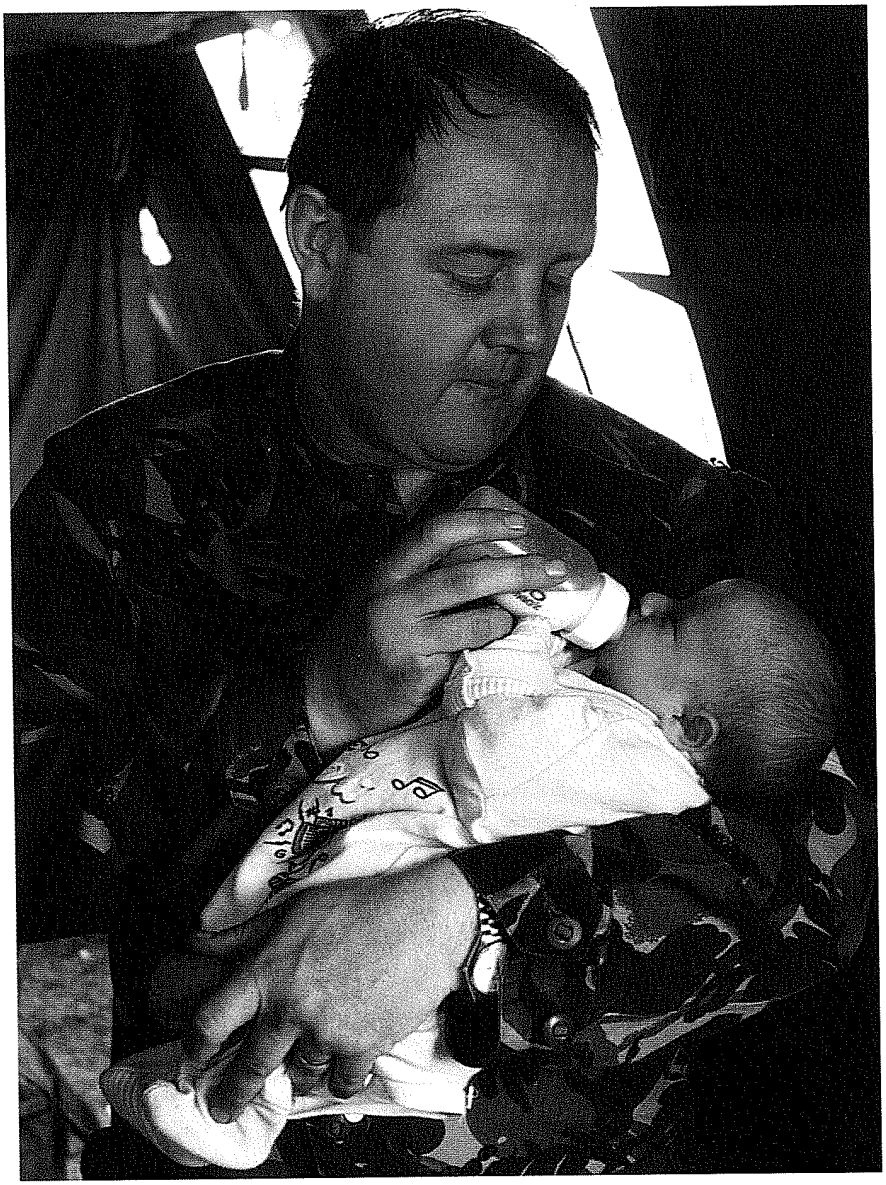

● احد جنود الناتو يرضع طفلا كوسوفيا

وفيما وجدت هذه الكذبة الكبرى من يستمع لها في الغرب فإن حقائق التاريخ تؤكد أنه بينما دخل السلافيون إلى هذه المنطقة من أوروبا في القرن السادس عشر، فإن لألبان الذين عرفوا قبلاً بأنهم من سلالة «الآليريين» كانوا موجودين منذ عهد الإمبراطورية الرومانية إلى ما قبل ألف عام من ذلك، وقد عاشوا في البلقان مع جماعة أخرى تعرف بـ«ولاشيا» «أجداد معظم الجماعات التي تؤلف رومانيا حالياً» ولا علاقة لهؤلاء ولا أولئك بالصربيين أو بأي مجموعة سلافية.

صفحات التاريخ المعروفة تؤكد أنه حتى

أواخر القرن الرابع عشر كانت كوسوفا منطقة شبه منسية في البلقان، بينما كانت جحافل الأتراك العثمانيين تتوغل عبر اليونان في أراضي الصرب التابعة حينذاك لمملكة المجر، وفي تلك المسيرة المنتصر، اعتنق الإسلام كثير من القبائل السلافية الأصل، وبخاصة قبائل «البوجوميل» التي كانت تدين بالتوحيد حتى وصول الأتراك الذين وجدوا في دعوتهم إلى الإسلام ضالتهم، فدخلوا الإسلام وحاربوا في صفوف القوات التركية حتى إذا ما وصل الجيش التركي إلى كوسوفا تصدى له جمع هائل من الصربيين والبوسنيين والمجريين واليونانيين والبلغاريين.

ولكن الجيش التركي استطاع الفتك بالحلف الأوروبي فتكاً ذريعاً، وكلفه ما يزيد عن مئة ألف قتيل في معركة مازالت تصنف كواحدة من أعنف المعارك التي شهدتها أوروبا حتى الحرب العالمية الثانية، وتمت هذه المعركة في يوم ٢٨ يونيو ١٣٨٩م، ووزع السلطان المنتصر «بايزيد الأول» أراضي كوسوفا على حلفائه الصربيين المسلمين والألبان وقبائل «البوجوميل» بعد أن هجرها الصربيون الأرثوذكس فارين إلى الشمال والغرب، فاستقروا فيها يزرعون ويحصدون حتى يومنا هذا، وهؤلاء هم الذين يسمون الآن ألبان كوسوفا.

ومع أن الصربيين الأرثوذكس لم يكونوا وحدهم المهزومين في موقعة كوسوفا، إلا أنهم اعتبروا الهزيمة هزيمتهم، ومن ثمَّ فإن الثأر ثأرهم وأصبح يوم ٢٨ يونيو - يوم معركة كوسوفا - سنوياً يوم حداد عام مقدّس، يبكون فيه بالطريقة نفسها التي يبكي بها اليهود عند حائط المبكى، ويستنفرون فيها الأحقاد والثارات ضد الألبان.

وتدور الكثير من الملاحم الفولكلورية والأشعار الصربية حالياً التي أصبحت جزءاً أساسياً من التكوين النفسي للصرب الأرثوذكس حول هذه المعاني المفعمة بالكراهية والأحقاد الموروثة التي اكتسبت طابعاً دينياً.

وقد ظلت كوسوفا جزءاً من ممتلكات الإمبراطورية العثمانية حتى حرب البلقان الأولى سنة ١٩١٢م، حينما دخلتها القوات الصربية، وكان مشهداً عجيباً، عندما انكفأ كل فرد من أفراد الجيش الصربي من أكبر الرتب إلى أصغرها راكعاً على الأرض يقبل تراب كوسوفا التي زعموا أنها عادت إليهم بعد خمسة قرون، ومنذ ذلك الحين أصبحت كوسوفا جزءاً من صربيا التي هي بدورها جزء من ممتلكات الإمبراطورية النمساوية.

كفاح من أجل الوجود

ما أن جاءت الحرب العالمية الأولى، والتي كان من أبرز نتائجها، تفكيك الإمبراطوريتين المهزومتين، التركية والنمساوية، وكان من علامات هذا التفكيك، إقامة مملكة يوغسلافيا على أنقاض الممتلكات النمساوية في البلقان، من صربيا بما فيها كوسوفا، ومقدونيا والجبل الأسود وسلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك، وجعلوا على رأسها ملكاً من أصل صربي، وهكذا فقد ألبان كوسوفا هويتهم، وأصبحوا أقلية تكافح من أجل الاعتراف بوجودها.

وجاءت الحرب العالمية الثانية، واجتاحت الجيوش الألمانية والإيطالية يوغسلافيا، وأخذ الجيش الملكي يتراجع أمام القوات المهاجمة حتى كانت وقفته الأخيرة في كوسوفا، وبدلاً من أن يقاتل المهاجمين، انقض على ألبانيا المجاورة، ولكن ذلك لم يُجْده شيئاً، فما لبثت قوات المحور أن أدركت الجيش اليوغسلافي الملكي فسحقته سحقاً، بمساعدة الألبانيين، وكوفئت ألبانيا على ذلك بضم كوسوفا إليها، وأصبحت تلك المقاطعة جزءاً من ألبانيا حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعندما تقرر في التسويات النهائية للحرب أن تعود كوسوفا إلى يوغسلافيا كجزء من صربيا التي أصبحت في ذلك الوقت تحت سيطرة تيتو، لم تبد حكومة تيرانا الشيوعية أي اعتراض.

ويُجمع عدد كبير من المؤرخين على أن البحث في جذور صرب إقليم كوسوفا كفيل بتأكيد أن هؤلاء ليسوا مواطنين أصليين في الإقليم، وإنما جاؤوا مع القوات الصربية التي انتزعت كوسوفا في العام ١٩١٢م عقب حرب البلقان الأولى عندما ضغطت كل من فرنسا وروسيا في سبيل انتزاع كوسوفا وضمها إلى صربيا، وهكذا اكتسحت القوات الصربية الإقليم، ووضعت يدها على مقدراته الاقتصادية، وأتيح للصرب بالتالي أن يكونوا كبار ملاّك أراضي كوسوفا وكبار رأسماليه، وحكامه كذلك.

بداية الصربنة

وعقب إنشاء الدولة اليوغسلافية مباشرة، أصدر تيتو قراراً بمنع الصرب الذين خرجوا من كوسوفا خلال الحرب العالمية الثانية من

● طابور من اللاجئين ينتظر دوره لاستلامه المساعدات

العودة إليه بحجة أنهم إقطاعيون ومغتصبون لأراضي الألبان، ولكن مارس مواطنوا بلغراد ضغطاً عنيفاً على تيتو، حتى عاد وتراجع وسمح للجان شبه قضائية بأن تقضي للملاك الصرب الذين يثبت أنهم غير مستغلين ولا إقطاعيين بالعودة إلى كوسوفا، فسمحت تلك اللجان لمعظم الصرب بالرجوع إلى الإقليم، وبدأوا فور عودتهم بتطبيق سياسة جديدة ترمي إلى «صربنة» الإقليم، منعوا بمقتضاها الألبان من استخدام اللغة الألبانية، وعادت إدارة الإقليم بأكملها في أيدي الصرب الذين لم يقبلوا عملياً أي أوراق رسمية غير مكتوبة باللغة الصربية، وتراجع تيتو عن موقفه المؤقت لحماية ألبان كوسوفا، واتخذت إدارته نمطاً عكسياً أسهم في دعم الاستراتيجية الصربية لحل مشاكل الإقليم بوساطة «صربنته بالكامل.

وتم في هذا الإطار إصدار سلسلة من القوانين قضت بإغلاق جميع كتاتيب تعليم القرآن الكريم، والمدارس الابتدائية الإسلامية ومنع الدراسات القرآنية في المساجد واعتبارها جريمة جنائية، وصدر قانون سمّى أهالي كوسوفا بالأقلية التركية، وهي تسمية مضللة، فالألبان لم يكونوا أقلية كما لم ينحدروا من جنس الأتراك، وإنما انتزع إقليمهم وتم ضمه إلى صربيا، ولكن هذا القانون دفع نحو ربع مليون من ألبان كوسوفا إلى ترك وطنهم واللجوء إلى تركيا.

● يحملون ما تبقى لديهم من متاع الدنيا

الانفجار الكبير بدأ منذ قيام الديكتاتور الصربي سلوبودان ميلوسوفيتش في مارس ١٩٨٩م بإلغاء وضع الحكم الذاتي الذي كان الإقليم يتمتع به منذ العام ١٩٧٤م، ثم قيامه في العام ١٩٩٠م، بحل المؤسسات السياسية الألبانية، فتم حل مجلس إقليم كوسوفا، وطردت أعداد ضخمة من الموظفين الألبان وتم استبدالهم بآخرين من الصرب.

الفتيات الكوسوفيات يخجلن من التحدث عن وقائع الاغتصاب

كما منعت السلطات الصربية استخدام اللغة الألبانية في وسائل الإعلام، وأوقفت الصحف الرئيسية التي تصدر باللغة الألبانية، إضافة إلى منع التعليم بتلك اللغة في المدارس، وبحلول العام ١٩٩٦م، جلبت يوغسلافيا نحو ٢٠ ألف لاجيء صربي من جمهورية «كراجينا» الصربية التي كان الصرب قد أعلنوا قسامها في كرواتيا، وتم توطينهم في كوسوفا.

هذه الاستفزازات الصربية كانت إشعالاً جديداً لنيران ظلت جذوتها خافتة لسنوات طويلة، ما دفع أبناء إقليم كوسوفا إلى تحدي الإجراءات الصربية القمعية، وإعلان جمهوريتهم برئاسة إبراهيم رجوبا ثم تكشيل جيش عسكري أطلق عليه اسم جيش تحرير كوسوفا، استطاع إقلاق راحة المغتصبين الصرب وقض مضاجعهم.

ورغم تعرضهم لأكبر حملة تطهير عرقي وتهجير جماعي، فإن أهالي كوسوفا الذين تحدوا بإسلامهم سلطة الشيوعية الغاشمة وحافظوا على دينهم قدر ما استطاعوا، فإن هؤلاء سيحافظون على هويتهم ودينهم مهما حاول الحقد الصربي المهووس محوهم وتشتيتهم في بقاع الأرض. ■

● الصرب لم يرحموا حتى كبار السن !!

بقلم : محمود النجيري

حاجتنا إلى التقريب بين المذاهب الفقهية

الإسلام دين واحد، وشريعته واحدة تحكم المسلمين جميعاً، ومهما تمخضت الأيام والليالي عن حوادث جديدة، فإن لله حكماً فيها، والمذاهب الفقهية الأربعة: الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي - هي اجتهادات أهل العلم في الأمة لضبط حياتها على قوانين الشرع، وكشف حكم الله تعالى في كل مسألة.

وتعدد المذاهب وكثرة الأقوال فيها قد يحير الدارسين والملتمسين للحق فيها، ومن هنا كان لابد من جهد تقريبي بين هذه المذاهب، وبالنظر في واقعنا الفقهي، نرى دواعي وأسباباً عدة لهذا الاجتهاد التقريبي الفقهي، نوجز أهمها فيما يلي:

١ ـ الدعوة إلى التقريب بين المذاهب هي دعوة إلى تطوير الفقه الإسلامي ليحل مشكلات العصر ويعالج قضاياه من خلال جهود الفقهاء المتقدمين مضافاً إليها جهود الفقهاء المحدثين، وكم في العصر من مشكلات وقضايا تناول المتقدمون أشباهها ونظائرها أو افترضوها ضمن افتراضاتهم فإذا جمعت كل هذه الجهود إلى بعضها بعضاً بتحقيق وتدقيق ـ كان في ذلك إجابات فقهية متطورة لكل معضلة عصرية بلغة يفهمها أهل زماننا، وبهذا لا يتخلف الفقه عن ميادين مستحدثة وقضايا جديدة مشكلة.

ومن الحق أن نقرر أن ليس كل ما قاله السابقون حقاً محضاً، ولم يحط إمام واحد بجميع السنة، كما أن المذهب الواحد مهما اتسع لا يمكن أن يفي بجميع الحاجات الزمنية والمصالح المتطورة التي قد يُفتقد علاجها التشريعي في ذلك المذهب، ويوجد في غيره من المذاهب، والأئمة أنفسهم كانوا يرون أنه من الخطأ حمل الناس على مذهب واحد، مثلما قاوم الإمام مالك رغبة أبي جعفر المنصور ومن بعده هارون الرشيد في حمل الناس على فقه مالك وكتابه الموطأ، وعلل هذا بأن انتشار الصحابة في الأمصار أدى إلى توزع العلم بينها، فأخذ الناس منهم وأفتوا بما وصلهم.

اتجاه المسلمين إلى اتخاذ الشريعة الإسلامية المصدر الأساسي للتشريع في الدولة لابد من أن يدعم التقريب بين المذاهب لاصطفاء القول الذي يكون عليه القضاء في المحاكم

٢ ـ إن كل مجتهد من الأئمة وإن كان مأجوراً على اجتهاده، إلا أنه غير معصوم من الخطأ، ولم يعصم من الخطأ إلا النبي ﷺ، والحق غير محصور في مذهب واحد، بل هو غير منحصر في الأئمة الأربعة، ولذلك كان الحق ألا يتبع إمام واحد في كل قول له، لأنه لا يؤمن أن يكون هذا القول من زلاته، وكما قيل: «لكل جواد كبوة، ولكل عالم زلة»، والمنهج الصحيح في ذلك هو أن تحقق أقوال العلماء في ضوء الكتاب والسنة، فالكتاب والسنة يقضيان على ما عداهما، وما عداهما لا يقضي عليهما.

٣ ـ أن النبي ﷺ لم يأمر باتباع أحد بعينه من بعده، إلا ما كان من أمره باتباع الخلفاء الراشدين المهديين من بعده(١)، وخصوصاً نصه على أبي بكر وعمر في حديث، ومع هذا فلم يأخذ الصحابة بكل قول لأبي بكر وعمر ومن دونهما، بل كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ يخفى عليه بعض السنة فيسأل عنها، مثلما خفى عليه توريث الجدة، وخفى على عمر توريث المرأة من دية زوجها، وغير ذلك، كما كان أبو بكر وعمر يرجع كل منهما عن قوله إن تبين له مخالفته للسنة، وكان أبو بكر يقول: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة

لي عليكم. إن حسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»، وقال عمر: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»، ونحن الآن مأمورون بدورنا أن نترك من أقوال الصحابة الكرام ما يخالف السنة الصحيحة الصريحة، لو نقل عن أحدهم مثل ذلك فضلاً عن أقوال غيرهم من الأئمة والعلماء، التي لا حجة فيها شرعاً.

٤ ـ نحن في حاجة إلى التقريب بين المذاهب الفقهية حتى نأخذ بالقول الأقوى دليلاً، وحتى لا يقول قائل بضد النص اتباعاً لمذهبه، فكل إمام أخذ بما رآه حقاً، وبعضهم وصله الدليل فعمل به، وبعضهم لم ير في النص الذي وصله حجة في المسألة، أو هو عنده منسوخ أو معارض بدليل أقوى منه، أو لم يصح عنده سند الحديث... إلخ، والدراسة الفاحصة تُظهر أياً من المذاهب أولى بالحق في كل مسألة تبعاً لمنهجية البحث العملي التي لا تضع اعتباراً إلا للدليل الصحيح والدلالة الراجحة والمصلحة المتحققة للمسلمين.

ومن أمثلة النصوص المذهبية التي تضاد النصوص ما يلي:(٢)

أ ـ أن يسأل رجل: إن صلى من الصبح ركعة ثم طلعت الشمس؟ هل يتم صلاته أم لا؟ فيقال: لا يتمها، ورسول الله ﷺ يقول: «من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح»(٣).

ب ـ أن يسأل عمن مات وليه وعليه صيام: هل يصوم عنه وليه؟ فيقال: لا يصوم عنه وليه. وصاحب الشرع ـ ﷺ ـ قال: «من مات وعليه صيام، صام عنه وليه»(٤).

ج ـ أن يسأل عن رجل باع متاعه ثم أفلس المشتري، فوجد متاعه بعينه: هل هو أحق به؟

فيقال: ليس أحق به، وصاحب الشرع يقول: «فهو أحق به»(٥).

د ـ أن يسأل عن رجل أكل في رمضان أو شرب ناسياً: هل يتم صومه؟ فيقال: لا يتم صومه، وصاحب الشرع يقول: «فليتم صومه».(٦)

نحن في حاجة للتقريب بين المذاهب للتيسير على الناس ورفع الحرج عنهم وتحقيق مصالحهم والقضاء بالعدل بينهم فهذه مقاصد شرعية يأتي بها التقريب

هـ ـ أن يسأل عن أكل كل ذي ناب من السباع: هل هو حرام؟ فيُقال: ليس بحرام. ورسول الله ﷺ ـ يقول: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام»(٧).

و ـ أن يسأل: هل له منع جاره من غرز خشبة في جداره؟ فيقال: له أن يمنعه. وصاحب الشرع يقول: «لا يمنعه».(٨)

ي ـ أن يسأل: هل تجزئ صلاة من لا يقيم صلبه مع ركوعه وسجوده؟ فيقال: تجزيه صلاته، وصاحب الشرع يقول: «لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه بين ركوعه وسجوده»(٩).

ومن المفروض أن من وجد النص من الكتاب والسنة المخالف لما عليه إمام من الأئمة الأربعة، وجب عليه اتباع النص وترك المذاهب لقول الله ورسوله ـ ومن أصرّ على المذهب بعد العلم بمخالفته للكتاب والسنة تعصباً منه فهو ضال خاطئ، وما أيسر الوصول إلى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في عصرنا هذا، حيث تدمج على اسطوانات الليزر و«دسكات» الكمبيوتر، وبضغطة صغيرة بطرف إحدى الأنامل تتدافع على شاشات الكمبيوتر المعلومات، هذا بالإضافة إلى الأشرطة المسجلة بالصوت والصورة «فيديو»، أو بالصوت فقط، وما أكثر الكتب الشرعية التي تطبع كل يوم في الفقه والتفسير والحديث والأصول!

ويحق لنا أن نتساءل عن فائدة ما ندرس من تفسير وحديث ولغة وأصول وفقه ومذاهب فقهية إن لم يكن لكل هذا ثمرته من الاجتهاد والمقارنة بين هذه المذاهب الفقهية، والخروج من ذلك بأحسنها، والتمييز بين الصحيح والخطأ والراجح والأرجح والمرجوح... إلخ.

٥ ـ إن مذاهب الأئمة الأربعة قد تقررت وتلقتها الأمة بالقبول سلفاً وخلفاً، وسارت على نهجها قروناً عدة، وتراكمت داخل كل مذهب منها جهود فقهاء كثيرين، فهي مذاهب جماعية وإن انتسبت إلى فرد بعينه، ولا يوجد في عصرنا فرصة لظهور مثل هذه المدارس الفقهية الجماعية، ففي الاقتصار على هذه المدارس الأربع فائدة لجمع الجهود حولها وتقليل الخلافات التي يمكن أن تمزق الأمة وتزيدها فرقة وتدابراً. فلا نريد أن نزيد في المذاهب مذهباً ولا أكثر، ولا نريد من أحد مذهباً خامساً ولا سادساً ولا سابعاً. ولكن نريد تقريباً بين المذاهب الأربعة وأقوال الأئمة المجتهدين الآخرين قبلهم وبعدهم، وأقوال الصحابة، وربما الأقوال الأخرى المعتبرة والمتقررة عند المسلمين، مثل: الظاهرية والزيدية والجعفرية والإباضية، أما تأسيس مذاهب جديدة في الفقه فلا مصلحة فيه، ولا نرى أن مذهباً جديداً يمكن أن ينشأ إلا أن يكون صدى لأقوال من سلف من الفقهاء، وحينئذ فلا جدة فيه حقيقة.

٦ ـ ليس من الحكمة أن نهمل الفقه الإسلامي الذي ترسخ في عصور سابقة، ونعني به اجتهادات الفقهاء، إذ إهمال هذا الفقه وتلكم الاجتهادات يؤدي إلى إهمال الشريعة الإسلامية نفسها، وذلك لأن الشريعة الإسلامية توجد داخل الفقه وتتجلى من خلاله، والاجتهادات الفقهية للسابقين يجب دراستها للاستفادة بها من الاجتهاد المعاصر وللتخير منها والموازنة بينها كي تكون هادياً لنا في الخروج بأحكام تتماهى مع مقاصد الشريعة وروحها.

وفي كل علم يحسن الاستفادة من السابق حتى يضيف إليه اللاحق دون أن يبدأ في فراغ أو يعرض عن علم الأولين واجتهاداتهم العظيمة في خدمة

الدين والفقه الإسلامي، ومن يريد أن يضع فقهاً دون أن يستفيد من جهود الفقهاء السابقين فهو مخطئ، وعمله لن يكون ناضجاً، والتقريب يهدف إلى إيجاد بناء فقهي جديد تأسيساً على تراثنا الفقهي العظيم.

٧ ـ نحن في حاجة إلى التقريب بين المذاهب الفقهية لأن الوقوف عند المذهبية الضيقة هو نوع من الجمود يأباه العصر وطبيعته العلمية، ويرفضه الإسلام وشريعته، واكتفاء أتباع كل مذهب بمذهبهم والانكفاء على كتبه وحدها هو تقليد محض يذم فاعله متى كان قادراً على إعمال النظر في استنباط الأحكام بدليلها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا يصح أن نلغي عقولنا ونطمس أبصارنا ونترك للآخرين قيادنا وكأننا صم بكم عمي فهم لا يعقلون!

ومن المؤكد أن البديل للتقريب بين المذاهب هو الركود والجمود في ميدان الفقه، وركون كل فريق إلى كتب مذهبه، وهذا يؤدي إلى نشأة علماء جامدين منغلقين ومنعزلين عن الحياة بكل مستجداتها، ومحرومين من ثمرات العلوم الشرعية التي ما جعلت إلا لصياغة الحياة على مراد الله تعالى، ومن نتائج ذلك بكل تأكيد رفض الكثيرين لتحكيم الشريعة الإسلامية والاكتفاء بالقوانين الوضعية، إذ ليس في كتب الأقدمين علاج كل قضية تحدث بالنص الصريح عليها، أو أن القوم اختلفوا فيها، والتقريب هو فصل في موضع النزاع، وأخذ بأفضل ما عند القوم من فقه وحكمة ودليل قوي أو أقوى، ونص صحيح وصريح راجح أو أرجح... وهكذا.

وليس من الخافي أن الأئمة أنفسهم نهوا عن تقليدهم، وحذروا منه، وأمروا باتباع الدليل من الكتاب والسنة وإن خالف مذاهبهم، وهذا منهج أهل العلم في اتباع الحق، ويقتضي ذلك طلب أقوال الفقهاء وتحقيقها ودراستها وعرضها على القرآن والسنة وأقوال الخلفاء الراشدين وإجماع المؤمنين. فما وافق ذلك منها قبلوه ودانوا لله تعالى به،

لم يحط إمام واحد بجميع السنة، والمذهب الواحد مهما اتسع لا يمكن أن يفي بجميع الحاجات الزمنية والمصالح المتطورة التي قد يُفتقد علاجها التشريعي في ذلك المذهب

وما خالف ذلك منها ردوه ولم يتبعوه. أما ما لم يتبين لهم وجه الحق فيه فصار عندهم من مسائل الاجتهاد التي غايتها أن تكون سائغة الاتباع لا واجبة الاتباع، دون أن يلزموا بها غيرهم، ولا يجزمون أنها الحق الذي لا مخالف له صحيحاً.

٨ ـ في عصرنا ضعفت الهمم عن التضلع في العلوم الشرعية، وعلى الرغم من تيسر الدراسات الشرعية والكتب والجو العلمي، إلا أننا لا نجد إلا قليلاً من الذين أخذوا بخط من علوم الاجتهاد الفقهي، ويعد وجود المجتهد المطلق المستقل في عصرنا في حكم المستحيل، ونعني به المجتهد في الأصول والفروع من رتبة الأئمة الأربعة، ولا حاجة لنا إلى وضع مذاهب جديدة، كما قلنا من قبل، وإنما نحن في حاجة إلى مجتهدين يستفيدون بما أرسته المذاهب الأربعة ويقربون بينها، ولن نعدم مثل هؤلاء الفقهاء المجتهدين في عصرنا من الدارسين للفقه والمتخصصين من الأكاديميين، وإن كان هؤلاء يتخصص كل منهم في جانب من العلم الفقهي،

٩ ـ نحن في حاجة للتقريب بين المذاهب للتيسير على الناس، ورفع الحرج عنهم، وتحقيق مصالحهم، والقضاء بالعدل بينهم، فهذه مقاصد شرعية يأتي بها التقريب على الوجه الأكمل، فكم في المذاهب من رخص ومخارج للضرورات والمشاق والاستثناءات والحيل الشرعية.

وإذا أخذ مذهب بالأشد، فلن نعدم مذهباً يأخذ بالأيسر أو يتوسط فيراعي من الظروف والملابسات ما فات غيره، أو يكون أكمل في التوصل إلى المصلحة وتحقيق العدالة.

١٠ ـ التقريب بين المذاهب الفقهية ضرورة لتقنين الشريعة وتطبيقها، واتجاه المسلمين إلى اتخاذ الشريعة الإسلامية المصدر الأساسي للتشريع في الدولة لابد من أن يدعم التقريب بين المذاهب لاصطفاء القول الذي يكون عليه القضاء في المحاكم، وأن يقنن ذلك في مواد متتابعة، ليس في مجال قوانين الأحوال الشخصية وحدها، ولكن في جميع فروع القانون.

وليس من المبالغات أن نقول إن مذهباً واحداً من المذاهب الفقهية القائمة اليوم غير كاف في كل ما هو مطلوب لتقنين الشريعة الإسلامية، فلابد للدولة الإسلامية من قانون عام مستمد من الشريعة الإسلامية يحظى بموافقة جميع المواطنين المسلمين ورضاهم، بغض النظر عن المذاهب الفقهية المتعددة التي يتبع كلٌ مذهب منها طائفة دون الأخرى منهم، فحتى لا يكون الاختلاف المذهبي عائقاً دون تقنين الشريعة يجب الأخذ من كل المذاهب الفقهية، وهذا أدعى لإبراز الشريعة الإسلامية في خلودها وصلاحيتها للتطبيق في كل عصر ومصر، لا يعجزها في ذلك تطور عقلي

الهوامش:

١ ـ الحديث في ذلك رواه أبو داود والترمذي عن العرباض بن سارية.
٢ ـ إعلام الموقعين لابن القيم (٢٠٨/٤ وما بعدها).
٣ ـ رواه مسلم
٤ ـ متفق عليه.
٥ ـ رواه مسلم وغيرهما.
٦ ـ متفق عليه.
٧ ـ رواه مسلم.
٨ ـ متفق عليه.
٩ ـ رواه ابن خزيمة في صحيحه.
١٠ ـ انظر منهاج الإسلام في الحكم لمحمد أسد، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

متابعة : مصطفى أحمد خليفة

المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية :

الإسلام في عصر العولمة

● المشاركون في الندوة

أوصى المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية «الإسلام في عصر العولمة» في ختام أعماله . في جامعة القاهرة . على ضرورة تأكيد مفهوم عالمية الإسلام وصلاحية مبادئه وقيمه لكل زمان ومكان، والتركيز على الجوانب الإنسانية والأخلاقية في الحضارة الإسلامية، وضرورة الأخذ بوسائل التقدم العلمي، والتطور التكنولوجي، حتى يتمكن المسلمون من مواجهة التحديات السلبية لظاهرة العولمة وتفادي آثارها .

وأوصى المؤتمر . الذي عقد برعاية الدكتور فاروق إسماعيل رئيس جامعة القاهرة . بضرورة تكريس الجهود من أجل تبصير الشباب بالفكر الإسلامي الصحيح، وبخاصة فيما يتعلق بقضايا العصر ومستحدثاته، حتى لا يُتركوا فريسة للتيارات المنحرفة والتي لا تتسق مع قيمنا ومبادئنا .

ودان المؤتمر في توصياته نزعة الهيمنة التي بدأت ترتبط بظاهرة العولمة، كما دان تسلط قطب واحد على مقدرات الأمم والشعوب، انطلاقاً من أن لكل حضارة وثقافة هويتها وخصوصيتها .

وأوصى المؤتمر بضرورة تعاون المؤسسات الدينية والتعليمية والإعلامية والثقافية في بيان المفهوم الحقيقي للإسلام وترسيخ قيمه الأصيلة، وتشجيع محاولات الانفتاح الرشيد على تجارب المجتمعات الأخرى بشرط أن يتم ذلك في إطار الندية وليس التبعية والمشاركة وليس السيطرة .

وكذلك أوصى المؤتمر بالاستمرار في عمليات تطوير مناهج التربية والتعليم في العالم الإسلامي حتى يواكب العصر الحديث مع غرس مبادئ الانتماء، والتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة .

وناقش المؤتمر ستة وثلاثين بحثاً على مدار يومين متتاليين في ثماني جلسات تناول فيها الباحثون مفهوم العولمة في أبعادها السياسة والاقتصادية والثقافية وعلاقتها بالقيم الأخلاقية، وعالمية الإسلام وما تتميز به من نزعة إنسانية، تجعله صالحاً لكل زمان ومكان، كما ناقش المؤتمر العلاقة الجدلية بين المسلمين وما يطرحه عليهم عصر العولمة من تحديات، وكيفية التعامل مع آليات هذا النظام الجديد .

وفي جلسة الافتتاح أشار الدكتور حامد طاهر عميد كلية دار العلوم في جامعة القاهرة ورئيس المؤتمر، إلى أن ظاهرة العولمة قد فرضت نفسها على الساحة، وبدأت آثارها تظهر بوضوح في المجالات الاقتصادية والسياسة والإعلامية وغيرها، وقال : لقد أخذ تأثيرها ينعكس على حياة المجتمعات والأفراد، وفي مثل هذه الحالة، لابد أن تتيقظ منظومة القيم الدينية والأخلاقية والثقافية لكي تحمي نفسها من هجوم الوافد الجديد، ولا تستقر الأحوال عادة إلا بعد أن يتم الاطمئنان إليه، ومعرفة مقاصده ونواياه.

وأضاف أن كلية دار العلوم وقسم الفلسفة الإسلامية قد عقدا العزم على حشد جهود دارسي الفلسفة في جامعات مصر وجامعات الدول العربية والإسلامية لمواجهة المشكلات المعاصرة التي تتطلب إلقاء الضوء عليها، والخروج من بحثها ومناقشتها من مختلف الزوايا بتصور واضح وأفكار محددة.

ظواهر العالمية

وقال الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي المصري في كلمته أن العالم دخل بالفعل مرحلة جديدة حتى قبل حلول القرن الحادي والعشرين، يتحكم في العلاقات الدولية بها نظام عالمي جديد، وتتعرض المجتمعات لتطورات في شتى مناحي الحياة، بل إن الأفراد في مختلف أنحاء العالم قد أصبحوا يواجهون موجات متتالية من التدفق الثقافي الذي انتجته ثورة المعلومات، وساعدت على زيوعه وانتشاره تكنولوجيا الاتصالات الحديثة.

وأضاف: أن من المؤكد أن الإنسان الذي لا يتمكن من إدراك ما يدور في عصره لن يتمكن من التعامل مع معطياته بصورة صحيحة إلى جانب انه لن يستطيع مواجهة ما ينتظره في المستقبل من تحديات. لهذا كان من الضروري أن يبذل المفكرون غاية جهودهم لإدراك التطورات التي تحدث في مجتمعهم أولاً بأول، ومتابعة ما يجري في العالم من حولهم لحظة بلحظة، ولا سيما وقد أصبحنا نعيش عصراً تهاوت فيه الكثير من الحواجز التقليدية، التي تفصل

● د. محمود زقزوق – وزير الأوقاف المصري

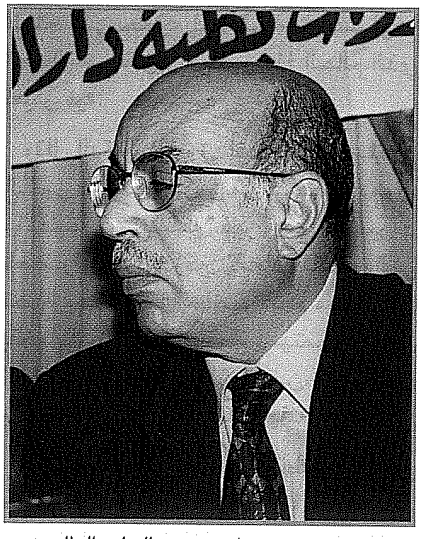

● د. مفيد شهاب – وزير التعليم العالي

وزير الأوقاف المصري :
الإسلام سبق العولمة في ترسيخ قيم الشورى وحقوق الإنسان والتعددية

بين أجزاء العالم، واتسمت فيه الظواهر بطابع العالمية، في الوقت نفسه تشابكت فيه المصالح بين مجموعات كبيرة من الدول واتحدت الأهداف بين كتل ضخمة من البشر، الأمر الذي لم يعد فيه مجال للتقوقع أو التشرزم، كما لم تعد فيه فرصة للانسحاب أو الانعزال.

العالم ليس مدينة الفارابي الفاضلة

وقال الدكتور شهاب: إن العولمة ظاهرة جديدة بالفعل، ولكنها نتاج تفاعل طويل، استمر على مدى القرن العشرين، لذلك لم تكن الظاهرة مفاجأة إلا لأولئك الذين لم يتابعوا جيداً مقدماتها. فعلى المستوى السياسي والعسكري، نشبت خلال هذا القرن حربان عالميتان، أسفرتا عن تجمع معظم دول العالم في عصبة الأمم، ثم في منظمة الأمم المتحدة، وعلى المستوى الأيديولوجي ضمت الكتلة الاشتراكية نصف العالم تقريباً، بينما سيطرت الرأسمالية على النصف الآخر تقريباً، وعلى المستوى الاقتصادي، برز نفوذ الشركات الكبرى، التي تحولت بالتدريج إلى شركات عالمية ومتعددة الجنسيات، وعابرة القارات، وعلى مستوى الاتصال والإعلام، حلقت في الفضاء الأقمار الصناعية التي أصبحت تنقل لكل إنسان في العالم ما يجري في سائر الأنحاء بالصوت والصورة، كما هيأت له الاتصال بأي مكان في الأرض دون عوائق، وهكذا أصبح يصدق بالفعل ما يُقال من أن العالم قرية كبيرة، لكننا ينبغي أن نعترف بأن هذه القرية ليست جمهورية أفلاطون المثالية، ولا مدينة الفارابي الفاضلة، إنها مليئة بالمشكلات، ومعرضة للمخاطر، ومن واجب كل إنسان أن يعمل من أجل إنقاذها والحفاظ على ما تحقق فيها من إنجازات.

دعوة لإيقاظ النائمين

وأشار الدكتور محمود حمدي زقزوق إلى أن العالم يسير بسرعة مذهلة، والمتغيرات على الساحة الدولية لا تكف عجلتها عن الدوران، وكل يوم يمضي يزيد من اتساع الفجوة بين المسلمين وبين العالم المتقدم، وأوضح أنه لا خلاص للأمة الإسلامية من هذا المأزق إلا بالأخذ بكل أساليب التطور العلمي والتقني والحضاري، والعمل الجاد

المنتج على جميع المستويات، والمشاركة الفعالة في تقرير مصير هذا العالم الذي نعيش فيه.

وقال الدكتور زقزوق: لقد أضاع المسلمون الكثير من عمر الزمن من تفاهات الأمور، والأغلبية من المسلمين غير واعين بمتغيرات العصر، وغير مدركين لأبعاد المخاطر التي تحيط بهم من كل جانب، لأنهم مشغولون بقضايا جانبية هامشية، ومهتمون ببعض المظاهر الشكلية في الدين، والآخرون يزلزلون في جزورهم وهم لا يشعرون.

وأضاف إن الأمر جد خطير، وعلى مفكري المسلمين في كل مكان ألا يكفُّوا عن الدعوة إلى إيقاظ النائمين وتنبيه الغافلين، لتنهض الأمة، وتشارك في مسيرة التقدم على المستويين المادي والروحي، وتحتل مكانها اللائق بها بين الأمم.

قدرة الإسلام على مواجهة التحديات

وأوضح الدكتور زقزوق - أن العولمة في المجال الاقتصادي، ينبغي أن تحمل المسلمين على الاستفادة مما قامت عليه من تكتلات اقتصادية، بحيث يتجهون دون إبطاء إلى تكوين تكتل اقتصادي عربي وإسلامي، والمشاركة في تكتلات أخرى إقليمية ودولية، أما العولمة في المجال السياسي، فإن أبرز ما يُضاف فيها هو الديموقراطية وحقوق الإنسان والتعددية السياسية، والذي يفهم الإسلام فهماً حقيقياً يتضح له أن الإسلام بما اشتمل عليه من قيم وتعاليم قد سبق العولمة في هذا المجال، ورسخ قيم الشورى وحقوق الإنسان والتعددية.

وقال وزير الأوقاف المصري - إن الأجدر بنا، نحن المسلمين - أن نكون مشاركين ومؤثرين تأثيراً إيجابياً في ترسيخ هذه القيم، ومن خلال مشاركتنا الإيجابية نستطيع أن يكون لنا دور فاعل في تجنب كل السلبيات التي تنحرف بهذه القيم عن مسارها الأخلاقي السليم.

كيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية

وأضاف أن الإسلام دين متفتح لا يرفض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية، وإنما ينظر

● د. فاروق اسماعيل - رئيس جامعة القاهرة

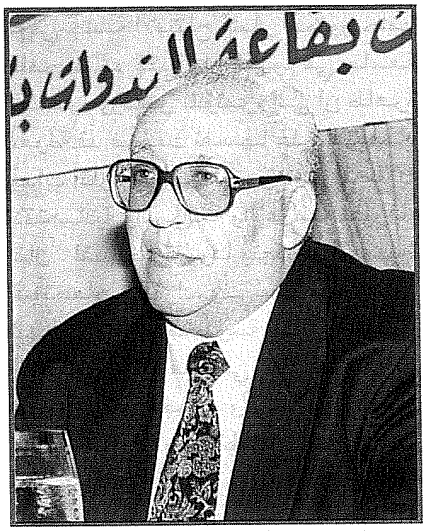

● د. حامد طاهر - عميد كلية دار العلوم

فيها ويفحصها بعناية ويأخذ منها ما يفيده في مسيرته الحضارية، ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها»، وقد استفاد المسلمون عندما أرادوا بناء حضارتهم من كل الثقافات التي كانت قائمة في مطلع الحضارة الإسلامية، ونحن مطالبون في عصرنا الحاضر أن نُعمل عقولنا فيما يرد إلينا أو يُقدم لنا من ثقافات العصر، وأن نأخذ منها ما يفيدنا في مسيرتنا، فالإسلام قد جاء لمصلحة الإنسان، ولا يمكن أن يرفض ثقافة نافعة فيها مصلحة البشر، وبهذا الموقف النقدي يمكن أن نحافظ على هويتنا الثقافية، وفي الوقت نفسه لا ننعزل عن عصرنا، وإنما نتعامل معها كواقع، ونتفاعل معها بصورة إيجابية، ونتجاوب مع كل ما يحقق المصلحة للمجتمع.

نظرة موضوعية للعولمة

وأشار الدكتور فاروق إسماعيل رئيس جامعة القاهرة إلى أن ظاهرة العولمة التي تنتشر في العالم حالياً لابد أن تأخذ من اهتمام المسلمين ما تستحقه، ولابد من وضعها على بساط البحث والتحليل.

وقال - إن مفهوم العولمة قد فرض نفسه على الساحة، وأصبح واقعاً تعيشه المجتمعات، ويقف منه الكثيرون موقف الحذر والخشية، بينما يندفع البعض في قبوله إلى أبعد الحدود، ولا شك أن وسطية الثقافة الإسلامية تفرض علينا نظرة موضوعية، تقوم أساساً على تحليل الظاهرة والتعرف على ما تحمله من جوانب سلبية أو إيجابية، تمهيداً لاختيار الصالح منها، ورفض ما سواه.

الأبحاث التي ناقشها مؤتمر الإسلام في عصر العولمة

١ - الأبعاد الاقتصادية للعولمة - للدكتور عباس الخفاجي.

٢ - العولمة من منظور تاريخي - الدكتور علي عبدالمعطي.

٣ - ثقافة جديدة لعصر العولمة - للدكتور حامد طاهر.

٤ - العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة - للدكتور مصطفى النشار.

٥ - العولمة: قراءة في نهاية التاريخ - للدكتور ماهر عبدالقادر.

٦ - العولمة والعالمية بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي - للدكتور السيد شاهين.

٧ - العولمة وتكريس الهيمنة - للدكتور محمد الشرقاوي.

٨ - العولمة والهيمنة السياسية - للدكتور حامد عبدالماجد.

٩ - العولمة: تبادلية أو سلطوية - للدكتور عبدالله الشاذلي.

● جانب من الحضور

المؤتمر يناشد العالم الإسلامي :

- ضرورة تعاون المؤسسات الإسلامية في ترسيخ قيم ومبادئ الإسلام
- تبصير الشباب المسلم بالفكر الإسلامي الصحيح
- الأخذ بوسائل التقدم العلمي والتطور التكنولوجي لتفادي سلبيات العولمة

١٠ ـ العولمة والقيم الأخلاقية ـ للدكتورة سلوى نصرة.

١١ ـ أبرز التغيرات التي تتعرض لها القيم الأخلاقية في ظل العولمة.

١٢ ـ عالمية الإسلام ـ للدكتور محمد شامة.

١٣ ـ ختم النبوة الوجه الآخر لعالمية الإسلام ـ للدكتور محمد المسير.

١٤ ـ مبدأ المساواة الإنسانية في الإسلام ـ للدكتور نصر الله البراجة.

١٥ ـ مبدأ الوسطية في الإسلام ـ للدكتور عفت السعدني.

١٦ ـ النزعة الإنسانية في الحضارة الإسلامية ـ للدكتور سعيد مغاوري.

١٧ ـ خصوصية الحضارة الغربية دليل نقض لادعائها العالمية ـ للدكتور عزت قرني.

١٨ ـ الأبعاد السياسية والثقافية لعالمية حقوق الإنسان ـ للدكتور محمد سيد سعيد.

١٩ ـ عالمية الفن الإسلامي من أشكال التحف الإسلامية ـ للدكتورة فايزة كمال.

٢٠ ـ عالمية الإسلام بين الماضي والحاضر ـ للدكتور إبراهيم هلال.

٢١ ـ الإسلام بين العالمية والعولمة ـ للدكتور محمد الجليند.

٢٢ ـ عالمية الإسلام والعولمة ـ للدكتور عبدالمقصود عبدالغني.

٢٣ ـ الصورة المعاصرة للعالم الإسلامي وجذورها الحضارية ـ للدكتور السيد الحجر.

٢٤ ـ العولمة وقضايا التقنية ـ للدكتور سيد دسوقي.

٢٥ ـ الإسلام والعولمة ـ للدكتور عزت عطية.

٢٦ ـ الحوار الديني أسمى حوار ـ الأنبا يوحنا قلته.

٢٧ ـ المسلمون وحوار الأديان ـ للدكتور أحمد القاضي.

٢٨ ـ العولمة والثقافة في ميزان مفكري الإسلام للدكتور عبدالفتاح فؤاد.

٢٩ ـ كيف نصون الهوية الثقافية الإسلامية في عصر العولمة ـ للدكتور مصطفى حلمي.

٣٠ ـ صور الإسلام في الإعلام الغربي ـ للأستاذ خالد الأصور ■

أجرى الحوار: د. عمادالدين عثمان

وفد المركز الإسلامي لروسيا :

الشيوعية أثّرت على المفاهيم والتعليم الديني ولم تؤثر في العقيدة والإيمان بالله

قام وفد «المركز الإسلامي لروسيا» «موسكو» بزيارة إلى دولة الكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتقوية الروابط مع المؤسسات الإسلامية والاجتماعية والشعبية في الكويت، والتعريف بأحوال المسلمين في روسيا، وقد ضم الوفد في عضويته كلاً من إبراهيم محمد حيا مدير الشؤون الإسلامية في المركز، وضمير سراج الدين نائب المدير العام، ورينات كريموف مدير العلاقات العامة في المركز.

وقام الوفد خلال زيارته بعقد لقاءات مع بعض المسؤولين في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومع بعض الهيئات الإسلامية والخيرية الكويتية، وبحث معهم أوجه التعاون.

والتقت الوعي الإسلامي أعضاء الوفد وكان هذا الحوار :

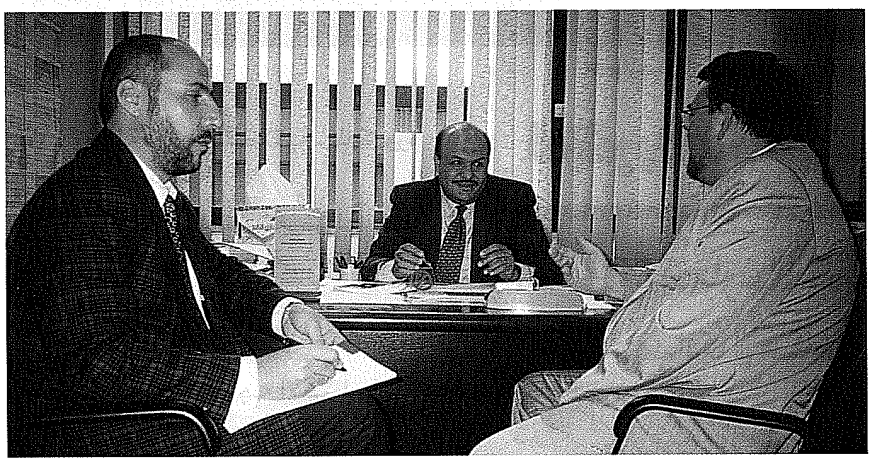

● لقطة من الحوار

● ما أهم الأهداف والمهام التي يسعى «المركز الثقافي لروسيا» إلى تحقيقها؟

- يعتبر المركز الثقافي الإسلامي لروسيا «موسكو» أول منظمة إسلامية اجتماعية لعموم مسلمي روسيا الاتحادية، أسس عقب الانهيار الشيوعي مباشرة وسجل رسمياً في ١٩٩١/٤/١٧م.

وتتعدد أهداف ومهام المركز فيما يلي:

- دراسة القيم الثقافية الإسلامية وتطويرها ونشرها.
- العمل على نشر الإسلام في روسيا.
- إقامة صلات وعلاقات مع الإخوة في الدين في داخل روسيا وخارجها.
- المساهمة في إقامة وإجراء حوار فعّال بين مختلف الطوائف الدينية.
- تكوين بنية تحتية إسلامية في روسيا.
- التعامل مع أصحاب النوايا الطيبة حول انبعاث الدولة الروسية إلى الأفضل.

ومنذ تأسيس المركز تبذل الجهود الواسعة على مستوى جميع المناطق الروسية في الكثير من المجالات منها التعليمية والثقافية، والدعوية، والعمرانية، والحج والعمرة، والمجالين الاجتماعي، والحوار الديني الفعال مع الآخر.

● كيف ترون الوضع الراهن للمسلمين في روسيا الاتحادية؟

- تعتبر روسيا دولة مسيحية - إسلامية... فالإسلام يعتبر الديانة الثانية في الوقت الراهن، حيث يشكل المسلمون فيها ١٨٪ وهذا ليس غريباً، فقد دخل الإسلام إلى روسيا في القرن الخامس الهجري، وكانت بوابة الخلافة الإسلامية الشمالية في «ديربنت» وهي إحدى مدن جمهورية داغستان، وهناك آثار إسلامية

ترجع إلى زمن الخلافة العباسية، وقد احتفلت سيبريا بذكرى مرور ستمئة عام على دخول الإسلام إليها.

ولكن للأسف أتى على روسيا سبعون عاماً من التعتيم الشيوعي الذي حارب الأديان، ما أثّر على المفاهيم والتعليم الديني، ولكنه لم يؤثر على العقيدة والإيمان بالله عز وجل في قلوب الناس، حيث عاد المسلمون إلى صحوتهم، وهم الآن يبنون المساجد التي تزداد بشكل ملحوظ في جميع الأماكن الروسية وبخاصة التي يسكنها المسلمون، حيث يوجد في موسكو الآن خمسة مساجد وفي «تتارستان» سبعمئة مسجد، ويُقاس عليها بقية الأماكن في روسيا.

والآن هناك كثير من المدارس والمعاهد الشرعية والكليات الإسلامية في داخل روسيا وخارجها... وهناك أيضاً أكثر من ألفي طالب علم في جامعات إسلامية مختلفة... وهذا يبشر بمستقبل اتساع رقعة انتشار الإسلام في روسيا.

● ما دور وسائل الإعلام الإيجابي أو السلبي في المجتمع الروسي وبخاصة بين المسلمين؟

- كما تعرف ان أهم وسائل الإعلام على مستوى العالم في أيدي اليهود، وكذلك الأمر في روسيا، فإن اليهود يسيطرون على معظم وسائل الإعلام ويوجهونها لخدمة أهدافهم ومآربهم المغرضة ومن ثم يحاولون تشويه وجه الإسلام الحقيقي، حيث يركزون على أي خطأ سياسي في أي دولة إسلامية ويلصقونه بالإسلام لتشويهه في أعين الروس، ومع كل هذا توجد حرية للبث الإعلامي في روسيا، ولكن تكاليفه باهظة جداً، فإذا أردنا نحن المسلمين بث برنامج ديني، فهذا يتطلب منا مبالغ باهظة... ومع ذلك يوجد بث إسلامي في القنوات التلفازية والإذاعية والصحف والمجلات

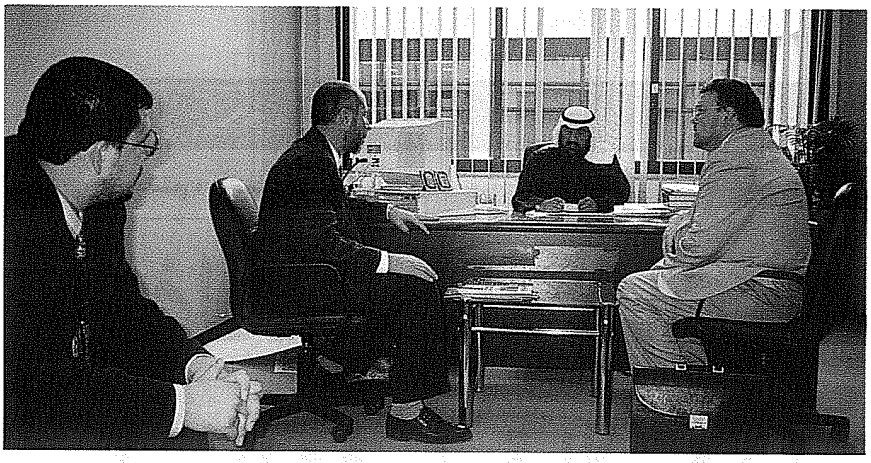

● الوفد الروسي مع مراقب الشئون الادارية

الروسية، ونسعى من خلاله إلى تقديم صوت الإسلام للمتعطشين إليه.

● كيف ترون وضع الإسلام في روسيا مقارنة بالديانات الأخرى المنتشرة هناك؟

- الإسلام دين الله، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يظهر دينه ولو كره الكافرون، ويُسَخِّرُ الله سبحانه وتعالى لدين الإسلام من يخدمه، وكل من يقرأ القرآن يعرف بأنه كلام الله عز وجل... وهذا الأمر لا يوجد في الديانات الأخرى، حيث عبثت بها اليد البشرية بالتحريف والتأويل.

ولكن الديانات الأخرى تجد من يموّل أنشطتها، ويسعى لنشرها في كل مكان، ففي كل حي الآن في روسيا توجد كنيسة مسيحية، وهناك الكثير من الكنس اليهودية، كذلك هناك الكثير من البرامج الإذاعية والتلفازية التي تخدم الأديان الأخرى غير الإسلام، وخصوصاً المسيحية، وهذا يرجع إلى وجود الممولين لهذه الأعمال من داخل روسيا وخارجها.

ونسأل الله عز وجل أن يقوم خيرة أبناء المسلمين في مختلف بقاع الأرض بأعمال مكثفة لخدمة دين الله الحق في بلادنا.

● كيف تنظرون إلى العلاقة بين مسلمي روسيا ومسلمي العالم في الوقت الحالي؟

- إن علاقة مسلمي روسيا مع مسلمي الخارج إيجابية بشكل دائم ولا يمكن للمؤسسات الإسلامية في روسيا أن تقوم بأعمال كبيرة من غير المساعدة والدعم من الخارج سواء كان دعماً مادياً أو معنوياً... وأن الإخاء والمحبة والمودة بين المسلمين فريضة... والمسلم أخو المسلم على اختلاف اللغات والبلدان والألوان.

ونحن نلمس هذا الإخاء من خلال تعاوننا مع الدول العربية والإسلامية وبخاصة دولة الكويت، حيث إنها تمد لنا يد العون والدعم في الأعمال الإسلامية.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن لجنة مسلمي آسيا التابعة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تقوم ببناء المساجد في بلادنا، كما أنها تدعم التعليم الإسلامي، وتترجم وتطبع الكتب الإسلامية باللغات الروسية، وتشارك في الندوات والمؤتمرات الإسلامية.

فكل الشكر والاحترام للعاملين في هذه اللجنة وأخص بالذكر الدكتور عادل الفلاح، الذي شارك بشخصه في كثير من أعمالنا المهمة في روسيا الاتحادية... كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع اللجان والهيئات الأخرى العاملة في خدمة الإسلام والمسلمين في شتى بقاع العالم.

ونشكر مجلة الوعي الإسلامي على إتاحة مثل هذا اللقاء الذي يلقي الضوء على المسلمين في روسيا الاتحادية ليتعرف عليهم مسلمو العالم. ■

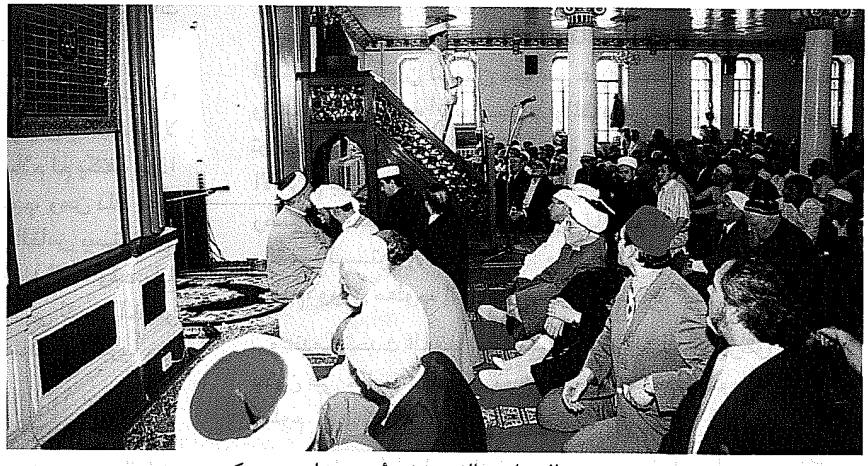

● تجمع للمسلمين الروس في أحد مساجد موسكو

بقلم : محمد عودة السلمان

نظام المواصفات والمقاييس في الحضارة الإسلامية

يعد نظام المواصفات والمقاييس من الأنظمة المعاصرة التي أقتضتها الظروف الاقتصادية التي يعيشها العالم، وقد نشأ هذا النظام مع بداية الثورة الصناعية في الدول المتقدمة، وواكب الطفرة الصناعية والعلمية بجميع مراحلها، وذلك من أجل تحقيق أعلى درجات الجودة للمنتج الصناعي حيث تتم مراقبة السلع الاستهلاكية في جميع مراحل إنتاجها وفقاً للمعايير والأسس التي وضعتها الهيئات العالمية المتخصصة بحيث تصل هذه السلع أو المنتوجات إلى المستهلك خالية من الغش أو العيوب المصنعية.

وليست الحاجة إلى المواصفات والمقاييس وليدة عصرنا الحاضر كما قد يتبادر إلى الذهن، إنما هي حاجة رافقت الإنسان في حياته اليومية منذ القديم وإن كان في صورة بسيطة تتلاءم مع حياة الإنسان الساذجة في تلك الأيام، وقد أبدت جميع الأمم القديمة اهتماماً بالمواصفات والمقاييس، لأنه ينظم العلاقة بين أفراد المجتمع في مجالات البيع والشراء، ولأنه يحقق أيضاً العدالة بين الناس، ولكن المسلمين فاقوا جميع الأمم الأخرى في هذا الصدد، لأن إحقاق الحق ورفع الغبن ومنع الغش واجبات دينية أمر بها الإسلام وتوعد المطففين بسوء العاقبة.

وقد ورد هذا الأمر الصريح أكثر من مرة وفي أكثر من سورة، منها قوله تعالى: (ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم) هود:٨٥، إلا أن الإسلام لم يكتف بهذا الأمر، بل ندد بالمخسرين وتوعدهم بعذاب عظيم، ومن ذلك قوله تعالى: (ويل للمطففين. الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون. وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) المطففين : ٣/١، وقد بلغ المسلمون في ذلك ما لم تبلغه أمة من الأمم، حتى لتبدو أخبار إقامة العدل وإحقاق الحق في تاريخنا الإسلامي ضرباً من الخيال.

وقد اهتم المسلمون منذ عهد النبوة بنظام المكاييل والموازين ونظام القياس والنقد، ومن يطالع كتب الفقه الإسلامي يجد الدليل على هذه العناية والاهتمام والتي تجلت في ضبط وحدات هذه النظم والتدقيق في تحديد مقاديرها وفقاً للمنهج العلمي التجريبي الرياضي، والدافع الأساسي لهذه الدقة هو أن وحدات الكيل والوزن والقياس تدخل في الأحكام الشرعية في المعاملات، فيها تؤدى بعض حقوق الله والعباد، كالصدقات والكفارات والزكاة، وما يتعلق بأمور التركات والأوقاف والمعاملات اليومية.

وعندما قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، أمر الرسول ﷺ أن تكون وحدات الكيل المتعامل بها في سوق المدينة المنورة ووحدات الوزن المتعامل بها في سوق أم القرى وحدات رسمية في الدولة الإسلامية، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة» (سنن أبي داود).

فكان قرار الرسول ﷺ هذا هو أول تشريع خاص بوحدات الكيل والوزن المستعملة في أمور التعامل اليومي، وكان أيضاً أول قانون في الإسلام سن لتوحيد نظام الكيل والوزن طبقاً لوحدات مكة والمدينة، حيث أصبحت هذه الوحدات نماذج رسمية في التشريع الإسلامي.

وقد اهتم فقهاء المسلمين بالمواصفات والمقاييس وبحثوا في هذا النظام كثيراً، وإن لم يكن كما هو عليه الحال اليوم من التقنين والضبط، واعتبروا المواصفات والمقاييس من الشروط الواجب توافرها في عقد السلم، وإن صحة هذا العقد تتوقف على مدى الالتزام بها استناداً إلى الحديث الشريف الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة وهم يسلفون بالتمر السنتين والثلاث قال : «من أسلف في شيء، ففي كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم» (صحيح البخاري).

وعندما تحدث الفقهاء عن شروط عقد السلم اشترطوا فيه أن يكون في جنس معلوم، ونوع معلوم، وصفة معلومة، ومقدار معلوم.

وهذا كله يدلنا على عنايتهم بما يسمى بالمواصفات، وما ذكره

الفقهاء في كتبهم هو بيان اهتمام الشريعة الإسلامية بإعطاء كل ذي حق حقه، وإن إتقان العمل والصدق والأمانة واجب شرعي نحن مأمورون به.

ولكن النفس الإنسانية كثيراً ما تكون أمارة بالسوء، وإذا كان بعض الناس يكفيهم وازع الأخلاق أو الإيمان للأخذ بمعايير العدالة والحق، فإن ثمة أناساً آخرون لا يردعهم إلا وازع السلطان، وعلى هذا فقد كان عند المسلمين قضاء لم يعرف له نظير بين الأمم يسمى «الحسبة» وكان عندهم «محتسب» يشرف على تطبيق المواصفات والمقاييس على الوجه الصحيح لا نجد له شبيهاً عند أرقى الأمم في تلك الأيام.

ولم تكن الحسبة مجرد تنظيم صوري خال من المضمون، بل كانت من أهم المناصب الملحقة بالقضاء، يسهر صاحبها «المحتسب» على مراقبة كل صغيرة وكبيرة بدءاً من منع الغش ومراقبة الموازين والمكاييل في الأسواق، وانتهاء عند مراقبة أرباب السفن ومنعهم من الإكثار في الحمل خشية الغرق، وهو في كل ذلك يستعين بأعوان يكلفهم بتفقد الموازين والمكاييل، ويفحص أصناف الأطعمة والمأكولات سراً وعلانية للتأكد من جودتها وخلوها من الغش، كما يستعين بثقات من أهل الأسواق، وبوجوه أرباب الصنائع ممن ثبتت أمانته لكي يطلعوه على أسرار تلك الصنائع ووسائل الغش التي قد يلجأ إليها أربابها، فلا يخفى عليها من أمورها عندئذ كثير ولا قليل.

وقد كانت وسائل مراقبة تطبيق المواصفات والمقاييس في الحضارة الإسلامية كثيرة، إلا أننا نستطيع أن نردها إلى أربع وسائل أساسية مختلفة هي:

١ ـ الموعظة والنصيحة، واستخلاف الباعة وأصحاب الحرف بألا يغشوا، وتخويفهم من مغبة الغش وما ينتظرهم من الحساب والعقاب يوم القيامة.

فقد ورد في شأن الدهانين مثلاً: «وكذلك الدهانون، يؤخذ عليهم قسم بالله العظيم أنهم يدهنون ما يبيعونه للناس ثلاث دهانات، لهم خاصة ولغيرهم عامة، ويشمسونه حتى يشبع شمساً قبل دفعه إلى أربابه».

إلا أنه من الواضح أن المحتسب لم يكن يلجأ إلى هذه الوسيلة ـ التي قد لا تجدي نفعاً مع بعض الباعة ـ إلا إذا كان الغش من النوع الذي يتعذر كشفه، كالدهن مرتين بدلاً من ثلاث.

٢ ـ خبرة المحتسب ومن يعمل معه في اختبار المواد، واكتشاف الغش والزيف عن طريق الذوق أو الشم، أو اختيار اللون وما إلى ذلك، إذ لم يكن ثمة أجهزة ومختبرات للتحليل الكيماوي، وهذا يقتضي بالضرورة أن يكون المحتسب وأعوانه من ذوي الخبرة والمعرفة بصنوف وأنواع التدليس، وأن يكونوا على علم تام بمقادير الأخلاط ونسبها. ومن صور هذا الاختيار ما ورد في اللبن الحليب: «يُعرف غش اللبن بأن يغمس فيه شعرة ثم يخرجها، فإن لم يعلق بها شيء من اللبن، يكون مغشوشاً بالماء، وإن علق باللبن عليها كان خالصاً».

ومن أمثلة العلم بمقادير الأخلاط ونسبها ما ورد في شأن بعض أنواع الحلوى: «فضريبة كل قنطار من السكر، له خمسون رطلاً من الدقيق يعمل في تأليفه، ومثقال من مسك عراقي، وخمسة أرطال من ماء ورد شامي، وقلب الفستق على ما جرت به العادة».

وقد ذكرت بعض كتب الحسبة طرقاً مختلفة لغش المواد الأولية مما قد يلجأ إليه الباعة، لكي يكون المحتسب وأعوانه على علم بهذه الطرق، فلا تجوز عليهم عند فحصهم لتلك المواد، ومن أمثلة ذلك ما ورد عن غش العسل: «ويعتبر عليهم ما يغشون به عسل النحل، فإن فيهم من يغشه بالماء، وعلامه غشه أن يبقى في زمن الشتاء محبباً كالسميد، وفي زمن الصيف مائعاً رقيقاً».

٣ ـ إشراف المحتسب بنفسه، أو بوساطة أعوانه وثقافة من أهل الأسواق، على عيارات المأكولات، وأخلاط المواد التي يشتريها الباعة مفردة ثم يركبونها كالعقاقير وبعض المأكولات كالحلوى والهريسة وغيرها.

ففي الحسبة على بائعي الهريسة مثلاً، يذكر مؤلف «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» أوسط عيار الهريسة ومقادير أخلاطها من لحم الضأن ولحم البقر، ثم يقول: «ثم ينزل في القدر بحضرة العريف، ثم يختم بخاتم المحتسب، فإذا كان وقت السحر حضر العريف وكسر الخاتم، وهرسوها بحضرة العريف لئلا يشيلوا اللحم منها».

٤ ـ مراقبة الموازين بين حين وآخر للتثبت من دقتها، وفحص المكاييل على الدوام للتأكد من صحة حجومها، ومعاييره صنج الأوزان لمعرفة مدى صحتها.

كما يتعين على المحتسب وأعوانه أن يكونوا عارفين بالمكاييل المختلفة، وبأجزاء كل منها وإضعافه، فقد كانت البلاد الإسلامية تعج بعشرات المكاييل المختلفة، وكان لكل من هذه المكاييل أجزاء وأضعاف ومعرفة المحتسب وأعوانه لكل من هذه المكاييل ضرورية جداً لمنع الباعة من التدليس والتحايل، إذ يجب أن يمنع البائع مثلاً من اتخاذ مكاييل ليست من الأجزاء أو الأضعاف التي يتعامل بها.

وقد أنشئت في البلاد الإسلامية دور للعيار تعير وتباع فيها الموازين والصنج، وكثيراً ما كان المحتسب يستدعي الباعة ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم، فتعاير ويتلف الناقص منها ويلزم البائع بشراء نظيره مما هو محرر بدار العيار.

نخلص من كل ما سبق إلى أن نظام المواصفات والمقاييس عند المسلمين كان على أدق ما يكون فيما يتعلق بعمليتي الوزن والكيل.

أما فيما يتعلق بكشف الغش في المواد الغذائية المختلفة كالحليب والزيت والعسل والأطعمة التي تتركب من أخلاط عدة كالحلوى، فقد كانوا يلجؤون في ذلك إلى وسائل بسيطة تعتمد على الذوق تارة وعلى الخبرة تارة أخرى، لعدم وجود مختبرات تقوم على التحليل الكيماوي، ولعدم وجود أجهزة تكشف تغير الوزن ا لنوعي للمادة المفحوصة. ■

بقلم : اللواء / محمد جمال الدين محفوظ

إنشاء أول أسطول إسلامي في التاريخ

(من أبرز صفحات تاريخ الإسلام أن من أجداد المسلمين الأوائل وهم رجال البادية، استطاعوا أن يقتحموا - بعد عهد النبوة - مجالاً جديداً عليهم هو الحرب البحرية، وأن يدخلوا السلاح البحري وحرب الأساطيل وصناعة السفن في استراتيجيتهم العسكرية للمرة الأولى في التاريخ).

وهذا الحدث التاريخي يوجه أنظار أمتنا الإسلامية إلى أمور عدة تستحق أن نتدبرها بكل وعي:

الأمر الأول: هو أن العلم هو «مفتاح التقدم والقوة»، ومن العلوم التي أشار القرآن الكريم إلى خطرها، وأشاد بقيمة المهارة فيها العلوم العسكرية والصناعات الحربية وجملة الفنون التي تحتاج إليها الأمة في الدفاع عن حقوقها ووجودها، والتي يحرص المسلمون على ألاّ يدعو غيرهم» يسبقهم «في أي علم يكون له دخل في توفير القوة لهم والله تعالى يقول: (الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الجاثية: ١٢ - ١٣.

والأمر الثاني: هو أن المسلمين الأوائل ما كان عليهم من حرج أن يتعلموا من الناس أنواع الخبرة التي يحتاجونها، وقد مهروا فيما وقفوا عليه، واستغلوه في نشر الإسلام وحرب أعدائه.

والأمر الثالث: أن المسلمين «استوعبوا» ذلك الفن الجديد بسرعة فائقة ثم جوّدوا فيه وأضافوا إليه حتى استطاعوا أن يواجهوا أقوى أساطيل زمانهم وهو الأسطول البيزنطي في البحر الأبيض المتوسط «فهزموه» في معركة ذات الصواري العام ٣٤ هجرية، وقد سجل التاريخ بذلك «نهاية السيطرة البحرية البيزنطية وبداية عصر القوة في تاريخ البحرية الإسلامية».

العرب والبحر

وقبل الإسلام لم يكن العرب يعرفون ركوب البحر إلا ما كان من سفائن ممالك حِمْيَر وسبأ في أيام التبابعة لأنهم كانوا أهل تجارة في البر والبحر، أما عرب الحجاز فكانوا يخافون ركوب البحر، وليس ذلك بمستغرب من قوم قضوا حياتهم في صحراء قفراء، لا سبيل لهم إلى البحر ولا مصلحة لهم فيه، إذ كانوا يستغنون عن البحر بطريق البر في التجارة والانتقال بين شبه الجزيرة والشام ومصر.

وكان الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - متخوفاً من البحر، وكان يحرص على ألا يفصل بينه وبين المسلمين ماء، فبعد فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص «قائد فتح مصر» أن صفْ لي البحر، فكتب إليه: «أن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف. دود على عود» فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه، وهذه الرهبة من البحر هي التي جعلت الفتوحات الإسلامية خلال هذه السنوات العشرين الأولى (العراق والشام ومصر) تنحصر في «ميادين البر» دون البحر.

بناء الأسطول ضرورة استراتيجية

لكن المسلمين سرعان ما أدركوا من تطور أحداث الفتوح والدروس المستفادة منها أن بناء أسطول إسلامي «ضرورة استراتيجية» :

١- فخلال سنوات الفتح الإسلامي بين العام ١٣ إلى ٣٠ من الهجرة (٦٣٤ - ٦٥٠م) لم يجد المسلمون عدواً لهم في معاركهم أقسى من البحر وما يأتي منه من أخطار، فبينما كانت مدن الشام «الداخلية» تتساقط دون عناء، كانت موانئ الساحل تصمد طويلاً، وتتحمل الحصار بسبب «إمدادها المستمر عن طريق البحر» ومن ذلك على سبيل المثال أن قيسارية لم تسقط إلا بعد حصار دام سبع سنوات بدأ من جمادى الأولى سنة ١٣هـ إلى شوال سنة ١٩هـ.

٢- وبينما كانت مدن «الداخل» تخضع للمسلمين بعد فتحها وتسلم إليهم مقاليد ولائها، كانت مدن الساحل دائمة الفتن والثورات والاضطرابات بسبب تحريض الروم «البيزنطيين» ووجود «اتصال بحري» بينهما وبين تلك المدن، حتى لقد تمكنت مدن كثيرة منها أن تنشق بمعونة الأسطول البيزنطي عن الحكم الإسلامي.

٣- وكان الأسطول البيزنطي - عندما يدرك استحالة المقاومة والصمود أمام الحصار الإسلامي للموانئ في الشام ومصر - يتولى إجلاء الجنود والمدنين منها لحمايتهم من ملاحقة المسلمين، فكان المسلمون حين يدخلونها يجدونها خالية تماماً من السكان.

٤- وشواطئ الدولة الإسلامية امتدت من طرسوس شمالاً إلى برقة جنوباً وهي أكثر من ١٥٠٠ ميل، وهذه الشواطئ الطويلة تواجه تهديداً خطيراً من البيزنطيين وأساطيلهم فكان لابد من حمايتها والدفاع عنها ضد الغزو البحري... لكل هذه الأسباب، كان إنشاء الأسطول البحري الإسلامي ضرورة استراتيجية، وقد مرت عملية إنشائه بمرحلتين :

المرحلة الأولى : استخدام غنائم المسلمين من البحرين البيزنطية:

فقد تمكن المسلمون من إنشاء «نواة» الأسطول مما غنموه من السفن البيزنطية خلال فتوح الشام ومصر، كما أنهم استولوا على دور صناعة السفن البيزنطية في سورية ومصر سليمة، هذا فضلاً عن ما كان تحت أيديهم من السفن التجارية التي يملكها المصريون والسوريون، وهي مما يمكن استخدامها في أغراض الحرب مع ما يكفيها من ملاحي تلك الثغور الخبيرين بشؤون الملاحة.

المرحلة الثانية: صناعة السفن

وبدأ المسلمون في صناعة السفن في دور الصناعة في الشام ومصر وقد ساعد على ذلك أمران :

١- توافر المواد الخام كالأخشاب التي تصنع منها ألواح السفن والصواري والمجاديف، وكذلك معدن الحديد وغير ذلك من المواد التي توافرت في مناطق متعددة في مصر والشام.

٢- توافر الأيدي العاملة الماهرة في صناعة السفن ممن كانوا يشتغلون في دور الصناعة في مصر والشام.

الإفادة من الخبرات البحرية في الشام ومصر:

وكان من الطبيعي أن يفيد المسلمون من «الخبرات البحرية» في الشام ومصر بعد فتحهما فكان ذلك من أكبر العوامل التي ساعدت على بناء الأسطول الإسلامي وتحصيل المسلمين للمعارف البحرية واكتسابهم لمهاراتها وفي ذلك يقول ابن خلدون: ... حتى إذا كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه «أي البحر» والجهاد على أعواده، والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه، كالروم والإفرنج لممارستهم أحواله ومرباهم في التغلب على أعواده، حيث مرنوا عليها وأحكموا الدراية بثقافته، فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم صارت أمم العجم خَوَلاً لهم «أي تابعين لهم» وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجتهم البحرية أمماً وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته، استحدثوا بُصَراء بها «أي خبراء» فشرهوا إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن فيه، والشواني «السفن الحربية الكبيرة» وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح، وأمطوها «أي أركبوا فيها» العساكر المقاتلين لمن وراء البحار من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والأندلس.

غرس الوعي البحري:

وخلال خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ معاوية بن أبي سفيان والي الشام في تقوية حصون الساحل ومدنه ووضع لهذه المدن نظاما عُرف بالرباط حيث يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرّضة لإغارات الأساطيل البيزنطية، ولتكون ملجأ يحتمي بها الأهالي في المناطق الساحلية بأن يأخذوا حذرهم إذا لاح خطر السفن البيزنطية في المياه الإقليمية، فكان الحصن في الرباط يضم حجرات ومساكن للجند، ومخازن للأسلحة والمؤن، وبرجاً للمراقبة ثم لم يلبث الرباط أن اتسع وزادت أهميته حتى أصبح «قاعدة للهجوم وشن الغارات»، فلما وليَّ الخلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - خطا معاوية خطوة ثانية في متابعة سياسته البحرية، فشجع الناس على النزوح إلى المناطق الساحلية لينمّي عندهم ملكة ركوب البحر ويغرس فيهم الوعي البحري، وقد ساعد على ذلك أن عثمان بن عفان أمر بمنح كل راغب في الإقامة بالمدن الساحلية إقطاعات من الأرض ليستغلها ويتمتع بخيرها. فعمرت السواحل بذلك ولم يعد المسلمون يخشون خطر البيزنطيين أو عدوانهم وذلك بفضل وجود الجيوش والحاميات بصفة دائمة في تلك المدن أو الموانئ الساحلية للدفاع عنها، ثم إنه بفضل تلك السياسة أصبح للمسلمين «قواعد بحرية» لبناء الأساطيل وانطلاقها منها للقيام بالعمليات البحرية.

الدروس المستفادة:

١- قهر التحديات بالعقيدة والإيمان والعمل: لقد كانت أمام المسلمين تحديات جسام :

١- فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر فضلاً عن القتال فيه.

٢- وعدوهم الرئيس «قوة عالمية عظمى» لديها قوة بحرية «منحتها السيادة في البحر الأبيض المتوسط» حتى أصبح يسمى بالبحيرة الرومانية أو البحر الرومي كما يقول ابن خلدون.

٣ - والأفق الاستراتيجي وعنصر الزمان «ليسا في صالحهم» فهم في «حال حرب» مع هذا العدو، يفتحون من الأراضي التي تحت يده أغلاها وأغناها، فلابد وأن يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى استرداد تلك الأراضي من ناحية، «ومنعهم من بناء» قوتهم البحرية من ناحية أخرى، لكن المسلمين «لم يقفوا مكتوفي الأيدي» أمام تلك التحديات الجسام، بل «اقتحموا» مجال بناء الأساطيل البحرية، مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية وهي قوة العقيدة والإيمان، والوفاء بتكليف الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته.

فاقبلوا على العمل بأمر ربهم: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) مصممين على تجريد عدوهم من تفوقه في فنون الحرب البحرية حتى وصلوا إلى المستوى الذي وصفه ابن خلدون بقوله: «إن المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم وأن أساطيلهم سارت فيه جائية وذاهبة من صقلية إلى تونس، والرومان والصقالبة والفرنجة جميعاً تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية، ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التي ضَرِيَتْ عليهم كضراء الأسد على فريسته» (أي لاحقتهم وطاردتهم).

٢ - ضرورة تجاوز مرحلة نقل التكنولوجيا

لم يقف المسلمون - حين استعانوا بغيرهم في حاجتهم البحرية أول الأمر - عند حدود النقل، بل تجاوزوها حتى كانت لهم - بعد فترة قصيرة من الزمان - خبراتهم الخاصة في كل مجالات الحرب البحرية، وذلك مطلب حيوي، لكل أمة تقتضي ظروفها الاستراتيجية أن تأخذ عن غيرها من الأمم شيئاً من المعارف أو الخبرات، فذلك هو السبيل إلى بناء «القوة الذاتية» التي ترهب الأعداء. وذلك ما عبر عنه ابن خلدون حين ذكر أن المسلمين أصبحو خُبراء في الفنون البحرية فقال: «استحدثوا بصراء بها» كما قدمنا.

وإذا كان المسلمون في النصف الأول من القرن الأول الهجري، قد فعلوا ذلك - بشهادة التاريخ - فإن المسلمين اليوم مطالبون بذلك بصورة أقوى وأسرع، فالتقدم والتطور في عصرنا بالغ السرعة، وملاحقته «سباق مع الزمان»، والنصر في الحرب لمن يسيطر «قبل خصمه» على العلم والأساليب العلمية والعملية للقتال وإدارة الصراع. ■

بقلم : أ.د. محمد الزحيلي

مكانة العرب في القرآن بين التشريف والمسؤولية

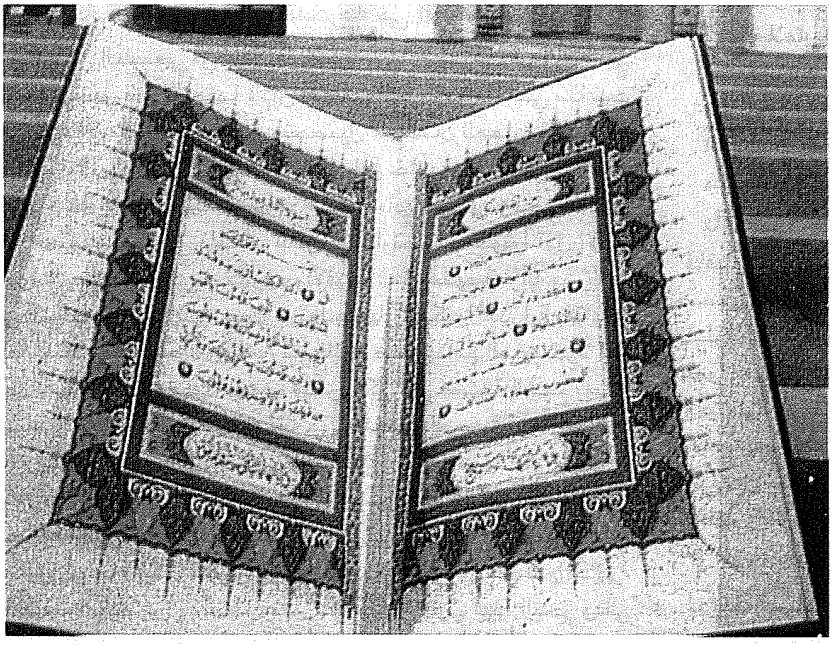

لقد حدد القرآن الكريم مبادئ الإسلام الخالدة، وبيَّن القيم الواقعية للحياة، ورسم المنهج القويم للأمة والأفراد بالاعتدال والوسطية، وما يتفق مع الفطرة البشرية، والثوابت الطبيعية، والمتغيرات الكونية، والتطورات العلمية.

ويصدر بعض الناس لرؤية هذه المبادئ والقيم من جانب واحد، مما يؤدي إلى الانحراف والشذوذ والتطرف، ويتضاعف الأمر سوءاً عند التطبيق العملي لهذه الرؤى الجانبية، فيظهر في المقابل شذوذٌ آخر، وتطرف معاكس، وانحراف شديد.

ومن الأمثلة النظرية والعملية على ذلك ظهور الآراء المتعارضة والمتناقضة والمتطرفة عن العرب والعروبة في العصر الحديث، فتجاذب الناس فيها الآراء والأفكار، وتفاوتت الدراسات والنظريات.

وتصحيحاً لهذا المسار لابدَّ من الرجوع إلى منبع الإسلام الصافي، وكتابه الخالد، وبيانه المحفوظ، الذي تكفّل الله برعايته، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تكدره الدِّلاء، ولا ينضب معينه، وهو القرآن الكريم الذي ذكر العرب والعروبة والعربية في آيات كثيرة، ومناسبات كثيرة، تستحق الدراسة التفصيلية، والتحليل الدقيق، لوضع النقاط على الحروف، وبيان الحق، ومعرفة الصواب، والوصول إلى السداد، ونضع أيدينا على مواطن العدل، لبيان مكانة الأمة العربية في القرآن الكريم، والإسلام الحنيف، وما شرَّف الله به هذه الأمة، وما حمَّلها من مسؤولية.

يقول الله عزَّ وجلَّ: (فاستمسك بالذي أُوحي إليك، إنك على صراط مستقيم. وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون) الزخرف: ٤٣-٤٤.

وفي هذه الآية يخاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ، ويأمره بالتمسك بالوحي والذكر والقرآن والإسلام الذي أنزله الله عليه، وما فيه من أحكام شرعية، وأخلاق سامية أو أوامر جلية، ونواهٍ واضحة، وقواعد محكمة، ومبادئ ثابتة، وأخبار صادقة، وتوجيه حكيم، وإرشاد قويم، وعقيدة خالصة، وغذاء روحي صاف.

وهذا الخطاب للأمة أجمع، لأن خطاب النبي ﷺ خطاب لأمته، كما يقرر علماء

الأصول، فالأمة مأمورة بأن تتمسك بالوحي، وتسير عليه، وتلتزم بأحكامه وتقتفي خطاه، وتعضّ عليه بالنواجذ، دون أن تأبه لتكذيب المذكبين، وإعراض المعرضين، واستهزاء المستهزئين، وغفلة الناس الغافلين، لأن التمسك بالقرآن والذكر هو الصراط المستقيم الذي أنزله الله تعالى هداية للبشرية، وإرشاداً للخير والبر، والصلاح والتقوى، والفوز والفلاح، وهو الذي يوصل إلى الله ورضاه وثوابه، وهذا ما بيّنه القرآن العظيم في قوله: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام:١٥٣، وقوله تعالى: (وهذا صراط ربك مستقيماً) الأنعام:١٢٦، وهو وظيفة النبي ﷺ، والعلماء من بعده، والدعاة والمصلحين في كل عصر، كما بينه القرآن الكريم بقوله تعالى: (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) المؤمنون:٧٣، وعندئذ يفوز الناس برضوان الله تعالى في الدنيا، ويحصلون على ثوابه في الآخرة، وهو ما أراده الله تعالى بقوله: (وإنه لذكر لك ولقومك) الزخرف:٤٤.

فالضمير في «إنه» للقرآن أو للإسلام، والذكر هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ هم قريش وسائر العرب، قال ابن عباس في (وإنه لذكر لك ولقومك): إن القرآن شرف لك، وعند السُّدى قال: شرف لك ولقومك يعني القرآن، وقال ابن زيد: أو لم تكن النبوة والقرآن الذي أنزل على نبيه ﷺ ذكراً له ولقومه؟(١)، وقال ابن جزيء: «فإنهم نالوا بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت منهم الخلافة والملك...، وورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش، ويحتمل أن يريد بالذكر التذكير والموعظة، فقومه على هذا أمته كلهم، وكل من بعث إليهم»(٢).

وقال القرطبي: «القرآن شرف لك ولقومك من قريش، إذ نزل بلغتهم، وعلى رجل منهم، نظيره: (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم) الأنبياء:١٠، أي شرفكم، فالقرآن نزل بلسان قريش، وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلهم إلى لسانهم، كل من آمن بذلك، فصاروا عيالاً عليهم، لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الأمر والنهي، وجميع ما فيه من الأبناء، فشرفهم بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سمي عربياً»(٣).

فالله سبحانه وتعالى شرّف الأمة العربية بالإسلام، وحمل راية القرآن، وتبليغ دعوة السماء إلى شعوب الأرض، وجعل وحيه وكلامه في لسان العرب، فاختارهم على غيرهم من الأمم لحمل رسالته، واختار منهم محمداً ﷺ ليكون رسولاً مصطفى، ونبياً مبلغاً، ومعلماً للبشرية، ومربياً للأمم والأفراد، وجاء في الحديث الشريف عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من بني قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(٥)، وفي رواية «فأنا خيار من خيار من خيار».

والله سبحانه وتعالى اختص العرب برسالة الإسلام التي جعلت من القبائل العربية أمة واحدة، ذات مقومات ثابتة، وأسس راسخة، وبلّغ النبي ﷺ العرب دعوة السماء، فرفع من شأنها في الكون، وأعلى من قدرها بين الأمم، وبدّل ذلها عزاً، وضعفها قوة، وجهلها علماً وتفرقها وحدة، وتمزقها اعتصاماً بحبل الله المتين، وعداوتها محبة وتعاوناً وتكافلاً، وتغيرت مفاهيم الجاهلية والعصبية والقبلية إلى قيم عليا، ومبادئ سامية، ومفاهيم حضارية، وشريعة إنسانية، فزكت هذه الأمة على غيرها، مصداقاً لقوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة:٢.

وتبوأ العرب مكانهم تحت الشمس تحقيقاً لقوله تعالى: (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً) طه:١١٣. وقوله تعالى: (ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) القصص:٥، ولم يبق هذا الكلام وهماً وخيالاً، وأملاً نظرياً، بل أصبح وجوداً واقعاً، وأمراً ملموساً، وحضارة حقيقية، تنفيذاً لوعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد في قوله عز وجل: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور:٥٥.

وفجر القرآن الكريم طاقات العرب الكامنة، ووجهها نحوالخير والعطاء، والإنتاج والإبداع وأظهرها على وجه البسيطة، وكرّس جهودها نحو البناء والعلم والحضارة، وأثبت وجودها في العالم، وخلد ذكرها في الكون حتى تقوم الساعة، وأصبحت العربية والعروبة غير مقصورة على العرب، بل صارت لغة الإسلام والمسلمين، ولغة عالمية في الذيوع والانتشار والاستعمال.

وبما أن العرب هم أصحاب الرسالة والدعوة واللغة التي نزل فيها القرآن، فهم أقدر الناس على وعيه وفهمه وتفسيره وتطبيقه والوقوف على حدوده، وأوامره ونواهيه، ومبادئه وقيمه، لقوله تعالى: (كتاب فُصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فصلت:٣، ولذلك استحقوا بجدارة أن يتولوا القيادة والريادة الفكرية والسياسية، وكان قيامهم بهذه المهمة الجسيمة والمقدسة مؤشراً على سلامة المسلمين وحسن أوضاعهم، ووجودهم في المكان الذي أراده الله لهم، والعكس بالعكس، وهذا

ما نبه إليه رسول الله ﷺ بقوله : «إذا ذلت العرب ذلَّ الإسلام»(٦).

وهذا لا يعني العنصرية للعرب، ولا يفيد أن العرب شعب الله المختار، يستحق الشرف والعزة والسيادة لذاته، ويطلب تسخير بقية الشعوب والأمم، ولكن يعني أمراً واحداً، وهو أن الإسلام لابدَّ أن يبقى عربي اللسان والفهم والمضمون، وأن كل من تكلم العربية، وفهم القرآن فهو عربي، بلا تمايز، ولا تفضيل لقوم على قوم.

وإن الأمة العربية بالنسبة للإسلام والمسلمين بمنزلة الرأس من الجسد، ولا شك أن الرأس يفضل على سائر الأعضاء، ويشرف على بقية الجوارح، لأن فيه الدماغ، والأجهزة الحساسة، ومعظم حواس الإنسان من السمع والبصر والشم والذوق وتثبت له هذه الأفضلية إذا كان عاملاً ونشيطاً وفاعلاً، أما إذا أصبح خاملاً، معطل النشاط، واعتراه الكسل، فلا فضل له على غيره، وقد تصبح بقية الأعضاء أفضل منه، وأكثر نفعاً وخدمة لصاحبها.

وإن الإسلام لا يفضل قوماً على قوم إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا لا يتنافى مع اختيار العرب للقيام بأعباء معينة، ومسؤولية خاصة، فإن قاموا بذلك نالوا الأجر والثواب والشرف، وإن شاركهم غيرهم به اكتسبوا الأجر والثواب نفسه، مصداقاً لقوله تعالى: (يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) الحجرات:١٣.

وإن الإسلام والدين والقرآن فضل من الله تعالى للبشرية جميعاً، وتشريف للإنسانية، والعالم أجمع، وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم في قوله تعالى: (إن هو إلا ذكر للعالمين) ص:٨٧، أي شرف وتكريم وتذكير للناس أجمعين، وهو القول الثاني لعلماء التفسير في قوله تعالى: (وإنه لذكر لك ولقومك) الزخرف:٤٤، قال القرطبي: «وقيل: بيان لك ولأمتك، فيما بكم إليه حاجة، وقيل: تذكرة تذكرون به أمر الدين وتعملون به... قال الماوردي: «ولقومك» فيه قولان: أحدهما من اتبعك من أمتك...، والثاني: لقومك من قريش... قلت: والصحيح أنه شرف لمن عمل به، كان من قريش أو من غيرهم».(٧)

وإن الله سبحانه وتعالى اختار الأمة العربية لتلقّي الوحي، وحمل الرسالة، وشرف الأمانة، وهو اختيار تكريم وإعزاز، فإن قامت به استحقت الفضل بعملها على غيرها، وتبوأت مكان الصدارة بما تبذله من جهد وتضحية وعطاء، واستحقت بجدارة أن تتولى الريادة للأمم، والقيادة للشعوب، وتوجيه الناس نحو البر والخير، والحق والعدل، والفضيلة والسعادة، والسيادة والسؤدد، وليس للاستعمار والاستبداد، ولا للعنصرية القومية، ولا للعنجهية والتسلط.

والدليل على الجمع بين الأمرين - بعدم تفضيل العرب ذاتياً على الأقوام الأخرى، لمجرد الجنس والدم والعرق، وإنما بالعمل والجهد والبذل - قول الحق تبارك وتعالى، مخاطباً الأمة العربية: (إلا تنفروا يُعذّبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير) التوبة:٣٩، وأكد ذلك القرآن الكريم فقال تعالى: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) محمد:٣٨.

فدين الله باق حتى تقوم الساعة، وشرعه خالد على مر العصور، فمن عمل به استحق الأجر والثواب عند الله، ونال الثواب في الآخرة، وثبت له حق السيادة والولاية، وتفضل على غيره بفهم القرآن والإسلام والعمل بأحكامه، وتقدم على الأمم بما جناه، وهذا من سنن الله الكونية، ومن تخلى عن ذلك أو قصَّر فإن الله يسخر لدينه وشرعه من يقوم عليه، ويدعو إليه، ويسهر على نشره، ويذود عن حياضه، وينافح عن أهله، ويتولى رعايته والعناية به، حتى تبقى حجة الله قائمة على العباد، ويستمر فضله ونوره وهدايته على الخلق، وهذا ما حدث فعلاً في التاريخ الإسلامي ابتداء من زمن النبوة والخلافة الراشدة، ثم الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية، ثم ما قدمته الشعوب الإسلامية والأمم غير العربية، وتسابقت به الأقوام، وقامت من أجله الدول، لرفع راية الإسلام خفاقة سياسياً وثقافياً، وعلمياً وحضارياً وعقيدة وتشريعاً، وأخلاقاً وتراثاً، ووقفت في وجه الهجمات الاستعمارية، والحملات الصليبية والاجتياح الوثني، ووحشية التتار وغطرستهم.

وهذا يقودنا إلى التذكير بآخر الآية السابقة في مخاطبة العرب وغيرهم بقوله تعالى: (وسوف تسألون) أي تسألون عن العمل بالقرآن، وعن شكر الله تعالى على هذه النعمة، وأن الله تعالى سوف يسأل رسوله وقومه وأمته عن أعمالهم، ومدى التزامهم بأوامر الله تعالى، والانتهاء عن محارمه واجتناب معاصيه، والبعد عن المنكرات.(٨)

ولذلك حذر القرآن الكريم من الإعراض عن القرآن الكريم، وتنكب أحكامه، وهجر معانيه ، فقال تعالى على لسان رسول الله ﷺ : (يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) الفرقان:٣٠، وهو من الهجر بمعنى البعد والترك، أو أنهم قالوا فيه غير الحق، من أنه سحر وشعر، أو أن المشركين أعرضوا عنه، ولم يسمعوا له وكذبوا رسوله.

ونقل القرطبي حديثاً ضعيفاً رواه الثعالبي عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «من تعلَّم القرآن وعلَّق مصحفاً لم يتعاهده، ولم ينظر فيه، جاء يوم القيام متعلقاً به، يقول: يا رب العالمين، إن عبدك هذا اتخذني مهجوراً، فاقض بيني وبينه)(٩).

ويؤيد هذا المعنى أحاديث كثيرة وصحيحة تبين أن القرآن يأتي شفيعاً لأهله عندما يعملون به، ويتعهدونه بالتلاوة والتطبيق، ويكون حجة عليهم وخصماً لهم عند تركه والإعراض عنه.

وإن هذه الشكوى من هجر القرآن عامة في المشركين والمسلمين المقصرين والعاصين، وتشمل جميع المعرضين عن الإيمان بالقرآن الكريم، والعمل به، والتمسك بأحكامه وآدابه، وتدل على التحذير من هجر المصحف، وتفيد الحث على تعاهده بالقراءة والتلاوة والتطبيق.

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية: «هجر القرآن أنواع، أحدها: هجر سماعه والإيمان به، والإصغاء إليه، الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به، والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم، والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في الآية، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»(١٠).

وهكذا يظهر أن العروبة امتزجت بالإسلام، فصارا شيئاً واحداً، وصنوين لا ينفكان، وأصبح الإسلام في صميم العروبة، وجزءاً لا يتجزأ من كيانها ووجودها، وصار من أهم مقومات العروبة اللسان العربي والدين الإسلامي، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وأضحت العربية لغة عالمية من جهة، ولغة الحضارة والعلم بجميع فنونه من جهة أخرى، واقترن حب الإسلام مع حب العربية، وتزامن الدفاع عن العروبة والعربية مع الإسلام، كما تلازم الهجوم على العرب والعروبة مع الإسلام وبالعكس.

وإن الأمل معقود اليوم، وفي المستقبل، على تفاعل العروبة مع الإسلام لتحقيق النهضة المنشودة، والآمال الكبيرة، والوعد الإلهي لهذه الأمة بالتمكين في الأرض والقوة والسيادة، والتحرر والنصر، والعزة والكرامة، والرقي والتقدم، وإزالة الرقاد الطويل على العقول، وإزاحة الركام الكثيف في الطريق، والعودة إلى التشريع السماوي، وتصحيح المفاهيم، والسير على صراط الله المستقيم، الذي حدده القرآن العظيم في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف:١٠٨.

كما أن الأمل معقود اليوم، وفي المستقبل على الأمة العربية لتتبوأ مكانها اللائق ومجدها الأثيل تحت الشمس، وهي تمتاز بأربع صفات أساسية وهي:

١ ـ التحدث باللغة العربية التي أصبحت لغة عالمية من جديد، ودخلت في أروقة الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية، والعلوم العصرية، وتنتشر في أصقاع العالم الإسلامي.

٢ ـ التدين بالإسلام ديناً سماوياً وعالمياً وعلمياً، عقيدة وشريعة، ونظاماً وأخلاقاً تربيةً وسلوكاً وفكراً، وهو ما يمثل الرباط الروحي بين العرب وجميع المسلمين في أرجاء المعمورة.

٣ ـ الاعتماد على التراث الحضاري المشترك الذي خلفه الأجداد من جميع الشعوب والأقطار وطوال أربعة عشر قرناً، وروّاه السلف بدمه وقلمه، ودمعه وعرقه، ورفع مشعل النور للبشرية، وانتقل إلى أوروبا فكان أحد العوامل في نهضتها الحديثة.

٤ ـ موقعها الجغرافي، وثرواتها الطبيعية وقدرتها البشرية، وخيراتها المتكاملة وإمكاناتها السياسية.

وتؤكد المعطيات التاريخية الارتباط الوثيق لوجود العرب قديماً وحديثاً ومستقبلاً بالإسلام قوة وضعفاً، وازدهاراً وخمولاً، فكراً وحضارة، مع بقاء سر الإسلام وعظمته ومقوماته وخصائصه، ليغذي العرب بالترياق الشافي، والمحرك الدائم، والمذكر الناصح، كلما نزل بهم مكروه، أو جنح بهم زيغ، ليوقظ رقدتهم، ويحرك عواطفهم، ويثير فيهم النخوة، ويدفعهم للنهوض والتحرر والارتقاء، ويرفع عنهم الظلم والاستبداد، ويصون لغتهم.

وتحمل العرب بالمقابل، وبسبب هذا الدين الذي ارتضوه، والعقيدة التي حملوها، والرسالة التي نادوا بها، الشيء الكثير، وصار التآمر على العرب واضحاً بسبب الدين والإسلام والقرآن، وأضحى الهدف من القضاء على العرب هو القضاء على الإسلام، لأن المستعمرين والأعداء أدركوا أن قوة العرب تكمن في العناصر السابقة، وأهمها الإسلام.

نسأل الله تعالى أن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وأن يرزقنا الثبات عليه، والعمل بأحكامه، والفهم الدقيق لآياته، والنصر تحت رايته، والعزة في عقيدته، والحمد لله رب العالمين. ■

الهوامش:

١ ـ تفسير الطبري ٢٥/٧٦ ـ ٧٧.
٢ ـ التسهيل في علوم التنزيل، لابن جزيء ٤/٥٢.
٣ ـ تفسير القرطبي ١٦/٩٣.
٤ ـ هذا الحديث رواه الترمذي «تحفة الأحوذي ١٠/٧٤) والإمام أحمد (٤/١٠٧) وانظر: المنتخب من السنة ١/٥١.
٥ ـ هذا الحديث رواه مسلم (صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/٣٦).
٦ ـ هذا الحديث رواه أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه (كشف الخفا ١/٩٢).
٧ ـ تفسير القرطبي ١٦/٩٤.
٨ ـ تفسير القرطبي ١٦/٩٤، التسهيل ٤/٥٢، تفسير الطبري ٢٥/٧٧.
٩ ـ تفسير القرطبي ١٣/٢٧، وانظر: تفسير الطبري ١٩/٩، التسهيل ٣/١٦٧، تفسير القاسمي ١٢/٤٥٧٥.
١٠ ـ الفوائد، لابن القيم ص ١٥٦.

نظرات في كتاب الله - تعالى - 7/1

تفسير سورة «الفتح»

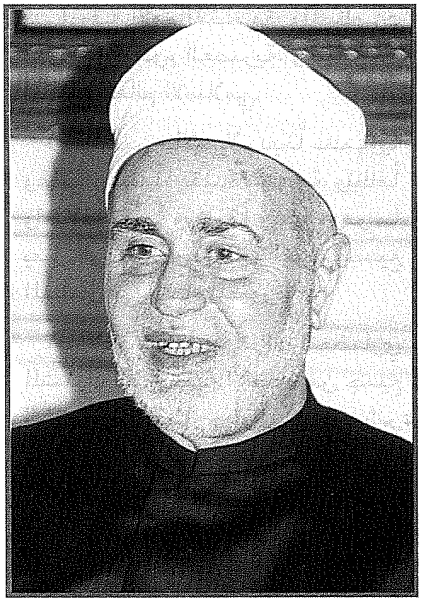

بقلم : فضيلة الدكتور
محمد سيد طنطاوي - شيخ الأزهر

قال الله تعالى :

(إنا فتحنا لك فتحاً مبينا. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتمَّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما. وينصرك الله نصراً عزيزاً) الفتح : ١ - ٣.

١ - سورة «الفتح» من السور المدنية - أي من السور التي كان نزولها بعد الهجرة -، وعدد آياتها: تسع وعشرون آية، وكان نزولها في أعقاب صلح الحديبية.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: «نزلت سورة «الفتح» حين رجع رسول الله ﷺ - من الحديبية، في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، بعد أن صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام، ليقضي عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا، ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكرّه من جماعة من الصحابة»(١).

٢ - والمتدبر للقرآن الكريم، يرى أن كثيراً من آياته وسوره، قد نزلت في أعقاب بعض الغزوات، ليتعلم المسلمون من تلك الآيات والسور، ما ينفعهم ويصلح من شأنهم.

فمثلاً في أعقاب غزوة «بدر» نزلت سورة الأنفال التي سماها ابن عباس سورة بدر.

وفي أعقاب غزوة «أحد» نزلت عشرات الآيات من سورة آل عمران، لتتحدث عن الدروس المستفادة من هذه الغزوة، وفي أعقاب غزوة «بني النضير» نزلت آيات عدة من سورة الحشر.

وفي أعقاب غزوة «الأحزاب» نزلت آيات طويلة من سورة الأحزاب، صورت أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم في هذه الغزوة.

وفي أعقاب الحديبية، نزلت هذه السورة الكريمة، وهي سورة «الفتح» التي حكت لنا الكثير من الوقائع والمحاورات التي تتعلق بهذا الصلح.

٣ - وقبل أن نبدأ في تفسير هذه السورة تفسيراً محرراً، نرى من الخير أن نعطي القارئ الكريم فكرة مختصرة عن صلح الحديبية، هذا الصلح الذي نزلت في أعقابه هذه السورة فنقول:

رأى النبي - ﷺ - في منامه أنه قد دخل المسجد الحرام هو وأصحابه، وقد صرحت سورة الفتح بذلك في قوله تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقن رؤوسكم ومقصرين لا تخافون...) الفتح: ٢٧.

فقص النبي - ﷺ - هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا بها، وكان المشركون قد منعوهم من دخول مكة، ومن الطواف بالمسجد الحرام.

وخرج - ﷺ - ومعه نحو أربعمئة وألف من أصحابه، ليس معهم من السلاح سوى السيوف في أغمادها، وساقوا معهم الهدي الذي يتقربون بذبحه إلى الله - تعالى -، ليكون دليلاً على أنهم لا يريدون حرب قريش، وإنما يريدون الطواف بالبيت الحرام.

وسار - ﷺ - من المدينة إلى مكة، فلما وصل إلى مكان يُقال له «عُسْفَان» بين مكة والمدينة، جاءه من يقول له: «إن قريشاً حين سمعت بمسيرك إلى مكة، قد استعدوا لقتالك، وقد تعاهدوا فيما بينهم على منعك أنت وأصحابك من دخولها.

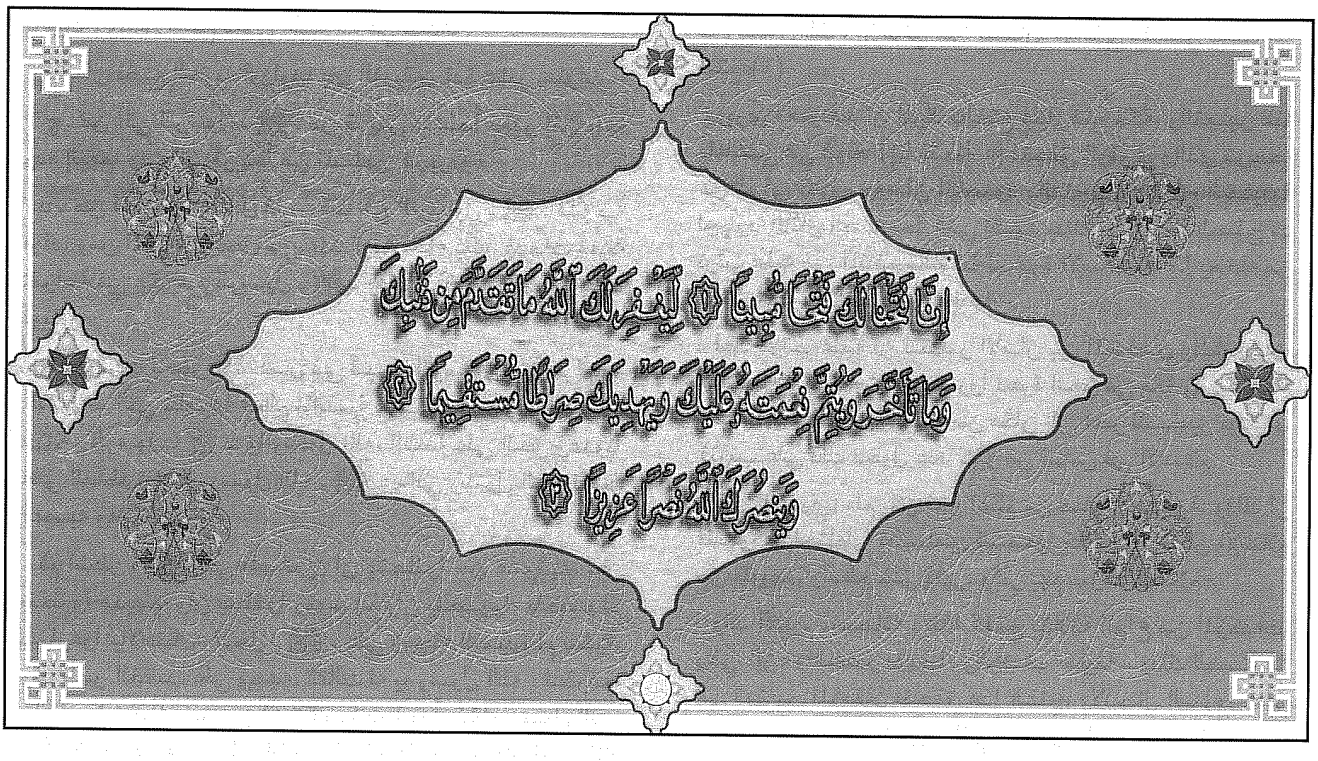

فقال - ﷺ - : يا ويح قريش!! لقد أكلتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم حتى يظهر الله تعالى دينه...».

ثم قال - ﷺ -: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من قبيلة أسلم: أنا يا رسول الله، ثم سلك بالمسلمين طريقاً وعراً، انتهى بهم إلى «الحديبية» وهي قرية على بعد مرحلة من مكة، أو هي بئر سمي المكان به باسمها.

وفي هذا المكان بركت القصواء، وهي الناقة التي كان يركبها النبي - ﷺ - فقال الناس: خلأت الناقة - أي: امتنعت عن المشي -، فقال رسول الله ﷺ : ما خلأت القصواء وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، والله لا تدعوني قريش إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها، ثم أمر - ﷺ - الناس بالنزول في هذا المكان.

٤ - وعلمت قريش بنزول الرسول - ﷺ - وأصحابه بالحديبية، فبدأوا يرسلون رسلهم لمعرفة الأسباب التي حملت المسلمين إلى المجيء إليهم، وكان من بين الرسل الذين أرسلتهم قريش بُدَيل بن ورقاء الخزاعي، فلما سأل الرسول - ﷺ - عن سبب مجيئه إلى مكة أخبره أنه لم يأتِ ليريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت الحرام، ومعظماً لحرمته.

وعاد بُديل إلى مكة، وأخبر المشركين بما قاله الرسول - ﷺ - ولكنهم لم يقتنعوا، وقالوا: والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً.

ثم أرسلت قريش رسلاً آخرين إلى النبي - ﷺ - كان من بينهم عروة بن مسعود الثقفي، فأخبره الرسول - ﷺ - أنه لا يريد حرب قريش وإنما يريد العمرة.

وعاد عروة إلى قريش ليقول لها: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً، وإنه قد أخبرني أنه ما جاء لمحاربتكم، وإنما جاء معتمراً... ومع ذلك فقد صمم المشركون من أهل مكة، على عدم دخول الرسول - ﷺ - وأصحابه عليهم في مكة.

٥ - ثم أرسل النبي - ﷺ - عثمان بن عفان إلى مشركي مكة، لكي يخبرهم بأن المسلمين ما جاؤوا للحرب، وإنما جاؤوا للطواف بالبيت الحرام، وذهب إليهم عثمان وأخبرهم بذلك، ولكنهم صمموا على منع المسلمين من دخول مكة، وقالوا لعثمان رضي الله عنه - إن شئت أنت أن تطوف بالبيت الحرام فافعل، فإننا قد أذنّا لك في ذلك، فقال لهم: معاذ الله أن أطوف أنا حتى يطوف رسول الله - ﷺ - وطال مكث عثمان - رضي الله عنه - في مكة، حتى أشيع بين المسلمين أنه قد قتله المشركون، فقال رضي الله عنه حين أشيع ذلك: والله لا نبرح حتى نناجز القوم إن كانوا قد قتلوا عثمان»، ودعا المسلمين إلى مبايعته على الموت، فبايعه المسلمون على ذلك تحت شجرة الرضوان.

٦ - وأخيراً أرسلت قريش إلى النبي ﷺ - رجلاً منهم اسمه سهيل بن عمرو، ليعقد صلحاً جامعاً مع المسلمين، وبين محاورات بين سهيل وبين النبي ﷺ - تم الصلح على ما يلي:

أ - أن يرجع المسلمون دون زيارة البيت الحرام هذا العام، فإذا كان العام القابل، أخلت قريش لهم مكة ثلاثة أيام، ليطوفوا

بالبيت ، وليس معهم سوى السيوف في غمدها.

ب - أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنوات.

ج - من أتى الرسول - ﷺ - من قريش مسلماً بغير إذن وليه رده إليهم، ومن أتى قريشاً من المسلمين لم يردوه.

د - من أحب أن يدخل في عقد مع الرسول - ﷺ - فله ما أراد، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش فله ذلك، فدخلت قبيلة خزاعة في عقد مع الرسول - ﷺ - ودخلت قبيلة بكر في عهد قريش.

ولقد تردد بعض المسلمين في قبول الرسول - ﷺ - لهذه الشروط، التي ظاهرها الظلم بالنسبة للمسلمين، حتى قال عمر - رضي الله عنه - للرسول - ﷺ -: يا رسول الله، ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ فقال رسول الله - ﷺ -: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري».

ثم أشار - ﷺ - إلى المسلمين أن يتحللوا من عمرتهم، بأن ينحروا هديهم، وأن يحلقوا رؤوسهم وأن يقصروا، ولكنهم لم يسارعوا بالامتثال، فدخل - ﷺ - على زوجته السيدة أم سلمة، وقد ظهر الغضب على وجهه، فقالت له يا رسول الله : اعذرهم، وابدأ بما تأمرهم به دون أن تكلم منهم أحداً، فقام رسول الله - ﷺ - فنحر هديه، ودعا حالقه فحلق له، فلما رأى المسلمون ذلك منه - ﷺ - قاموا ففعلوا كما فعل.

وبعد أن أقام المسلمون بالحديبية أياما عدة، قفلوا راجعين إلى المدينة، وعندها سمع رسول الله - ﷺ - بعضهم وهو يقول: رجعنا دون أن نفعل شيئاً، فردّ عليه بقوله: «بل فتحتم أعظم الفتح».

وصدق رسول الله - ﷺ - فقد كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً ، كما نرى ذلك عند تفسيرنا لهذه السورة الكريمة.

٧ - ومن الأدلة على أن هذا الصلح كان شيئاً عظيماً بالنسبة للمسلمين، افتتاحها بهذه البشارات السامية، وبتلك المدائح العالية، التي فيها ما فيها من الثناء على النبي - ﷺ - حيث قال سبحانه: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً).

والفتح في اللغة معناه: إزالة الأغلاق عن الشيء، وفتح البلد معناه: الظفر به ووقوعه تحت سيطرة الفاتح، والمراد بالفتح هنا: صلح الحديبية وما ترتب عليه من خيرات كثيرة، ومنافع جمة للمسلمين.

ويشهد لذلك أحاديث متعددة، منها: ما جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: أقبلنا من صلح الحديبية مع رسول الله - ﷺ - فبينما نحن نسير إلى المدينة، إذ أتاه الوحي، فلما سرى عنه، أخبرنا أنه أنزل عليه: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً).

وروى أبو داود في سننه، عن مجمع بن جارية الأوسي قال: شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا منها، وجدنا رسول الله - ﷺ - واقفاً عند كراع الغميم - وهو موضع بين مكة والمدينة - وقد جمع الناس وقرأ عليهم: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)، فقال رجل يا رسول الله، أوَ فتح هو؟ فقال: «والذي نفسي بيده إنه لفتح»(٢).

ويرى بعضهم أن المراد بالفتح هنا: فتح مكة، والتعبير عنه بالماضي في قوله: (إنا فتحنا...) لتحقق الوقوع، والذي نرجحه هو الرأي الأول، وهو أن المقصود بالفتح هنا: صلح الحديبية لوجود الآثار الصحيحة التي تشهد بذلك، ولأن هذا الصلح قد ترتب عليه من المنافع بالنسبة للدعوة الإسلامية، ما يجعله من أعظم الفتوح إن لم يكن أعظمها.

لقد ترتب عليه أن انتشر الأمان بين المسلمين والمشركين، فاستطاع المسلمون أن ينشروا دعوة الحق في مكة وفي غيرها، كما استطاعوا أن ينتقلوا من مكان إلى آخر للتبشير بيدنهم، فترتب على ذلك دخول عدد كبير من الناس في الإسلام.

قال الزهري: «لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم، وتمكّن الإسلام من قلوبهم، وأسلم خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام».

وقد أكد - سبحانه - هذا الفتح بثلاثة أنواع من المؤكدات، وهي «إن» والمصدر «فتحا» والوصف «مبيناً»، وذلك للمسارعة إلى تبشير المؤمنين بتحقق هذا الفتح، ولإدخال السرور على قلوبهم، بعد تلك الشروط التي اشتمل عليها صلح الحديبية، والتي ظنَّ بعضهم فيها إجحافاً بالمسلمين.

٨ - ثم ذكر - سبحانه - بعض مظاهر فضله وتكريمه لنبيه - ﷺ - فقال: «ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً. وينصرك الله نصراً عزيزاً).

والمراد بما تقدم من ذنبه - ﷺ - ما كان قبل النبوة، والمراد بما تأخر منه: ما كان بعد النبوة.

والمقصود بالذنب هنا بالنسبة له - ﷺ - ما كان خلاف الأولى، فهو ما باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، والمعنى: إنا أعطيناك - يا محمد - هذا الفتح العظيم، وجعلنا معه مغفرة ما كان خلاف الأولى من أعمالك، ويسرناه لك لكي نتم نعمتنا عليك بإظهار دعوتك، ولكن نهديك ونرشدك إلى الطريق القويم، ولكي ينصرك على أعدائك نصراً قوياً منيعاً لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع، لأنه من خالقك الذي لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه.

هذا، والمتأمل في هذه الآيات الكريمة، يرى أن الله عزَّ وجلَّ، قد أكرم نبيه - ﷺ - إكراماً لا يدانيه إكرام، ومنحه من الخير والفضل ما لم يمنحه لأحد سواه - ﷺ.

نسأل الله - تعالى أن يجعلنا جميعاً ممن رضي الله عنهم، ورضوا عنه، إنه على ما يشاء قدير، نعم المولى ونعم النصير.■

المراجع:

١ - تفسير ابن كثير ج٧ ص٣٠٧.

٢ - تفسير ابن كثير ج٧ ص ٢٠٧ وتفسير الألوسي ج٢٦، ص ٨٣.

بقلم : أحمد محمد سالم

أثر النزعة العلمية على الإيمان بالمعجزات الحسية

في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، ازداد المد العلمي، والعلماني على العالم الإسلامي، وكان ذلك مصاحباً للمد الاستعماري الأوروبي، ومع هذا المد بدأ المستشرقون والعلمانيون يتهمون الإسلام بأنه دين الغيبيات، ودين يبرز المعجزات والأساطير، ولقد تصدى لهؤلاء المستشرقين العديد من علماء الدين المسلمين من أمثال محمد عبده، ورشيد رضا، ومحمد فريد وجدي... إلخ.

ولقد كان للمد العلمي أثره على محاولات تقديم تفسيرات علمية مختلفة لآيات القرآن الكريم... ولقد أخذ البعض بهذا التفسير العلمي للقرآن الكريم، وانتقد البعض هذا التفسير ورفضه... ولكن بجانب هذا كانت هناك مشكلة في غاية الأهمية والخطورة، وهي هل تتفق مسألة الإيمان بالمعجزات الحسية - «مثل انشقاق القمر - ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ - والإسراء والمعراج - ...إلخ»، مع النظرة العلمية المعاصرة التي تقف عند حدود المادي والمحسوس؟ وفي الإجابة على هذا السؤال، اختلفت الآراء، وتعددت المداخل. فهناك اتجاه قال إن عصر المعجزات قد انتهى، وصمت كلية عن الحديث حول المعجزات الحسية، وقال إن المعجزات الخالدة للرسول ﷺ هي القرآن، وفي هذا الاتجاه نجد محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبدالعزيز جاويش... وهناك اتجاه ثان لم يقف عند حدود التأكيد على أن القرآن هو المعجزة الكبرى والخالدة للرسول، بل شكك في المعجزات الحسية، وفي هذا الاتجاه نجد الدكتور محمد حسين هيكل، وثمة اتجاه ثالث أكد أن العلم نفسه يقر المعجزات الحسية، كما حاول البعض في هذا الاتجاه أن يقدم تفسيراً علمياً للمعجزات الحسية، ويمكن مناقشة آراء هذه الاتجاهات بالتفصيل.

ففي الاتجاه الأول نجد الشيخ محمد عبده، الذي كان له الكثير من المجادلات والمداخلات مع المستشرقين أمثال المستشرق الفرنسي هانوتو، وكذا فقد جادل الشيخ محمد عبده بعض العلمانيين مثل فرح أنطوان، وكان هؤلاء في حوارهم مع الشيخ يتهمون الإسلام بأنه دين الأساطير والمعجزات، وكان الشيخ محمد عبده يؤكد لهم، أن الإسلام دين العلم، والعقل، وأنه لا يتعارض مع العلم الحديث، ولهذا فقد ذهب إلى أن القرآن هو المعجزة العظمى للرسول فيقول: «ثبت بهذه المعجزة العظمى، وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي لا يعرض عليه التغيير، ولا يتناوله التبديل، أن نبينا محمداً ﷺ إلى خلقه، فيجب التصديق برسالته، والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه، والأخذ بكل ما ثبت عنه من هدي وسنة متبعة»(١)، وإذا كان الإمام محمد عبده قد ركّز على قيمة القرآن وكونه المعجزة العظمى للرسول فقد سكت عن بقية المعجزات الحسية للرسول، ومن الممكن أن يفسر صمت الشيخ محمد عبده عن المعجزات الحسية، بأنه كان يخشى من اتهام المستشرقين والعلمانيين للإسلام بأنه دين الأساطير والخرافات، وقد يفسر هذا الموقف أيضاً بأنه إيثار للعقل، وهذا ما دعا أحد الباحثين المعاصرين إلى القول إن «إيثار محمد عبده العقل قد أدى إلى تشككه في ما ورد بصدد معجزات النبي فمعجزته الوحيدة هي القرآن»(٢).

وإذا كان الشيخ محمد عبده قد صمت عن مسألة المعجزات الحية صمتاً مريباً فإن الشيخ محمد رشيد رضا - أحد تلاميذه - يؤكد أن نبوءة محمد ﷺ قامت على أسس عقلية وعلمية، لأن معجزتها العظمى هي القرآن، فيقول: «نبوة محمد ﷺ قد ثبتت بنفسها، أي بالبرهان العلمي العقلي الذي لا ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية، وأن هذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس في كل زمان، وهو القرآن»(٣)، ومن جانب آخر يذهب رشيد رضا بأن زمن المعجزات قد انتهى، ولأن نبوة محمد ﷺ كانت خاتم النبوات، لذا فقد وهبه الله بآية عامة لجميع البشر وهي القرآن، فيقول: «كان من حكمته أن أيد بعض النبيين المرسلين بشيء منها لإقامة حجتهم، وتخويف المعاندين لهم، وقد انقطعت هذه الآيات ببعثة خاتمهم محمد ﷺ، وسبب ذلك أو حكمته ختم النبوة برسالته وجعل ما أوحاه إليه آية دائمة، وهداية عامة لجميع البشر مدة بقائهم في هذه الدنيا... لعلمه تعالى بأنهم لا يحتاجون بعد هذا الوحي إلى وحي آخر، ولا آية على كونه من عند الله تعالى إلا هذا القرآن نفسه وهذا الكتاب في جملته، وتفصيله مشتمل على كثير من الدلائل العقلية والعلمية على

كونه من عند الله(٤) ومن الواضح أن تركيز محمد رشيد رضا وأستاذه محمد عبده على القرآن كمعجزة عظمى للرسول، إنما حدث بسبب الجدل الواسع بين المستشرقين والعلمانيين من جانب، وعلماء الإسلام من جانب آخر، وكان علماء الإسلام يؤكدون دائماً أن الإسلام هو دين العقل والعلم، وهنا نجد الشيخ رشيد رضا يقول: «إن الدين الوحيد الذي يمكن أن يعقله العلماء المستقلون في الفهم والرأي، ويبنون عليه حكمهم هو الإسلام»(٥).

وعلى الدرب نفسه سار الشيخ عبدالعزيز جاويش، فيرى أن الإسلام دين العقل والنظر، لا دين ما وراء العقل، وخوارق العادات فيقول «الإسلام فيما يصوره القرآن الحكيم قد امتاز عن غيره من الأديان الأخرى بأنه دين اليقين والنظر لا دين خوارق العادات، وما وراء العقل»(٦)، ولكننا نرد على كلام الشيخ جاويش بأن القرآن نفسه قد أبلغنا عن معجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة انشقاق القمر، أوَ ليس هذه المعجزات مما يتجاوز العقل الإنساني، وأنها خوارق للعادات.

وعلى الرغم من أن القرآن نفسه قد جاء فيه ذكر لبعض المعجزات الحسية للرسول، إلا أن الشيخ جاويش يقول: «رأى القرآن أنه لو كانت المعجزات الخارقة للعادة كافية مقنعة لما كذب بها الأولون، إذ ألحوا في طلبها، وأجيبوا بها، فرأتها أبصارهم رأي العين، ولكن عدم وجود صلة عقلية بين تلك الآيات، وبين ما أريدت له من إثبات رسالات كان من نتائجه القريبة أنه لا تكاد تنزل الآيات لطلابها حتى سارع إلى نفوسهم الشك فيما بعد الإصرار على طلبها واللجاج في استنزالها، فمنهم من يراها من أنواع السحر، ومنهم من يكذب بها بغياً وعدواناً(٧) وهنا نلاحظ إصرار الشيخ جاويش على عدم قدرة المعجزات الحسية على إثبات نبوة الأنبياء السابقين على محمد ﷺ، ونحن نتساءل أوَ ليست معجزة عيسى الطبية هي دليل نبوته، ودليل صدقه، وقد جاء ذكرها في القرآن؟ أوَ ليست عصا موسى التي أوقفت عمل السحرة هي دليل بارز على نبوته، وقد أدت إلى إيمان السحرة برب موسى ، وقد ورد ذكرها في القرآن أيضاً؟!

وفي الاتجاه الثاني، كان لتأثير النزعة العلمية على الإيمان بالمعجزات الحسية، نتائج وخيمة، فنجد أن الدكتور محمد حسين هيكل يقرر أولاً أن معجزة محمد ﷺ هي القرآن، فيقول: «لما كان محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو مع ذلك أول رسول بعثه الله للناس كافة، ولم يبعثه إلى قومه وحدهم ليبين لهم لذلك أراد الله أن تكون معجزة محمد ﷺ معجزة إنسانية عقلية لا يستطيع الإنسان والجن الإتيان بمثلها، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، هذه المعجزة هي القرآن، وهي أكبر المعجزات التي أذن الله بها»(٨).

وإذا كان محمد حسين هيكل يقرّ القرآن كمعجزة لنبوة محمد ﷺ، فإنه يشكك في بقية المعجزات الحسية عن طريق التشكيك في كتب السير والأحاديث التي رود فيها هذه المعجزات فيقول إن رواة السير ذكروها لأنها تناسب إيمان المتقدمين إلا أن ذكر هذه المعجزات الآن يسير الشبه ويعرض الإسلام للهجوم فيقول في أحد نصوصه: «أغلب ظني أن الذين كتبوا السير كانوا يؤثرون هذا الرأي لولا أحوال العصر أيام المتقدمين، ولولا أن ظن المتأخرون في ذكر ما لم يرد به القرآن من خوارق ومعجزات، ما يزيد الناس إيماناً على إيمانهم، لذلك حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضر، ولو أنهم عاشوا إلى زماننا هذا، ورأوا كيف اتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام، وعلى أهله لالتزموا ما جاء به القرآن... ولو أنهم عاشو زماننا هذا، ورأوا كيف تزيغ هذه الروايات قلوباً وعقائد بدلاً من أن تزيدها إيماناً وتثبيتاً لكفاهم ذكر ما في كتاب الله من آيات بينات، وحجج دامغة(٩)، ومن ثم نرى أن د. هيكل قد شكك في كتب السير والأحاديث التي وردت فيها هذه المعجزات الحسية.

وينتقد الشيخ مصطفى صبري موقف محمد حسين هيكل من المعجزات الحسية، فيقول: «إن السبب الأصلي عند الدكتور هيكل وغيره في إنكار المعجزات غير القرآن كونها مخالفة للعالم المبني على سنة الكون، مما تجرؤ وأعلى رمي كتب الحديث والسير جملة باختلاف الروايات، وكأنهم حاولوا قصر معجزات نبينا على القرآن الذي قالوا عنه إنه معجزة عقلية، وإنقاذ حياته ﷺ من شائبة المعجزات الكونية المخالفة للعلم، وسنة الكون فمخالفة هذا النوع من المعجزات عندهم لسنة الكون جرأتهم، وحملتهم على سوء الظن بكتب الحديث، وأمانة رواته»(١٠).

وإذا كان محمد حسين هيكل قد استطاع أن يشكك في كتب السير والحديث نتيجة تشكيكه في المعجزات الحسية، فإنه لا يستطيع أن ينكر معجزة الإسراء والمعراج، وهي معجزة حسية ذكرها القرآن، ولهذا فقد حاول هيكل أن يقدم تفسيراً علمياً لمسألة الإسراء والمعراج، فيقول إن الإسراء والمعراج كان بالروح فقط، وهذا أمر يقره العلم، فيقول في أحد نصوصه «فالعلم في عصرنا الحاضر يقر هذا الإسراء بالروح، ويقر المعراج بالروح (...) حيث في عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الأفكار، ومعرفة ما تنطوي عليه، كما يقر انتقال الأصوات عبر الأثير بالراديو، وانتقال الصور والمكتوبات كذلك، مما كان يعتبر فيما مضى بعض أفانين الخيال، وما تزال القوى الكمينة في الكمون تنكشف لعلمنا كل يوم عن جديد، فإذا بلغ روح من القوة، ومن السلطان ما بلغت نفس محمد ﷺ، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليريه من آياته كان ذلك مما يقره العلم (١١) وهنا نلاحظ حرص محمد حسين هيكل الشديد على الإقرار بأن العلم يقر معجزة الإسراء والمعراج، التي رود ذكرها في القرآن، حتى يقول بذلك أن ما جاء في القرآن لا يتعارض مع العقل والعلم.

وفي الاتجاه الثالث نجد القائلين: إن العلم نفسه يقر المعجزات الحسية، وأيضاً القائلين بالتفسير العلمي للمعجزات الحسية، فنجد أن عباس محمود العقاد يرى أن العلم المعاصر قد جاء باكتشافات لم تكن نتوقعها وكنا نعتقد فيما مضى أنها خيالات، ويرى أنه لا تعارض بين وجود المعجزات الحسية، وبين سنة الله في الكون، فيقول: «يؤمن المسلم العصري بالنواميس الكونية أشد من إيمان الدعاة إلى تقرير تلك النواميس باسم العلم العصري أو العلوم التجريبية لأن يؤمن بأن النواميس سنة الله في خلقه (فلن تجد لسنة الله تبديلاً) فاطر:٤٣، ولكنه يؤمن كذلك بإمكان المعجزة لأنها ليست بأعجب مما هو حادث شاهد أمام الأبصار والبصائر، وليست هي المحتاجة إلى قدرة أعظم من القدرة التي تشهد بدائعها ما يتكرر أمامنا كل يوم، وكل ساعة، وقد تسمى المعجزات في عرف المسلم بخوارق العادات، فلا يجوز لأحد أن ينكرها لأننا تعودنا فيما علمنا في هذا العصر على الأقل

أموراً كثيرة كانت في تقدير الأقدمين من خوارق العادات، وهي اليوم من الممكنات»(١٢)، ومن ثم فإن العقاد يؤكد أنه «لا استحالة في خوارق العادات - المعجزات الحسية - ومن قال باستحالتها لزمه الإثبات، لأنه يدعي الاستحالة عقلاً بغير دليل»(١٣).

وفي الاتجاه نفسه سار الدكتور محمد أحمد الغمراوي فقدم رؤيته الخاصة للمعجزات الحسية فقال: «ومن عجب أن يشك مسلم في المعجزات عامة، أو في معجزات النبي ﷺ خاصة، ظناً أن العلم الحديث أثبت استحالة المعجزات لأنها خرق للسنن الكونية، وأن خرق السنن الكونية مستحيل... ويذهب الغمراوي إلى أن استحالة خرق العلماء للسنن الكونية، وخرقها على يد الأنبياء هو ما يؤكد المعجزة ويميزها»، فيقول: «إن الذي ثبت هو استحالة خرق العلماء والبشرية كلها للسنن الكونية، أي أن الذي ثبت في العلم هو عجز العلماء والبشرية عن الإتيان بشيء من معجزات الأنبياء، وهذا هو بالضبط الشرط المميز للمعجزة، أن تكون مما يعجز عنه البشر، ولا يقدر عليه إلا الله».(١٤)

ويحاول الغمراوي أن يقدم بعض الأمثلة على إمكانات المعجزة فيقول: «إن معجزة انشقاق القمر بالذات ليست مستحيلة في العلم، وإن كان مستحيلاً أن يصنعها الإنسان، فالعلم قد شاهد انشقاق مذنب بروكس شقين سنة ١٨٨٩م، وكذلك انشقاق مذنب بيلا إلى جزءين سنة ١٨٤٦م، والفرق بين انشقاق القمر، وانشقاق هذين المذنبين أنهما لم يلتئما بعد الانشقاق، والقمر التأم، وهذا الفرق المنتظر بين الظاهرة الفلكية والمعجزة الفلكية عن يد الرسول ﷺ لأن المعجزة موقتة تزول بزوال وقتها، وتحقيق الغرض منها، ولو استمرت لكانت ظاهرة طبيعية صرفة، ولخرجت عن دائرة المعجزات.(١٥)

وفي هذا التيار يقدم المجدد الديني في تركيا الإمام سعيد النورسي رؤيته لموضوع المعجزات الحسية، وعلاقته بالعلم فيرى أن هذه المعجزات يجب أن تكون الحدود النهائية للعلم التي يسعى إلى تحقيقها فيقول: «إن القرآن الكريم بإيراد معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعين أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضها على بلوغ تلك الغاية ويسوقها إليها، إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل حصيلة بذور الماضي ومرآة أماله»(١٦).

ويمكن توضيح رؤية الإمام النورسي بمثال من الأمثلة الكثيرة التي ضربها لتصوره لعلاقة العلم بالمعجزات الحسية فيقول عن معجزات سيدنا عيسى، في قوله تعالى: (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله) آل عمران:٤٩، فالقرآن الكريم إذ يحث البشرية صراحة على اتباع الأخلاق النبوية السامية التي يتحلى بها سيدنا عيسى عليه السلام، فهو يُرغب فيها، ويحض عليها رمزاً إلى النظر إلى ما بين يديه من مهنة مقدّسة، وطب رباني عظيم... فهذه الآية تشير إلى أنه يمكن أن يعثر على دواء يشفي أشد الأمراض المزمنة، والعلل المستعصية، فلا تيأس أيها الإنسان، ولا تقنط أيها المبتلى المصاب، فكل داء مهما كان له دواء، وعلاجه ممكن، فابحث عنه وجده، واكتشفه.(١٧)

يمكن التعقيب على ما سبق، بأننا لاحظنا مدى تأثير العلم المعاصر على قضية الإيمان بالمعجزات الحسية، كما هو واضح عند مدرسة محمد عبده... وكذلك أغلب المفكرين المسلمين المعاصرين... وهو ما أدى بالبعض إلى الإقرار بمعجزة القرآن كمعجز عظمى للرسول، والصمت عن بقية المعجزات الحسية، كما أدى الخوف من اتهام الإسلام بأنه دين الخرافات والأساطير إلى إنكار المعجزات الحسية، كما هو واضح عند الدكتور محمد حسين هيكل... في حين ذهب البعض الآخر إلى أن العلم المعاصر يقر المعجزات كما هو الحال عند العقاد والغمراوي والنورسي، كل هذا يؤكد مدى التأثير الذي أحدثه العلم في الإيمان بالمعجزات الحسية للرسل.

وينبغي أن ننبه أن في كل دين مساحة من المعتقدات يجب أن نسلم بها دون إقحام العقل في الإيمان بها ونقول إنه إذا كان الإسلام فيه جانب لا يخضع للعقل في حين أن أغلب معتقدات الإسلام يقبلها العقل، فإن المسيحية ديانة المستشرقين لا تخضع في جملتها للعقل، ومع هذا يؤمن بها هؤلاء المستشرقون الذين وضعهم علماء الإسلام في الاعتبار وناقشوا مسألة المعجزات الحسية... وهو ما أدى بهم إلى بعض التهافتات...

كما ينبغي الإقرار بأن الإيمان بالمعجزات الحسية هي جزء من الإقرار بنبوة محمد ﷺ، لأن هذه المعجزات قد أقرها القرآن الذي يؤمنون به للأنبياء السابقين على محمد ﷺ، كما وردت المعجزات الحسية لسيدنا محمد ﷺ في كتب الأحاديث وكتب السير. ■

الهوامش:

١ - محمد عبده - رسالة التوحيد - دار المعارف - مصر - ص١٣٤.
٢ - أحمد صبحي - هاؤم اقرأوا كتابيه... محاولة لتجديد الفكر الإسلامي - دار النهضة العربية - ط١ ١٩٩٦م ص ٢٣.
٣ - محمد رشيد رضا - الوحي المحمدي - الزهراء للإعلام - القاهرة - ط٢ ١٩٨٨م ص٣٨.
٤ - محمد رشيد رضا - المرجع نفسه - ص١٥٠.
٥ - محمد رشيد رضا - المرجع نفسه ص ٣٨.
٦ - عبدالعزيز جاويش - الإسلام دين الفطرة والحرية - دار المعارف - مصر - ١٩٦٨م ص ١٥٠.
٧ - عبدالعزيز جاويش - المرجع نفسه - ص ١٤٧.
٨ - محمد حسين هيكل - حياة محمد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - ١٩٩٧م - ص ١٥٩.
٩ - محمد حسين هيكل - المرجع نفسه - ص ٥٩.
١٠ - مصطفى صبري - موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين - مكتبة الإيمان - ط١ ١٩٥٠ ١٦٥/٤.
١١ - محمد حسين هيكل - المرجع السابق - ص١٦٦.
١٢ - عباس محمود العقاد - التفكير فريضة إسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨م - ص٨٧ - ٨٨.
١٣ - المرجع نفسه - ص٩٩.
١٤ - محمد أحمد الغمراوي - الإسلام في عصر العلم - دار الإنسان - القاهرة - ١٩٧١م - ص٩٩.
١٥ - محمد أحمد الغمراوي - المرجع نفسه - ص١٠٠.
١٦ - سعيد النورسي - الكلمات / الكلمة العشرون - دار سوزلر للطباعة والنشر - القاهرة - ط٢ - ١٩٩٢م - ص٢٧٨.
١٧ - سعيد النورسي - المرجع نفسه - ص٢٨١.

حديث

بقلم : محمد باقر خان خاكوني

تقسيمات الخبر المتواتر بين الأصوليين والمحدثين

إذا كانت علوم الدين جديرة بالعناية والاهتمام، لأنها طريق السيادة وسبيل السعادة ـ فعلم أصول التشريع الإسلامي منها في الذورة، لأنه يسدد الباحث عن أحكام الشريعة، ويعينه على الوصول إلى الحقيقة.

وإذا كان علماء الإسلام جديرين بالتقدير والشكر، لما بذلوه من جهد في بيان المعارف الإسلامية، فإن من بواعث افتخارنا بهم سبقهم إلى وضع قواعد لاستنباط الأحكام عن النصوص التشريعية، مما لم يجارهم فيه أحد من أتباع الشرائع الأخرى، وإنما دعاهم إلى هذا ما امتاز به الإسلام من العناية بأمري الدين والدنيا والملائمة لكل زمان ومكان.

وإن الله تعالى ختم برسوله النبوة وكمل به الشريعة وجعل إليه بيان ما أخفاه من مجمل أو متشابه، وإظهار ما شرعه من أحكام ومصالح فقال تعالى: (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم)(١) وأوجب الرسول ﷺ على أمته أمرين أحدهما: طاعته في قبول قوله ـ والثاني: أن يبلغوا عنه ما أخبرهم به كما قال عليه الصلاة والسلام: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»(٢) فصار نقل الأخبار عنه واجباً على أهل كل عصر وقبولها واجباً في كل عصر ـ فلذلك صارت الأخبار عنه أصلاً من أصول الشرع ـ فأما نحن فلم يبلغنا قوله عليه الصلاة والسلام إلا على لسان المخبرين إما على سبيل التواتر وإما بطريق الآحاد.(٣)

والخبر المتواتر هو ما رواه في كل عصر منذ عصر الصحابة جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وإذا كان الرواه لا تبلغ إلى حد التواتر، لا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين فهو خبر الآحاد.

والخبر المتواتر قطعي الثبوت عن النبي ﷺ فيفيد علماً يقينياً ويجب العلم به ويكفر جاحده(٤) لأن بمثل هذا الخبر عرفنا أن القرآن هو الذي أُوحي به إلى محمد ﷺ وبه علمنا عدد ركعات كل صلاة وعدد الصلوات ومقادير الزكاة وغير ذلك مما لم يبين في القرآن تفسيره.(٥)

وتعرض الأصوليون والمحدثون للحديث المتواتر وأقسامه بالذكر إلا أن المحدثين لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص بل قلدوا في هذا المجال الفقهاء وأهل الأصول كما قال ابن الصلاح: «ومن المشهور والمتواتر المعروف في الفقه وأصوله ولا يذكره المحدثون»(٦).

ولكن المحدثين بعد القرن الثامن وعلى رأسهم الحافظ ابن حجر العسقلاني يذكرون الخبر المتواتر في مؤلفاتهم بأسلوب خاص فيعرفونه، ويضعون له شروطاً ويقسمونه إلى أقسام أيضاً، ولعل ابن حجر أخذ هذا عن الأصوليين، لأننا نجد ذكر المتواتر في كتاب «الرامهر مزي» الحاكم والخطيب البغدادي، ولا نجد هذا الشرح عند «الميانجي» وقد سبق ذكر ابن الصلاح ـ ولكن بعد ابن حجر نجد تعريف المتواتر وشروطه، وحدوده وأقسامه في كل كتاب من كتب مصطح الحديث ـ وهو موضوع مقالنا المتواضع وسنبين فيه إن شاء الله أقسام الخبر المتواتر عند الأصوليين المحدثين والله الموفق.

الخبر المتواتر وشروطه

اتفق الأصوليون والمحدثون على تعريف المتواتر بأنه خبر رواه كثير أو جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب(٧) واتفقوا على شروطه أيضاً كما قال ابن حجر العسقلاني: إذا جمع هذه الشروط الأربعة فهو المتواتر، وهذه الشروط هي:

١ ـ أن يكون الرواة جمعاً كثيراً يمتنع تواطؤهم على الكذب.

٢ ـ أن يكون الرواة في كل طبقة من طبقات الرواية بهذا الوصف.

٣ ـ أن يكون مستند علم الرواة مستفاداً عن طريق المشاهدة أو السماع.

٤ ـ وقوع الخبر منهم اتفاقاً من غير قصد.(٨)

إذا تحققت في أي خبر هذه الشروط فيصبح خبراً متواتراً - وهو مقطوع بصحة نسبتها إلى الرسول ﷺ ، دون أي شك فيكون دليلاً من أدلة الأحكام، ومصدراً تشريعياً لها، بلا خلاف بين المسلمين.(٩)وخبر المتواتر عند المحدثين مقبول ولا حاجة إلى البحث عن أحوال رواته.(١٠)

أنواع الخبر المتواتر :

ينقسم المتواتر عند الأصوليين والمحدثين إلى تقسيمات مختلفة - فبعضهم يقسمونه تقسيماً أساسياً، ثم يقسمونه بأقسام أخرى وبعضهم يقسمونه منذ البداية إلى أقسام كثيرة وسنبين شرح هذه التقسيمات:

أنواع المتواتر عند الأصوليين :

يقسم المتواتر عند الأصوليين إلى ثلاثة أقسام رئيسة، ثم ينقسم الواحد من هذه الثلاثة إلى قسمين ويوضح ذلك الرسم البياني التالي:

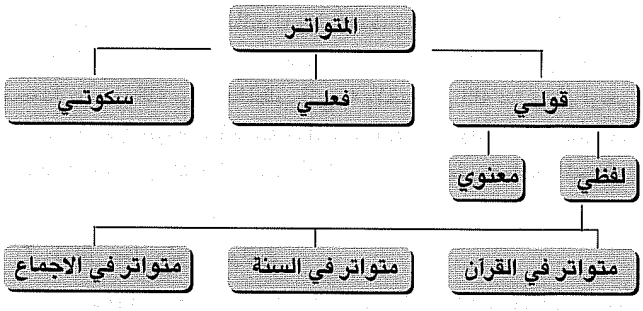

١ - متواتر قولي: وهو أقوال رسول الله ﷺ التي صدر عنه في مناسبات مختلفة أغراضها شتى، إذا توافرت فيه شروط الخبر المتواتر التي سبق بيانها وهو قسمان:

أ - المتواتر القولي اللفظي.

ب - المتواتر القولي المعنوي.

أ - المتواتر القولي اللفظي: وهو ما اشترك عدد في لفظ بيعنه، أو أن يقع المشترك بين ذلك العدد في اللفظ.(١١)

ثم هذا القسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام كما قال ابن النجار:

واعلم أن التواتر يكون في القرآن وقد تقدم أن القراءات السبع متواترة وتقدم الخلاف في العشر - وأما الإجماع فالمتواتر فيه كثير.

وأما السنة فالمتواتر فيها قليل - حتى أن بعضهم نفاه إذا كان لفظياً، لكن الأكثر على أن الحديث «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» من المتواتر اللفظي من السنة - وزاد بعضهم حديث ذكر حوض النبي ﷺ وهو: قول النبي ﷺ : «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك وكيزانه «مفردها كوز» كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً - وقال أيضاً إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم وسيؤخذ ناس من دوني» - الحديث(١٢)

قال البيهقي في كتاب: «البعث والنشور» وردت روايته عن أكثر من ثلاثين صحابياً وأفرده المقدسي بالجمع، قال القاضي عياش: وحديثه متواتر بالنقل.

وحديث الشفاعة وهو عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «يجمع الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا عن مكاننا: فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول لست هنا لِمَ ويذكر خطيئته ويقول ائتوا نوحاً ... ائتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني، فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ...» الحديث.(١٣)

قال القاضي عياض بلغ التواتر.(١٤) وذكر بعض الأصوليين أن المتواتر القولي اللفظي ستة وخمسون(١٥).

ب - المتواتر القولي المعنوي :

وهو ما تواتر المعنى المشترك فيه دون تواتر لفظه، أي ما تختلف ألفاظ الرواة فيه، ولكنها تشتمل على معنى واحد في جميع الروايات - ولا يلزم في هذا النوع أن يكون أصحاب كل رواية على حدة قد بلغوا حد التواتر، ولكن المعنى المشترك يشترط فيه بلوغ حد التواتر باعتبار مجموع روايات.(١٦)

وذلك إذا كثرت الأخبار في الوقائع واختلف فيها، ولكن كل واحد منها يشتمل على معنى مشترك بينهما بجهة التضمن أو الالتزام، حصل العلم بالقدر المشترك ولذا فيسمى هذا القسم عند بعض الأصوليين المتواتر على القدر المشترك.(١٧).

ومثاله كوقائع حاتم فيما يحكى من عطاياه من فرس أو إبل وعين وثوب ونحوها، فإنها تتضمن جوده فيعلم، وإن لم يعلم شيئاً من تلك القضايا بعينه - وكقضايا علي - رضي الله عنه - في حروبه، من أنه هزم في خيبر كذا، وفعل في أُحد كذا إلى غير ذلك - فإنه يدل بالالتزام على شجاعته، وقد تواتر ذلك منه وقائع أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - في عدله وجلادته في الدين ووقائع أبي ذر - رضي الله عنه - في زهده إلى غير ذلك من أخبار الصحابة والتابعين وغيرهم وإن كان شيء عن تلك الجزئيات لم ينل درجة القطع.(١٨).

والأحاديث في هذا القسم كثيرة مثل حديث المسح على الخفين حيث إنه متواتر وهو: «عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ ذهب لحاجته في غزوة تبوك فذهبت معه بماء... فغسل يديه ومسح برأسه ومسح على الخفين»(١٩).

رواه سبعون صحابياً وقاله الحسن البصري، وقال الإمام الهمام أبو حنيفة: ما قلت بالمسح على الخف إلا أنه جاء مثل ضوء النهار وأخاف الكفر على من أنكره... وقد تواتر قوله ﷺ : «ويل للأعقاب من النار»(٢٠)، رواه اثنا عشر صحابياً مقطوعاً بعد التهم، أكثرهم من أصحاب بيعة الرضوان - وحديث «نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة».(٢١)

وقال ابن الجوزي تتبعت الأحاديث المتواترة فبلغت جملة، منها: حديث الشفاعة، وحديث الحساب وحديث النظر إلى الله تعالى في الآخرة، وحديث غسل الرجلين في الوضوء، وحديث عذاب قبر لم يرد الحصر فيه - فإن أعداد الركعات، وذهاب رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر، وأُحد وسائر الغزوات، والأذان، والإقامة، والجماعة، وفضائل الخلفاء الراشدين، وفضل أصحاب بدر وأحاديث كثيرة بعمومه متواترة معنوية من غير ريبة.(٢٢)

متواتر فعلي :

وهو فعل النبي ﷺ أو عمله إذا نقله جماعة ويتوافر فيه بقية شروط المتواتر فمثاله حديث رفع اليدين في الدعاء متواترا لأنه رواه خمسون صحابياً وهو :

«عن أنس بن مالك قال - رفع رسول الله ﷺ يديه في الدعاء، حتى رأيت بياض إبطيه»(٢٣)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تحصر(٢٤).

المتواتر السكوتي:

هذا القسم عند الأحناف فقط وهو الخبر الذي رواه واحد امام الجماعة فقبلوه بحيث لم يعترضوا عليه والجماعة معروف فيها ذلك أنهم لا يسكتون على الكذب وقول الزور ويردونه على قائله.(٢٥)

فمثاله حديث الأعمال بالنيات وهو: «إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله...»(٢٦).

قد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على المنبر بحضرة كبار الصحابة وصغارهم - وسمعه جماعة من الصحابة والتابعين ولولا أنهم يعرفونه لأنكروه - ومما لا شك فيه أن الناس في ذلك الزمان لا يتحملون أخطاء الولاة ويسألونهم عن مصدر خبرهم - فسكوتهم دليل على أنهم قبلوا الخبر، لذا فيسمى هذا القسم المتواتر السكوتي قياساً على الإجماع الذي هو مقبول عند علماء الشريعة.(٢٧).

أنواع المتواتر عند المحدثين:

ذهب جمهور المحدثين إلى أن المتواتر ينقسم إلى قسمين: اللفظي والمعنوي - ولكن الشيخ أنور شاه الكشميري ذكر أربعة أقسام أخرى للمتواتر.

ولم يذكر ابن حجر أقسام المتواتر في كتابه، وكذا المحدثون من قبل، ولكن ذكر السيوطي أقسام المتواتر بهذا الطريق فقال:

«قد قسم أهل الأصول المتواتر إلى لفظي وهو ما تواتر لفظه، ومعنوي وهو أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وقائع مختلفة تشترك في أمر»(٢٨).

فنخلص من كل هذا إلى أن المتواتر ينقسم عند المحدثين إلى قسمين:

المتواتر اللفظي: هو ما تواتر لفظه ومعناه.

المتواتر المعنوي: هو ما تواتر معناه دون لفظه.(٢٩)ونستنتج من كلام السيوطي أن هذين القسمين للمتواتر أيضاً تسربا من الفقهاء إلى المحدثين ولذا فلا نحتاج إلى شرحهما لأن شرح هذين القسمين سبق في أقسام المتواتر عند الأصوليين.

أقسام المتواتر عند الشيخ أنور شاه الكشميري :

يقسم الشيخ الكشميري المتواتر إلى أربعة أقسام:

١ - تواتر الإسناد.

٢ - تواتر الطبقة.

٣ - تواتر العمل أو تواتر التوارث.

٤ - تواتر القدر المشترك.

١ - تواتر الإسناد

وهو أن يروى الحديث من أول الإسناد إلى آخره جماعة يستحيل اجتماعهم على الكذب، وهذا تواتر المحدثين كحديث «من كذب عليَّ متعمداً ». رواه اثنان وستون من الصحابة، وقال غيره رواه أكثر من مئة نفس، وفيهم العشرة المبشرون بالجنة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وكذا أحاديث ختم النبوة قد جمعها بعض الأفاضل فبلغت أكثر من مئة وخمسين منها نحو ثلاثين من الصحاح الستة.

٢ - تواتر الطبقة:

كتواتر القرآن تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً - درساً وتلاوة، حفظاً وقراءة وتلقاه الجمع الكثير عن الجمع الكثير ممن يستحيل تواطؤهم على الكذب طبقة عن طبقة إلى حضرة صاحب الرسالة ولا تحتاج إلى إسناد يكون وعن فلان عن فلان ، بل هو شيء نقله أهل المشرق والمغرب - عن أمثالهم جيلاً بعد جيل لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر، منصف غير معاند للمشاهدة، وهو القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض وغربها - لا يشكون ولا يختلفون في أن محمداً بن عبدالله بن عبدالمطلب أتى به وأخبر أن الله عز وجل أوحى به إليه وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك، ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا - وهذا القسم من المتواتر يسر إيراد إسناد له على قواعد المحدثين فضلاً عن أسانيد أخرى.

٣ - تواتر عمل وتواتر توارث

وهو أن يعمل به في كل قرن من عهد صاحب الشريعة إلى يومنا هذا، جمع غفير من العاملين بحيث يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب والغلط - كالسواك في الوضوء، مثلاً فهو سنة واعتقاد سنيته فرض، لأنه ثابت بالتواتر العملي وجحودها كفر وجهله حرمان وتركه عتاب أو عقاب ومن ذلك الصلوات الخمس فإنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه صلاها ﷺ بأصحابه كل يوم وليلة في أوقاتها المعهودة وصلاها كذلك كل من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم وهكذا إلى يوم لا يشك أحد في أن أهل السند يصلونها كما يصليها أهل الأندلس، وأن أهل أرمينية يصلونها كما يصليها أهل اليمن، وكصيام رمضان لأنه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه صامه رسول الله ﷺ ، وصامه معه كل من اتبعه في كل بلد كل عام ثم كذلك جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، والصلوات الخمس والمضمضة والصلاة في جماعة والأذان والإقامة ونحو ذلك.

٤ - تواتر القدر المشترك:

وهو ما تختلف فيه ألفاظ الرواة بأن يروي قسم منهم واقعة أخرى وهلم جرا غير أن هذه الوقائع تكون مشتملة على قدر مشترك فهذا القدر المشترك يسمى بالمتواتر المعنوي والمتواتر من جهة المعنى، وذلك أنه يروي واحد أن حاتماً وهبه مئة دينار، ويروي آخر أنه وهب له ألف دينار، وشجاعة علي حيث يروى أن علياً قتل ألفاً في الغزوة الفلانية، وتروي قصص أخرى بألفاظ أخرى - وأن كل حكاية من تلك الحكايات لم تتواتر لفظياً - فهذا يسمى بالمتواتر المعنوي.(٣٠)

واتفق المحدثون على أنه يجب العمل به من غير بحث عن رجاله، ولا يعتبر فيه عدداً معيناً في الأصح - ولكن قال القاضي الباقلاني: لا

يكفي الأربعة وما فوقها صالح، وتوقف في الخمسة، وقال الاصطخري أقله عشرة وهو المختار عند المحدثين لأنه أول جمع الكثرة.(٣١)

وقال ابن الصلاح المتواتر من الحديث لا يوجد إلا حديث واحد وهو «من كذب عليَّ متعمداً ...» ولكن اختلف المحدثون معه كما أشار به السيوطي في قوله: وأن دعوى ابن الصلاح من عزة المتواتر ممنوع، لأن ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المتقضية لإبعاد العادة أن يتواطأوا على الكذب أو يحصل منهم اتفاق، قال: ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجود وجود كثرة في الأحاديث، أن الكتب المشهورة والمتناولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها، إذا اجتمعت على إخراج حديث وتعددت طرقه تعدداً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، أفاد العلم اليقيني بصحته نسبة إلى قائله، قال: ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير، قلت: قد ألفت في هذا النوع كتاباً لم أسبق إلى مثله سميته «الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة»، مرتباً على الأبواب، أوردت فيه كل حديث بأسانيد من خرجه وطرقه ثم لخصته في جزء لطيف سميته «قطف الأزهار»(٣٢).

ويوجد في هذا الموضوع، أي الأحاديث المتواترة كتاباً آخر ألفه محمد بن جعفر الكتاني باسم: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»(٣٣).

واتفق المحدثون مع الأصوليين في أقسام المتواتر ما عدا المتواتر السكوتي - وهم يعتبرونه خبر الواحد لأنه لا يتناول شروط المتواتر، كما قال ابن الصلاح: وحديث: «إنما الأعمال بالنيات» ليس من ذلك بسبيل وإن نقله عدد التواتر وزيادة لأن ذلك طرأ عليه في وسط إسناده ولم يوجد في أوائله».(٣٤).

وقال ابن حجر: حديث الأعمال بالنيات فرد، أي خبر الآحاد، لم يروه عن عمر إلا علقمة قلنا قد خطب به عمر على المنبر بحضرة الصحابة، لولا أنهم يعرفونه لأنكروه - كذا قال - وتعقب بأنه لا يلزم من كونهم سكتوا عنه أن يكونوا سمعوه من غيره وبأن هذا لو سلم في عمر منع في تفرد علقمة عنه، ثم تفرد محمد بن إبراهيم به عن علقمة، ثم تفرد يحيى بن سعيد به عن محمد، على ما هو الصحيح المعروف عنه المحدثين (٣٥) وعلى أساس هذه الأدلة أنكر المحدثون المتواتر السكوتي من أقسام المتواتر. والله أعلم ■

الهوامش:

١ - النحل: ٤٤

٢ - الإمام البخاري - الجامع الصحيح - كتاب العلم - باب قول النبي: «رب مبلّغ أوعى من السامع» رقم الحديث ٦٧.

٣ - الماوردي القاضي أبي الحسن - أدب القاضي - تحقيق يحيى هلال سرجان ١/٣٧٠ بغداد مطبعة إرشاد ١٣٩١هـ.

٤ - علي حسب الله - أصول التشريع الإسلامي/٣٩١ كراتشي - إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ١٤٠٨هـ.

٥ - الظاهري ابن حزم - الأحكام في أصول الأحكام ١/١٠٤ مصر - مطبعة الخانجي ١٣٤٦هـ.

٦ - ابن الصلاح الشهزوري - مقدمة ابن الصلاح - ١٣٥ ملتان - فاروقي كتب خانه ١٣٥٨هـ.

٧ - محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث - ١٨ لاهور - دار نشر الكتب الإسلامية - من دون التاريخ.

٨ - العسقلاني ابن حجر - نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر - ١٥ ملتان - فاروقي كتب خانه من دون التاريخ.

٩ - السرخسي شمس الأئمة - أصول السرخسي - تحقيق «أبو الوفاء» الداهاني - ١/٢٩١ قاهرة - مطبعة دار الكتب العربي ١٩٧٢م.

١٠ - محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث/ ١٩.

١١ - ابن النجار الفتوحي - شرح الكوكب المنير ٢/٣٩٢ مكة المكرمة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - الكتاب الخامس وانظر أيضاً قرافي محمد بن إدريس - شرح تنقيح الفصول ص ١٥٢ مصر - المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.

١٢ - الإمام البخاري - الجامع الصحيح - كتاب الرقاق - باب في الحوض وقول الله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر».

١٣ - المصدر السابق - باب صفة أهل الجنة والنار.

١٤ - ابن النجار - شرح الكوكب المنير ٢/٣٣١.

١٥ - نجم الغنى حكيم - مزيل الغواشي شرح أصول الشاشي/ ١٩٥ ملتان عبدالتواب اكيتمي ١٩٨٦م.

١٦ - عبدالكريم زيدان - الوجيز في أصول الفقه/ ١٧٠ لاهور - دار نشر الكتب الإسلامية - من دون التاريخ.

١٧ - عبدالعلي بحر العلوم في كتابه - فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت - ٢/١٢٠ قم - منشورات الرضى من دون تاريخ وانظر أيضاً ابن النجار - شرح الكوكب المنير - ٢/٣٣٣.

١٨ - المصدر السابق.

١٩ - الإمام مالك - موطأ إمام مالك - كتاب الصلاة - باب ما جاء في المسح على الخفين.

٢٠ - الإمام البخاري - الصحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب غسل الأعقاب.

٢١ - الإمام مسلم - الصحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب قول النبي لا نورث ما تركنا.

٢٢ - عبدالعلي بحر العلوم - فواتح الرحموت - ٢/١٤٠.

٢٣ - الإمام البخاري - كتاب الصدق - باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختم به.

٢٤ - عبدالكريم زيدان - الوجيز في أصول الصفة/ ١٦٩.

٢٥ - نجم الغنى - مزيل الغواشي/ ٢٩٥.

٢٦ - الإمام البخاري - صحيح البخاري - كتاب الإيمان والنذور - باب النية في الإيمان.

٢٧ - نجم الغنى - مزيل الغواشي/ ٢٩٥.

٢٨ - السيوطي جلال الدين - تدريب الراوي في شرح تقريب النووي - ٢/١٨٠ - لاهور - دار نشر الكتب الإسلامية - من دون تاريخ.

٢٩ - محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث/٢٠.

٣٠ - عثماني شبير أحمد - فتح المسلم شرح صحيح مسلم ١/٥ - بجنور هند - مدينة بريس - من دون تاريخ وانظر أيضاً - أنور شاه كشميري - فيض الباري شرح صحيح البخاري ١/١-٧٠، تاهبيل هند مجلس علمي - ١٩٣٨م.

٣١ - السيوطي - تدريب الراوي - ٢/١٧٧.

٣٢ - المصدر السابق ٢/١٧٩.

٣٣ - د. محمود الطحان - تيسير مصطلح الحديث/٢٠.

٣٤ - ابن الصلاح - المقدمة في علوم الحديث/ ١٣٥.

٣٥ - العسقلاني - شرح نخبة الفكر/٢٠.

بقلم : د. حسن عبدالغني أبو غدة

لا يُنكر أن طلب العلم والمعرفة من الأهداف التي سعى الإسلام إلى تحقيقها ورغَّب فيها، بل إن تعلّم العلوم الإسلامية والإنسانية والكونية من الفروض التي أولاها الإسلام اهتمامه، وجعلها حتمية على الأفراد، على سبيل فرض العين، وعلى المجتمع، على سبيل فرض الكفاية، ودعا إلى طرق جميع أبوابها، مادام ذلك يفيد الأمة، ويرفع من شأن المجتمع، ويعود بالنفع على عموم الناس، قال الله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)(١) وفي آية أخرى: (وقل رب زدني علماً)(٢).

ومن أجل ذلك جرت عادة عدد من العلماء، وعلى الأخص: علماء الحديث النبوي، أن يفتتحوا مؤلفاتهم ومصنفاتهم بباب العلم وقضاياه(٣)، لما له من أهمية في تحديد المسار الإنساني الفردي والمجتمعي، بعد الإيمان.

العلـم والعلمـاء في الإسـلام

أوليّات العلوم:

لا شك أن لعلم العلاقات الاجتماعية أهمية في كثير من البيئات والمجتمعات، لأنه يتضمن أصول التعامل الإنساني مع الآخرين، وأداء حقوقهم، بنزاهة وشفافية، لكن هذا لايتم على الوجه الأكمل المرضي، إلا إذا صلحت النفوس، وحسنت الأخلاق، وطهرت الضمائر.

من هنا كان لعلوم الشريعة «الحلال والحرام» والعلوم المساندة لها، المرتبة الأولى في الإقبال والتوجه، لأنه يقصد بها إصلاح النفوس وإضاءة العقول، والنهوض بالمجتمع في ظلال الهدي الإلهي الأقوم، وتحمل تبعات الحياة الفردية والاجتماعية بجد وإخلاص ومسؤولية.

هذا، وكما اهتم الإسلام بالعلوم الشرعية، فقد اهتم بأصناف العلوم الأخرى، كالطب، والهندسة، والفلك، والرياضيات، والمساحة، وغيرها من ألوان العلوم الإنسانية والتطبيقية.

ممارسات مبكرة في شتى العلوم:

إن المتتبع لحياة الرعيل الأول من المسلمين، يجد أن اهتماماتهم كانت منصرفة إلى شتى المعارف والعلوم، من غير أن يؤثر هذا على ترتيب الأوليات في التعلّم، ومراعاة حاجة المجتمع الإسلامي الناشئ.

فهذا أبو بكر الصديق كان يجيد علم الأنساب وتاريخ المجتمعات(٤)، وهذا عثمان ابن حنيف يبرِّز في علم المساحة وعلم الخراج، الذي يشبه علم المحاسبة في عصرنا.(٥) أما خالد بن الوليد فكان رائداً في العلوم العسكرية، ولهذا جعله النبي صلى الله عليه وسلم - قائداً لبعض المجموعات العسكرية في أثناء فتح مكة، مع أنه لم يمضِ على إسلامه سوى ستة أشهر(٦).

وأما الزبير بن العوام، فكان ماهراً في علم التحقيق مع المتهمين ومعرفة أساليب المجرمين وحيلهم.(٧)

فضلاً عن تفوق عليٍّ في معرفة القضاء وأصوله(٨) وتميُّز زيد بن ثابت في علم الفرائض(٩) (المواريث) ومهارة أبيٍّ بن كعب في علوم القرآن وقراءاته(١٠)، ومعرفة معاذ ابن جبل بدقائق الفقه وعلومه(١١).

روى الترمذي والدارقطني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبيٌّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(١٢).

إلزامية التعليم والتعلم في الإسلام

ليس عجيباً من الإسلام الذي كان أول ما نزل فيه «اقرأ» أن يحث المسلمين على العلم والتعلم والتعليم، بل يجعل ذلك عليهم من الواجبات التي تتوقف عليها حركة الحياة وتطور المجتمعات نحو الأفضل.

فللمرة الأولى في التاريخ العربي يدفع النبي صلى الله عليه وسلم الناس دفعاً إلى طلب العلم والمعرفة في النواحي الدينية والسلوكية والاجتماعية.

روى الطبراني في المعجم والبخاري في «الوحدان» وغيرهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوماً فقال: «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم، ولا يعلّمونهم، ولا

يعظونهم، وما بال أقوام لا يتعلّمون من جيرانهم، ولا يتفقّهون ولا يتّعظون، والله ليُعلمنّ قوم جيرانهم، وليتعلمنّ قوم من جيرانهم أو لأعاجلنّهم العقوبة، فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ فقالوا: عنى الأشعريين.هم قوم فقهاء، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فجاء الأشعريون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمهلوه سنة، فأمهلهم، فعلّموا جيرانهم...»(١٣).

وهكذا نجد أن الإسلام جعل التعليم - في بعض صوره - إلزامياً، ورتب على التخلف عنه العقوبة، حماية للمجتمع من أسباب الجهل والأمية والتخلف الفكر والسلوكي...

انفتاح المسلمين على العلوم والمعارف

لقد فهم المسلمون الأولون أن دلالة العلم ومجاله في الفكر الإسلامي، لا تقتصر على نوع من العلم بذاته، بل تشمل شتى فروع المعرفة الإنسانية، التي ينبغي أن يُنتفع بنتائجها، وتستثمر لسعادة الإنسان ورقيه، وازدهار - حياته المادية والمعنوية.

ومضى على ذلك المجتمع الإسلامي في قرونه السابقة، ينهل أفراده من أسباب العلوم المختلفة، مهما ارتقت منازلهم، ولا يكفون عن طلب المزيد منها، امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله: (وقل رب زدني علماً)(١٤).

ومن هنا ازدهرت مجموعة من العلوم على أيدي المسلمين، من مثل علوم: الطب، والكيمياء، والرياضيات، والفلك، والتاريخ، والصيدلة، والتشريح، وعلم الرحلات، وتاريخ المجتمعات، والهندسة، والعمران.

واشتهر العديد من الأفذاذ في هذه العلوم وغيرها، كالرازي وابن رشد، والحسن بن الهيثم، وابن الأثير، وابن بطوطة، وابن خلدون وغيرهم... وغيرهم، ممن كانوا يقودون الفكر الإنساني لأكثر من ثمانية قرون.(١٥)

تواضع العلماء:

لم يمنع ما وصل إليه أولئك العلماء من مكانة سامية أن يتواضعوا مع غيرهم، ويأخذوا عنهم ألواناً أخرى من العلوم هم بحاجة إليها، فقد حكي أن الإمام الشهير والمفسر الكبير فخر الدين الرازي، الذي وهبه الله مكانة علمية مرموقة، وشهرة واسعة في الآفاق، فألّف المصنفات الكثيرة، مرّ بمدينة مرو في بلاد خراسان - إيران - فتوافد عليه العلماء وطلاب العلم ليأخذوا عنه - وكان ذلك في القرن السابع الهجري - الثاني عشر الميلادي - وكان من جملة من حضر مجلسه طالب علم ماهر في علم الأنساب، لمّا يبلغ العشرين من عمره، فلما عرف الرازي قدرة هذا الطالب ومهارته وتمكّنه في هذا التخصص، لم يجد حرجاً في أن يطلب منه تدريسه هذا العلم، فتواعدا على ذلك، ثم جلس أمامه، فأخذ عنه وتلقى علم الأنساب، كما كان هذا الطالب يجلس أمام الرازي الإمام، ليتلقى عنه علم التفسير وعلم التوحيد...(١٦)

محاسن العلم وفضائله:

إن فضل العلم عظيم، ومكانته عالية رفيعة، وهو مبتغى كل حصيف، ولا يرضى أي إنسان كان أن يُقال عنه: إنه جاهل، أو قليل العلم.

والعلم يكرم صاحبه في السراء، ويحميه وينفعه عند الشدائد والضراء، وقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة «الهدهد» حينما بلغه أن النبي سليمان - عليه السلام - توعّده بالعقوبة والعذاب الأليم، فلم يجد هذا الحيوان الضعيف، ما يشفع له عنده ويخلّصه من العقوبة، سوى اعتزازه بالعلم وافتخاره به، ووقف يقول للنبي سليمان - عليه السلام: (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين)(١٧) فسمع سليمان له وأصغى إليه، وقبل كلامه وعفا عنه.

أخلاق أهل العلم:

إن للعلم والمعرفة متطلبات أخلاقية، وآداباً اجتماعية، وواجبات سلوكية، لابد منها، ومن ذلك: الإخلاص، والتواضع، وتنزيه النفس عن الأطماع الشخصية، بالإضافة إلى الوقار، والبذل، والتضحية، والصبر على تعليم الآخرين، والعمل بما تحصّل.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون منه»(١٨).

وفي حديث آخر: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلّون يدعون ويستغفرون على معلّم الناس الخير»(١٩).

خاتمة:

إن تاريخنا متزاحم بالنماذج الحية الصالحة من العلماء الأفذاذ، الذين أضاؤوا حياة الأمم والشعوب بنور المعارف، وصاروا فيهم موضع القدوة والريادة في شتى المجالات البشرية...

وإن المسلمين اليوم مدعوون إلى أن يكونوا كأسلافهم في تأكيد وجودهم، ما ضين باسم الله وعلى بركته، يسهمون في إشادة حضارة عمادها العلم والإيمان، ينعم بها الناس آمنين مطمئنين، ومن الأمور المسلّمة في حياة الشعوب والأمم، أن قوة الأمة في علمها، وضعفها في جهلها، تلك سنة الحياة التي أرادها الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)(٢٠). ■

الهوامش

١ - سورة الزمر: ٩.
٢ - سورة طه: ١١٤.
٣ - ينظر على سبيل المثال الجزء الأول من صحيح البخاري والجزء الأول من مجمع الزوائد للهيثمي.
٤ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٤٢/٢.
٥ - الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٨.
٦ - تهذيب سيرة ابن كثير للأستاذ مروان كجك ص ٤٢٩، ٤٧٠.
٧ - زاد المعاد لابن القيم ١٣٦/٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٣٥١/٣.
٨ - ينظر: كشف الخفاء للعجلوني ١٠٨/١ و ١٦٢.
٩ - المرجع السابق ١٠٨/١.
١٠ - المرجع السابق.
١١ - المرجع السابق.
١٢ - المرجع السابق.
١٣ - حياة الصحابة للكاندهلوي ٢٧/٤، والترغيب والترهيب للمنذري ٩٠/١.
١٤ - سورة طه: ١١٤.
١٥ - ينظر كتاب: «شمس العرب تسطع على الغرب» للمستشرقة «زيغرد هونكة».
١٦ - شخصية المسلم للدكتور محمد علي الهاشمي ص ٤٨.
١٧ - سورة النمل: ٢٢.
١٨ - رواه الطبراني في الأوسط كما في الترغيب والترهيب للمنذري ٨٢/١.
١٩ - رواه الترمذي والبزار كما في الترغيب والترهيب للمنذري ٧٢/١.
٢٠ - سورة المجادلة: ١١.

بقلم : عبدالقادر محمد السباعي

أدب الفكاهة والضحك

يقف الإسلام موقف التوسط والقصد والاعتدال في معالجة جميع القضايا، وبخاصة تلك التي تتعلق بالمواقف النفسية وترتبط بالمشاعر والأحاسيس الإنسانية، فلا يترك الأهواء لكي تتغلب، ولا يطلق العنان للشهوات لكي تتمكن، بل وضع لها ضوابط وحدّ لها حدوداً، وأقام لها إطاراً من الهيبة والوقار، فلا تخرج عنه ولا تتجاوزه، وإلا انقلب الحال على عقبه، وصار هلاكاً ودماراً على صاحبه.

من ذلك كيفية الضحك، وأسلوب الفكاهة، ومدى ما يمكن أن يتناوله الإنسان من المزاح، ولذلك وضع الرسول ﷺ الحد الفاصل لذلك، ووضح الطريقة المثلى فقال: «كثرة الضحك تميت القلب».

وفي الوقت ذاته وبالقدر نفسه يرفض الإسلام التزمت المقيت، والوقار المصطنع، والبحث عن التجهم، والحفاظ على العبوس المتكلف الذي يزري صاحبه بين الناس ويمقته أقرب من حوله، فقال رسول الله ﷺ : «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة».

ولذلك فإن أولئك النفر الذين يُظهرون التجهم ويكثرون العبوس، ويتصورون أن ذلك دليل تقوى وورع وقربٌ من الله تعالى وخشية له هم واهمون، لا يقفون على أرض صلبة، ولا يسعفهم دليل، ولا يقف بجوارهم برهان...

ولذا فلا يغفر لأحد تبسم في حضرتهم، أو ضبط وهو في حال انشراح صدر وسرور فإن الصواب غير ذلك، والحق عكس ما يدعون أو يتوهمون... ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمثلى الأعلى في حياتنا ومعاشنا، وفي سلوكنا وتصرفاتنا، قال الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً).

فمع كثرة تعبده ـ ﷺ ـ وطول تبتله، وشدة خشيته لله تعالى، وانهمار عبراته وبكائه، لم تكن الابتسامة تفارق شفتيه، وما كانت مجالسه تخلو من طرفة مرحة أو ابتسامة بريئة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا؟ قال : «إني لا أقول إلا حقاً».(١).

وكان من صفاته ﷺ أنه ذواقة للحديث الذي يلقى عليه يتفحص الكلمات التي يسمعها وكان يتفاعل معها، ويظهر أثرها على وجهه الشريف، فإذا كان فيه ما يدخل السرور على النفس، ويدخل البهجة على القلب ضحك له، وكان جل ضحكه تبمساً، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تفرح غاية الفرح وتُسرّ غاية السرور عندما تراه كذلك، وكانت تقول له «أضحك الله سنك يا رسول الله».

● حاول عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن يدخل تلك القبة التي بنيت للرسول ﷺ في غزوة تبوك، وكانت من أدم وكان بابها صغيراً فلم يفلح في الدخول، واستأذن الرسول في الدخول فأذن له، فأراد أن يعلق على ضيق الباب، وعدم استطاعته في الدخول فقال: «أكلي يا رسول الله؟!» فقال رسول الله ﷺ والابتسامة تملأ شفتيه: «كلك»(٢)، فدخل عوف بن مالك بعد أن أدخل الابتسامة على قلوب الحاضرين في موقف الحرب العصيب الذي تتحجر فيه المشاعر وتتوتر فيه الأعصاب.

● وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه رفيق رسول الله ﷺ وخادمه الأمين يروي لنا عن سلوكه الشريف معه، وكيف كانت معاملته له، فقال: إن كان الرسول ﷺ ليخالطنا، وكان لأنس أخ أصغر منه سناً، وكان له نغير يربيه ويحافظ عليه ويرعاه، فمات ذلك النغير فحزن عليه الغلام الصغير، فلما علم الرسول ﷺ بذلك جاء إلى الغلام الصغير وأخذ يداعبه، ويلاعبه ويلاطفه ويسرّي عنه ويقول له: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟!»(٣)

● وعندما التقى الرسول ﷺ بامرأة عجوز وقالت له: ادع الله لي أن يجعلني من أهل الجنة، فأراد النبي ﷺ أن يذهب عنها وحشة السنين وطول العمر، واقتراب الأجل من نهايته، فأخذ يخفف روعها، ويتبسط معها ويقول لها: «إنه لا يدخل الجنة عجوز». فلما رأى الخوف على وجهها والحزن باديا على محياها والدموع تترقرق في مآقيها قال لها: أما تقرئين القرآن؟ قالت: بلى، قال: ألم تقرئي قول الله تعالى: (إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكاراً. عرباً أترابا)(٤)، فدخلت الفرحة في قلب المرأة وعادت الابتسامة إلى وجهها واستبشرت خيراً.

● وكان لرسول الله ﷺ صديقٌ حميم من أهل البادية اسمه زاهر ابن حرام، وكان رجلاً مرحاً غير أنه كان دميم الهيئة، وكان يهدي رسول الله ﷺ بعضاً من حوائج البادية، وكان الرسول ﷺ يجهزه بما تطيب به النفس وهو عائد إلى باديته، حتى ان الرسول ﷺ كان يقول: «إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه».

وفي يوم مرّ الرسول ﷺ في السوق فوجد زاهراً يبيع بعض المتاع فسرّ به وفرح بقدومه، فجاء النبي ﷺ من خلفه واحتضنه وغمى عينيه، فقال الرجل وهو لا يعلم من الذي خلفه: أرسلني... أرسلني... من هذا؟ فلما علم أنه النبي ﷺ ألزم ظهره إلى صدر النبي ﷺ متلما كان، وقال له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال النبي ﷺ مازحاً

مع الرجل وبصوت مرتفع: «مَنْ يشتري مني العبد؟» فقال زاهر: إذاً تجدني كاسداً يا رسول الله: فقال النبي ﷺ: «ولكنك عند الله لست بكاسد».(٥)

من هنا نتعلم هدي النبي ﷺ وتعليمه لجميع المسلمين كيفية ملاقات المسلم لأخيه المسلم عندما يلتقي به بعد غيبة، فإنما يظهر له المودة والمحبة والإخلاص والحرص على رؤياه وفرحته عند لقائه.

* وهناك نوع من الناس يبحث عن التقعر في الحديث، والغريب من الألفاظ، والعجيب من الأقوال، ويجعله ديدنه وأسلوبه، فربما يغطي به بعض جهله، ويكمله به بعض نقصه، ويظهر به بعض علمه وحذقه، فلربما يجد له مكاناً بين العلماء، أو يجد له منصتاً بين البلغاء، ومع كل هذا التقعر والتكلف يظهر حديثه مضحكاً وكلامه مثيراً.

ولا أدل على هذا النوع من الناس، ولا أظهر من شخصية أبي علقمة المتقعر، الذي كان يخاطب الناس بألفاظ غير معروفة، ويكلمهم كلاماً غير مألوف، ولا يضع للمستمع الذي أمامه اعتباراً، فلا مقام عنده ولا مقال.

ذهب إلى الحجام يوماً فقال له: لا تعجل عليَّ حتى أصف لك، ولا تكن كامرىء خالف ما أُمر به وفعل غيره، اشدد قصب المحاجم، وارهف ظبة المشارط، وأسرع الوضع، وعجّل النزع، وليكن شرطك وخزاً ومصك نهزاً، ولا تردن آتياً ولا تكهرهن آبياً»...

فما أن سمع الحلاق هذه الكلمات، وأنصت إلى هذه العبارات، حتى جمع أدواته في قفته، وأخذ ملابسه في أسنانه وذهب يهرول ويهزي بأعلى صوته: يا قوم هذا رجل به جنة.

وفي ليلة من الليالي المظلمة استيقظ أبو علقمة من نومه، فأراد أن يعرف الوقت، وهل حان موعد الصلاة أم لا؟ فنادى على غلامه وهو يمسح عن عينيه آثار النوم، وقال له: يا غلام أصعقت الغتاريف؟ فنظر إليه الغلام في دهشة واستغراب، وكان غلاماً مرحاً ضحوكاً، فقال له: زقفيلم! فقال أبو علقمة له، وللمرة الأولى يستفسر عن معنى كلمة من الكلمات، فكل الناس تسأله، وهو الذي يتعالى عليهم، ويتعاظم بعلمه، وللمرة الأولى تقف في طريقه كلمة دون أن يعرف معناها أو مدلولها، ولذلك سارع إلى الغلام فقال له: وما معنى زقفيلم أيها الغلام؟ فقال له: إذا أخبرتني أنت أولاً عن معنى سؤالك أجبتك، فقال أبو علقمة: إنني أردت يا أحمق أن أقول لك أصعقت الغتاريف يعني هل صاحت الديكة؟ فرد عليه الغلام وقال له: وأنا أيضاً أردت أن أقول لك أنها لم تصح!!

وليس هناك حديث أعجب من حديثه عندما ذهب مريضاً إلى طبيب، فأراد أن يشرح له الحال التي ألت به، والمرض الذي أصابه فقال له: إني أكلت لحماً من لحم الجوازل(٦) فطسئت طسأة(٧) فأصابني وجع بين الوابلة(٨) إلى دابة العنق(٩)، فلم يزل ينمي(١٠) حتى خالط الخلب(١١)، وألمت به الشراسيف(١٢)، فهل عندك أيها الطبيب دواء؟!!

فقال له الطبيب الحاذق والحكيم الماهر، وهو في مظهر الهيبة، والمحافظة على الوقار:

خذ سلقفاً وشرقفاً ثم أهرقه ورقرقه(١٣)، واغسله بماء مروث وأشربه بماء الماء!! فقال أبو عقلمة: ويحك أيها الطبيب! أعد عليَّ مقالك، فإني لم أفهم منه شيئاً، فقال الطبيب: لعن الله أقلنا إفهاماً لصاحبه وهل فهمت أنا شيئاً مما قلته أنت؟!!

● ويجب أن يكون ضحك له ضوابط، والفكاهة لها حدود ولا تتعداها، ولا تخرج عنها حتى لا تكون مخلة بالمروءة ومذهبة للوقار.

ومن أهم هذه الشروط:

- ارتفاع صوت الضحك، وكثرة القهقهة، ليس من هدي الإسلام، ولا من آداب رسول الله ﷺ، «فقد كان جلّ ضحكه تبسماً».

- أن يكون المزاح حقاً لا كذب فيه ولا تزييف ولا اختلاق ولا افتراء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك لتداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقاً».(١)

وقال أيضاً: «ويل لمن يحدّث فيكذب ليضحك بها القوم، ويل له، ويل له».(١٤).

ومن ذلك أيضاً ألا يكون هذا المزاح مؤدياً لمفسدة أو لقطيعة رحم، أو عقوق بين الأبناء والآباء أو تفريق بين الأحباء، أو خلط بين حق وباطل، وأن يكون بعيداً عن الهجر والقطيعة والعداوة والبغضاء.

- أن يكون المزاح لطيفاً ولا يكون ثقيلاً يمس المشاعر، ولا يجرح الآخرين، ولا يسيء إلى أحد ولا يحقّر أحداً ولا يقلل من شأنه أو منزلته أو مكانته، بل القصد منه والهدف من ورائه التسرية والترفيه، وإدخال البهجة والسرور على نفوس الأصحاب، والتودد إلى الأحباب.

عن أنس رضي الله عنه ، أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: احملنا على بعير، فقال: «أحملكم على ولد الناقة»، قالت: وما نصنع بولد الناقة؟ فقال: «هل تلد الإبل إلا النوق»!(١٥).

- أن يكون المزاح حلالاً لا حرمة فيه، فلا تؤخذ به الحقوق، ولا تستحل به الحرمات، ولا يحصل به على حاجة الغير، قال رسول الله ﷺ : «لا يأخذن أحدكم عصا أخيه لاعباً ولا جاداً، ومن أخذ عصا أخيه فليردها إليه»(١٦)، وقال أيضاً: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً»(١٧).

- ألا يكون من وراء هذا المزاح ترويع الآمنين، أو تخويفهم، أو أخذهم على بغته، أو الدخول عليهم على غرة، قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»(١٨).

- أن يكون الضحك والمزاح في حدود معقولة، لا كثرة فيه، ولا امتداد له، على أن يكون في قصد واعتدال، بعيداً عن الإسراف والإفراط.

وصى سعيد بن العاص ولده فقال له: «اقصد في مزاحك، فإن الإفراط فيه يغض عنك المؤانسين ويوحش منك المصاحبين». ■

الهوامش:

١ ـ رواه الترمذي.
٢ ـ رواه أبو داود.
٣ ـ متفق عليه.
٤ ـ الواقعة:٣٥ـ٣٧.
٥ ـ رواه البغوي في شرح السنة.
٦ ـ الحمام.
٧ ـ أصبت بالتخمة.
٨ ـ عظم في مفصل الركبة.
٩ ـ موضع اتصاله بالظهر.
١٠ ـ يزيد.
١١ الكبد.
١٢ الغضاريف.
١٣ ـ صبه صباً رقيقاً.
١٤ ـ رواه أحمد والترمذي وأبو داود والدارمي.
١٥ ـ رواه الترمذي وأبو داود.
١٦ ـ رواه الترمذي.
١٧ ـ رواه أبو داود.
١٨ ـ رواه أبو داود.

إشكالية الأسماء العربية وموقف الإسلام منها

بقلم : نجدت كاظم لاطة

مما يلاحظ في واقع المسلمين اليوم أن الاسم الذي يتسمى به المسلم غير العربي يلعب دوراً له أثره في ارتياح النفسيات إذا ما كان مرتبطاً بأصل عربي، ذلك أن الاسم العربي قد ارتبط في أذهان المسلمين بشخصيات إسلامية عظيمة كصحابة رسول الله ﷺ.

وهذا الأمر مقبول ولا غبار عليه، لكن عندما يصل الأمر إلى أنه يعتقد بعض المسلمين أن الأسماء العربية هي جزء من الدين الإسلامي، بمعنى أن الأسماء العربية هي وحدها التي يجب أن يتسمى بها المسلمون عرباً وغير عرب، فعندئذ وجب التوضيح في هذا الأمر لئلا يزداد الأمر غلواً ويُبعداً عن الصواب.

الأسماء - بشكل عام - وسيلة نتعارف بها فيما بيننا، والأسماء العربية شأنها شأن بقية أسماء الشعوب غير العربية، ولا ميزة لها على غيرها إلا فيما حدده الشرع، فقد جاء في صحيح مسلم أن «أحب الأسماء إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن، وروى أبو داود حديثاً آخر قوله صلى الله عليه وسلم: «تسمّوا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقهما الحارث وهمام، وأقبحهما حرب ومرة»، وقد قال العلماء في الأسماء المذكورة في هذين الحديثين إنهما من باب الأفضلية، وليس من باب الوجوب لأنها لا تستوعب أسماء المسلمين كلهم، وإلا لحدث ارتباك واشتباه في سجلات الأسماء في الدوائر الحكومية، لذا ترك الإسلام المجال مفتوحاً أمام المسلمين في اختيار ما يشاؤون من الأسماء لأبنائهم، وقد سمى رسول الله ﷺ بعض أولاده القاسم وإبراهيم.

والإسلام وضع شرطين في اختيار الأسماء:

الأول: ألا يكون في الاسم عبودية لغير الله، كعبداللات وعبدالشمس وعبدالمسيح كما يفعل نصارى بلادنا في هذا الاسم الأخير.

الثاني: ألا يكون الاسم قبيحاً، لأنه يشين صاحبه، وقد استبدل رسول الله ﷺ بعض أسماء الصحابة حين وجد معانيها قبيحة، فقد «روى ابن عمر رضي الله عنهما أن ابنة لعمر كان يُقال لها عاصية فسماها الرسول ﷺ جميلة»(١)، «وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن زينب بنت أم سلمة كان اسمها برّة فقيل تُزكي نفسها فسماها رسول الله ﷺ زينب»(٢)

وقال الإمام العسقلاني في كتابه «فتح الباري في شرح صحيح البخاري باب أحب الأسماء»: «أن تغيير الاسم - من القبيح إلى الحسن - لم يكن بالوجوب لأن الأسماء لم يُسمَ بها لوجود معانيها في المسمى، وإنما هي للتمييز»، وقال أيضاً: «الأولى التسمية بالاسم الحسن وتغيير القبيح».

وروى البخاري في صحيحه أن سعيداً بن المسيب «حدّث عن أبيه أن أباه واسمه «الحزن بن أبي وهب» جاء إلى النبي فقال عليه الصلاة والسلام: ما اسمك؟ قال: «حزن، قال: أنت سهل»، فقال - أي الحزن -: لا أُغيِّر اسماً سمانيه أبي، فلم يعترض رسول الله ﷺ عليه.

فنستنتج من هذه الأحاديث الشريفة التي أوردتها أن الأسماء ليست بذات أهمية في الإسلام، وكل ما في الأمر أن الإسلام ربّى نفوس المسلمين على حسن اختيار الأسماء لأبنائهم، لأنه لا يليق بالمسلم أن يُسمي ابنه اسماً قبيحاً وإلا تعرّض للاستهزاء والسخرية من قِبَل الناس، وقد عاتب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً سمى ابنه «بعرة».

وفيما يخص الأسماء غير العربية فلم يأتِ بها شيء، وأعني أنه لم يُنه عن التسمي بها، وإنما تُركت لكل قوم يختارون ما يشاؤون في الأسماء ضمن الشرطين الذين ذكرتهما قبل قليل.

قد يعترض عليّ معترض فيقول إن مشكلة الأسماء غير موجودة عند المسلمين. فأقول إن هذه المشكلة موجودة ولكن لا يشعر بها إلا المسلمون من غير العرب ولا سيما الأقليات المسلمة الموجودة في البلاد الغربية، وأضرب لذلك مثالاً حتى لا يظن القارئ أني اختلق مشكلة غير موجودة، حين جاءني مولود ذكر سميته اسماً من الأسماء المنتشرة بين الشراكسة الذين أنا منهم، فعندما سميته بهذ الاسم - غير العربي - اعترض عليّ أكثر أصدقائي واحتجوا بأن هذا الاسم غير عربي وأنه لا يليق بالمسلم أن يتسمى بغير الأسماء العربية، مستدلين بأن غير المسلمين حين يدخلون في الإسلام يُغيرون أسماءهم، ويستبدلونها بأسماء عربية كما فعل المفكر الفرنسي روجيه غارودي حين سمى نفسه بعد دخوله في الإسلام بـ «رجاء غارودي».

فأردّ على هؤلاء بأن الأسماء العربية هي للعرب، وهي - أيضاً - لمن أراد أن يتسمى بها من غير العرب، تبركاً بالصحابة الكرام، أما أن نفرض شيئاً ما فرضه الله ولا رسوله علينا فهذا مرفوض، وما المانع في أن يكون المسلم الفرنسي اسمه روجيه أو فكتور أو فريدريك؟ وما المانع في أن يكون المسلم الماليزي اسمه مهاتير؟ وما المانع في أن يكون المسلم الأندونيسي اسمه سوكارنو؟ ولماذا نقطع انتماءات المسلمين غير العرب إلى شعوبهم؟ وكلنا سمعنا عن سيبويه ونفطويه ودرستويه، وهؤلاء الثلاثة من أعلام المسلمين الذين كان لهم دور في الحضارة الإسلامية وكذلك سمعنا عن القائد المسلم ألب أرسلان صاحب معركة ملاذ كرد الشهيرة التي لبس فيها المسلمون أكفانهم، وخاضوا المعركة وانتصروا فهؤلاء جميعاً عاشوا بين المسلمين في بغداد وغيرها بهذه الأسماء ولم يستبدلوها بأسماء عربية، بل لم يعترض عليهم أحد.

وفيما يخص اسم المفكر الفرنسي المسلم روجيه غارودي فإن الروائي المصري يوسف القعيد يروي عنه بأن الصحف العربية هي التي غيَّرت اسمه من روجيه إلى رجاء، أما روجيه نفسه فلم يخطر بباله هذا التغيير بدليل أن كتبه الحديثة تصدر باسم روجيه غارودي وليس رجاء غارودي.

وأنا أعجب من الأجانب الذين استبدلوا أسماءهم بأسماء عربية عندما دخلوا في الإسلام، لأنهم بذلك - يُرسخون في عقول غير المسلمين أن دين الإسلام هو دين العرب لا الدين المنزل من الله تعالى إلى البشرية كافة، فينفر الناس من هذا الدين، ولأنه سيتبادر إلى أذهانهم مقولة اليهود «شعب الله المختار»، وسيتبادر إلى أذهانهم - أيضاً صورة النازية الهتلرية التي تُعلي من شأن العنصر الألماني.

ولم يحدث عبر تاريخ المسلمين - حسب علمي - أن غيّر أحد ممن دخل في الإسلام اسمه واستبدل به اسماً عربياً ومما تروي كتب التاريخ أن أحد قادة الجيش الرومي أسلم على يدي خالد بن الوليد، وكان اسم هذا القائد «جرجه» فلم يُغير خالد اسمه، علماً بأن اسم «جرجه» من أسماء نصارى الروم.

ومما يُثير الضحك أن بعض المسلمين العرب اليوم يُرجع بعض الأسماء غير العربية إلى أصل عربي، فكأنه يريد أن يقول إن أصل العالم كله عربي، فنراه يرجع أصل اسم «شكسبير» إلى الشيخ زبير، وأصل اسم الرئيس الشيشاني الراحل «دوداييف» إلى داود، علماً بأن الاسم هو (دوداي +يف) وليس (داود +يف)، وهناك فرق واضح بين الاسمين، الأول اسم شيشاني بحت، الثاني اسم نبي الله داود، وهنا تكمن المشكلة، والمشكلة التي تريد أن تجعل من الإسلام دين العرب فقط لا دين البشرية جمعاء.

والبعض - أيضاً يجهل - كما يبدو - أن الإسلام هو دين الله المقدم للبشرية جمعاء دون أن يكون لقوم من الأقوام شيءٌ من أشيائهم فيه، واستثني من ذلك اللغة العربية التي هي لغة القرآن، ولا أقول هي لغة الإسلام، لأنه يمكن أن يكون الواحد منا مسلماً صحيح الإسلام دون أن يتعلم اللغة العربية، إذ يكفيه أن يحفظ الفاتحة وسورتين من قصار السور لكي يصلي صلاة صحيحة.

واللغة العربي هي اللغة المصطفاة من الله تعالى، ولا يجوز الاعتراض على هذا الاصطفاء، وهي - أي اللغة العربية - الشيء الوحيد من أشياء العرب في هذا الدين وليس لأحد أن يعترض على ذلك، أما أن نلصق عليها بالإسلام أشياء عربية أخرى لم ينص عليه الشرع فهذا أمر مرفوض ولا يقبل به الإسلام.

والله تعالى لم يرفع من شأن اللغة العربية في القرآن إلا ليحفظ كتابه، لا ليرفع العرب والعروبة ويعظمهما، وإن قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) آل عمران: ١١٠، المقصود هنا أمة الإسلام لا أمة العرب، وإلا فأين سيجد بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي أنفسهم في هذه الآية، حاشا لله أن يغمط حتى هؤلاء، فهؤلاء الثلاثة وضع كلٌّ منهم لبنة في جدار حضارة الإسلام.

وفي الختام أقول لمن تؤلمهم الأسماء الأجنبية التي تسمى بها مسلمون أجانب أقول لهم إن سماعنا لتلك الأسماء يُفرحنا ولا يُحزننا، لأننا - عندئذ - سنشعر أن دين الله (دين الإسلام) وصل إلى هؤلاء، أما عند سماعنا للأسماء العربية فقط فلا أظن أننا سنشعر بمثل تلك الفرحة. ■

بقلم : محمد حسين هيجل

المظالم في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز

ولد عمر بن عبدالعزيز سنة ٦٢هـ، وأمه بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تولى إمارة المدينة سنة ٨٧ للهجرة، حيث عينه من الخليفة الوليد بن عبدالملك عليها، عزل عنها سنة ٩٣ للهجرة، سافر بعدها إلى الشام وبقي فيها ست سنوات، واستلم خلافة الدولة الأموية بعد توصية سليمان بن عبدالملك سنة ٩٩ هـ، واستمر بالخلافة طيلة سنتين ونصف السنة.

وكان مثالاً للعدل والورع، متخذاً من سيرة جده عمر بن الخطاب مثلاً أعلى، سار على هديه قوّم انحراف الخلفاء السابقين وعادت الدولة الأموية إلى مبادئ الإسلام الأولى التي نادى بها الرسول محمد ﷺ ، والخلفاء الراشدون، وذلك باعتماد مبدأ المساواة بين الناس، ورفع المظالم لترسيخ مبدأ الحق والعدل وفق تعاليم الشريعة الإسلامية.

وهو أول خليفة ندب نفسه للمظالم بشكل مباشر، حيث رد الحقوق إلى أصحابها، بادئاً بنفسه ثم بأهل بيته، كما رد القطائع التي ورثها عن آبائه وأعاد ما اغتصبه الأمويون واعتبر السلطة مسؤولية كبيرة من أجل إقامة الحق ورفع الباطل، واعتبر نفسه ركناً أساسياً من أركان السلطة عندما وصف مقومات الحكم بقوله :

«إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها فالوالي ركن، والقاضي ركن، وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا».

كما أحسن معاملة أهل الذمة، وطالب عماله بالرفق بهم مما شجع ذلك على اعتناقهم دين الإسلام، والتعايش مع العرب المسلمين على أساس المساواة بعد أن حرموا في العصور السابقة حق المواطنة، كما أسقط الجزية عمن أسلم منهم عندما رد على صاحب خراج مصر بقوله :

«لقد وليتك جند مصر وأنا عارف بصنعتك فضع الجزية عمن أسلم فإن الله إنما بعث محمداً ﷺ هادياً ولم يبعثه جابياً».

استطاع عمر خلال فترة وجيزة أن يثبت دعائم الحكم الأموي على أساس متين تحميه من خطر الانهيار

كما انتقد موقف الخلفاء السابقين من التحيز لقبيلة دون أخرى كالتنازع بين القيسيين واليمانيين، ووقف موقفاً صلباً وأطفأ نار الفتنة، سالكاً أسلوب الاقناع والمحاورة في دعوة المتصارعين والإصلاح بين الإخوة مستهلما قوله تعالى :

(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) سورة الحجرات:١٠.

إذا لم يستيجبوا لدعواه ضربهم بشدة دونما تردد أو تعاطف كما يقول تعالى :

(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات:٩.

كما أقام نظاماً ثابتاً للعطاء للجند والمقاتلين على أساس المساواة بين العرب وغيرهم طالما كان الجميع يقاتلون في سبيل الله تحت مبدأ واحد ورواية واحدة، كما أجرى العطاء على أبناء المقاتلين وزوجاتهم وخصص أعطيات للفقراء والمرضى الميؤوس من شفائهم.

إن إقراره لمبدأ الحق والعدل ولّد لدى الناس الجرأة بالتظلم له من أهل بيته عندما أتاه رجل فقال له :

يا أمير المؤمنين مظلمة دخلت عليّ.

قال عمر :

ومن بك ؟

قال :

فلا والله ما استطاع أن يقول فلان لبعض أهل بيته مرتين أو ثلاثاً.

فقال :

فلا بد فلان بن فلان عمد إلى مال لي بكذا وكذا فآخذه.

فقال : يا غلام ائتني بدواة وقرطاس فكتب إلى عامله :

«إن فلاناً ذكر لي كذا وكذا فإن كان الذي ذكر لي على ما ذكر فلا تراجعني فيه ورده عليه ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال :

(إن هذا لهو البلاء المبين) سورة الصافات:١٠٦.

وكذلك موقفه العادل ورد المظالم لأصحابها عندما استخلص عمر حوانيت حمص من «ابن الوليد روح» وردّها إلى أصحابها عندما تخاصم أصحاب الحوانيت مع «روح» وكانت لهم اقطعه إياها أبوه الوليد بن عبدالملك، فقال عمر :

اردد عليهم حوانيتهم.

قال روح : هذا معي بسجل الوليد.

قال عمر : وما يغني عنك سجل الوليد والحوانيت حوانيتهم، قد قامت لهم البينة عليها خل لهم حوانيتهم.

فقام روح والحمصي منصرفين فتوعد روح الحمصي فرجع الحمصي إلى عمر فقال :

هو والله متوعدي يا أمير المؤمنين.

فقال عمر لكعب بن حامد صاحب الشرطة وهو على حرسه : أخرج إلى روح يا كعب فإن سلم إليه حوانيته فذلك وإن لم يفعل فائتني برأسه. فخرج بعض من سمع ذلك ممن يعنيه أمر روح بن الوليد فذكر له الذي أمر به عمر فخلع فؤاده وخرج إليه كعب وقد سل من السيف شبراً فقال له :

قم فخل له حوانيته.

قال: نعم نعم فخل له حوانيته مطبقاً بذلك قوله تعالى:

(يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء:١٣٥.

وكان دائماً يطالب عمّاله برد المظالم إلى أصحابها دون حبسها وذلك عندما كتب إلى العمال إذ يقول :

أما بعد فإني كنت كتبت إليكم بردّ المظالم، ثم كتبت إليكم أن تحبسوها ثم كتبت إليكم بردّها، فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور حتى قبضت أموالاً قد كنت رددتها ثم رأيت أن أردها على سوء ظن بأهلها أحب إليّ من أن أحبسها حتى ينجلي الأمر من غد على ما ينجلي عنه، فإذا جاءك كتابي هذا فارددها على أهلها والسلام عليك».

وكان لا تأخذه بالله لومة لائم مهما كان المتخاصم بالنسبة له، وعندما شكا له رجل على عامل مكة عروة بن عياض بن عدي الذي سامه على مال بثلاثة آلاف درهم واستحلفه بالطلاق إن خاصمة وكان عروة بن عياض قد خرج ليودع عمر من مكة فنظر عمر إلى عروة ثم نكت بالخيزران بين عينه في سجدته وقال :

أقام عمر نظاما ثابتا لعطاء الميت والمقاتلين على أساس المساواة بين العرب وغيرهم

هذه غرتني منك ثم قال للرجل: اذهب فقد رددت عليك مالك ولا حنث عليك.

وفيما يتعلق بدخول المظلومين إليه دون إذن لأنهم يرون فيه الإنسان الصالح التقي الورع الزاهد والإمام العادل الرشيد المحب للرعية والمشفق عليها حيث سمح لمن ظُلم بالدخول إليه دون إذن له على عمر إذ يقول :

«أيها الناس الحقوا ببلادكم فإني أنساكم عندي أذكركم ببلادكم ألا أني قد استعملت عليكم رجالاً لا أقول هم خياركم ولكنهم خير ممن هو شر منهم إلا فمن ظلمه إمامه مظلمة فلا إذن له عليَّ ومن لا فلا أرينه إلا أني منعت نفسي وأهل بيتي هذا المال فإن ضننت به عنكم إني إذن لضنين والله لولا أن أنعش سنة أو أسير بحق ما أحببت أن أعيش فواقاً وكان يصف الإمام الظالم عاصياً لا الهارب من ظلم الإمام العاصي عاصي إذ يقول :

«أما بعد أيها الناس فلا يطولن عليكم الأمد، ولا يبعدن عليكم يوم القيامة، فإن أزفت به منيته فقد قامت قيامته، لايستعتب في شيء ولا يزيد حسن إلا لإسلامه لا مري في خلاف السنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله، ألا وإنكم تعدون الهارب من ظلم إمامه عاصياً ألا وإن أولاهما بالمعصية الإمام الظالم، ألا وإني أعالج أمراً لا يعين عليه إلا الله، كما تجنب عمر الإصلاح بالظلم، لأن في ذلك هلاك للدين عندما قال: «من لم يصلحه إلا الغشم فلا يصلح والله لا أصلح الناس بهلاك ديني إلا إذا كان الذي يريد الإصلاح بمنزلة من العدل والإصلاح والإحسان عليه أن يفعل وها هو يصلح ما بين رجل من أهل الشرق جاء مختصماً مع ابن أخيه قال: «بينما الشيخ يريد الصلة والصلح إذا غضب فدعته نفسه إلى القطيعة فنظر عليه عمر فقال: «ما رأيت أحلى منك ولا أمرّ ولا أبعد ولا أقرب بينما أنت تريد الصلة والصلح دعتك نفسك إلى القطيعة والظلم وله شاربان قد غطيا فاه» فقال :

«يا مينا لحجام له اخرج هذا الشيخ من الصف ثم خذ لي من شاربه ثم ائتني به ففعل» فقال عمر: «هذا أطيب وأنظف مع القطرة هلم إلى الصلح أيها الشيخ أنت وابن أخيك، قالا: نعم فأصلح ذات بينهما فرفع عمر يديه إلى السماء وقال الحمد لله».

وعمر باقٍ له على رد المظالم ضج بنو أمية من ذلك لأنه ضر بمصالحهم، أفقر بيت المال من جرّاء رد المظالم، لكنه لم ينتبه إلى ذلك، بل ظل مصرّاً على أن يرد المظالم إذ يقول: «والله لوددت ألا تبقى في الأرض مظلمة إلا رددتها وذلك لما يعرف من سوء تصرف الولاة من بني مروان قبله على الناس، ولقد انفد بيت مال العراق برد المظالم حتى حمل إليها من الشام، وهكذا استطاع عمر خلال فترة وجيزة أن يعمل من أجل تثبيت دعائم الحكم الأموي على أساس متين تحميه من خطر الانهيار وكان من الممكن جداً أن تنعكس ثمار هذه الجهود على الخلافة الأموية بصورة عامة لو طال به الأمد. ■

يقول عمر : إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها فالوالي ركن والقاضي ركن وصاحب بيت المال ركن والركن الرابع أنا

تراجم

إعداد : محمد مروان جميل مراد

أعلام ومشهورون دفنوا في دمشق

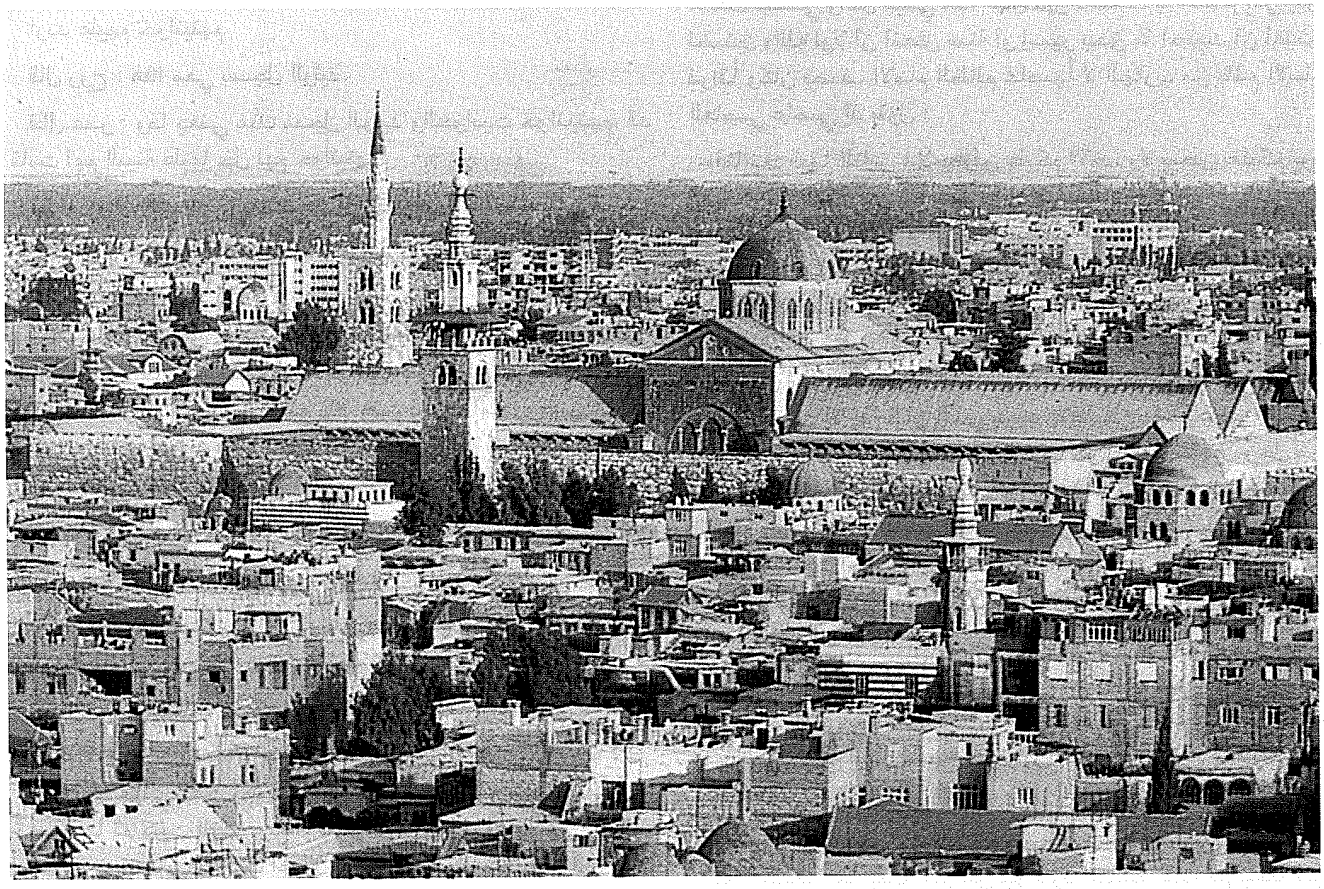

● مدينة دمشق ويبدو الجامع الأموي

حرف الألف

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام المنيري الحراني - تقي الدين أبو العباس «ابن تيمية»

شيخ الإسلام، ولد العام ٦٦١هـ - ١٢٦٣م بحرّان، وقدم إلى دمشق مع أهله، ناظر وجادل وهو ابن سبع عشرة سنة، برع في علم الكلام والفلسفة، وعلوم القرآن والحديث، وتعتبر حياته نموذجاً يحتذى في مواجهة الصعاب، بلغت تصانيفه ٥٠٠ مجلد، جمعت فتاواه ورسائله وطبعت، ومن أشهر مؤلفاته: «منهاج السنة النبوية» «الرد على المنطقيين» «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، وكان يحفظ أحاديث الكتب الستة، لقّب محي السنة وإمام المجتهدين، سجن في مصر والشام وبقي في سجنه حتى توفي بقلعة دمشق العام ٧٢٨هـ - ١٣٢٨م ودفن في دمشق.

أحمد بن فضل الله العمري (شهاب الدين)

ولد في دمشق العام ٧٠١هـ - ١٣٠١م، مؤرخ وشاعر، من أئمة الكتّاب في العهد المملوكي، لقب بموسوعي دمشق، تولى منصب القضاء فيها، من أهم مصنفاته: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، «التعريف بالمصطلح الشريف» توفي ودفن

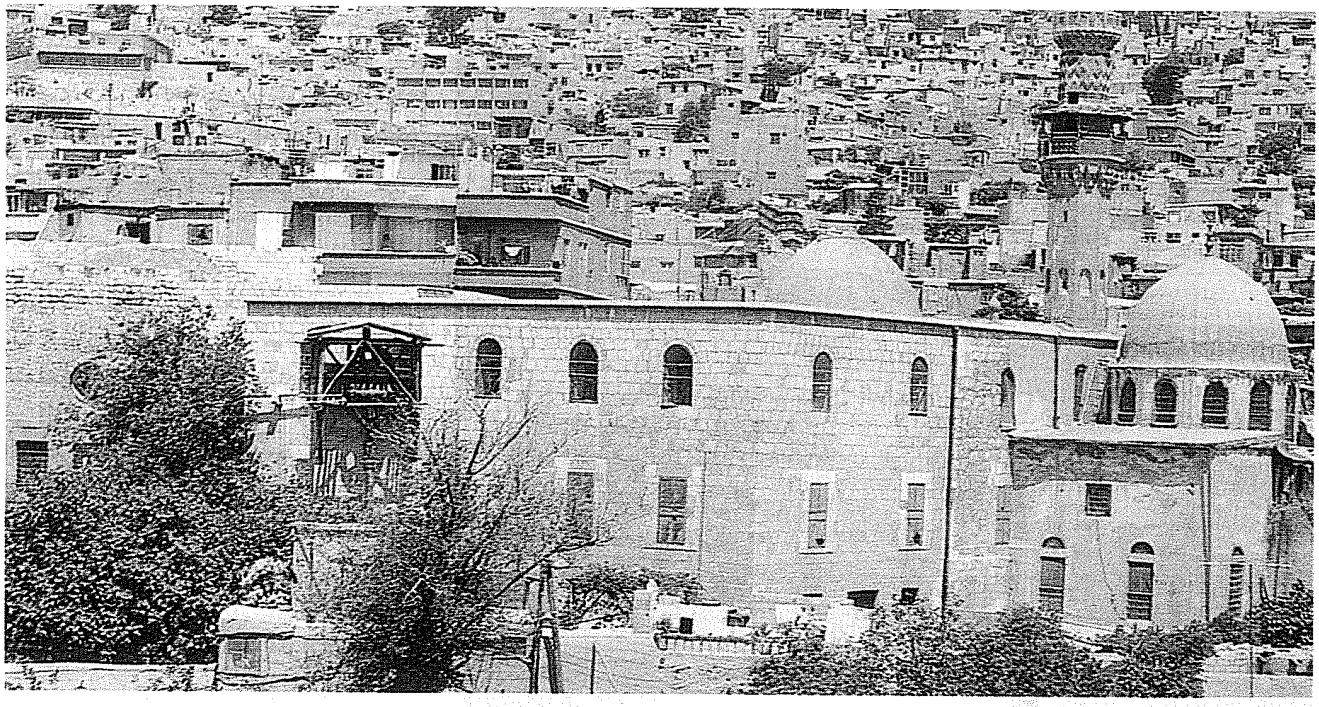

● جامع الشيخ محي الدين بدمشق وبه ضريحه ... وكان به ضريح عبدالقادر الجزائري

في دمشق العام ٧٥٠هـ - ١٣٤٩م.

أحمد بن محمد ابن خلكان (شمس الدين)

قاضي القضاة بالشام، ولد باربيل العام ٦٠٨هـ - ١٢١١م، عالم ومؤرخ جامع، وله باع طويل في الفقه والنحو والأدب. تنقل في طلب العلم بين حلب ودمشق والقاهرة، وعيّن قاضي القضاة بالشام. من أشهر مؤلفاته : «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، ويتضمن ٨٤٦ ترجمة للأعيان والمشاهير حتى أواخر القرن ١٣م، توفي العام ٦٨٠هـ - ١٢٨١م، ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق.

أحمد بن يوسف القرماني

مؤرخ وأديب، ولد في دمشق العام ٩٣٩هـ - ١٥٣٢م، من أشهر مؤلفاته «أخبار الدول وآثار الأول»، المعروف بتاريخ القرماني، توفي ودفن في دمشق العام ١٠١٩هـ - ١٦١٠م.

أسامة بن زيد

صحابي كريم، أبوه زيد بن حارثة من كنانة عوف، حب رسول الله - ﷺ - «أمه بركة» الحبشية، أم أيمن، ولد في السنة السابعة قبل الهجرة في مكة المكرمة، عرف بالتقوى والورع والشجاعة، أجازه الرسول - ﷺ - فقاتل في «أحد» وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاتل في حنين ومؤتة، وأمّره على جيش المسلمين لغزو الروم في الشام ولم يجاوز العشرين، وأنفذه أبو بكر الصديق للشام. توفي العام ٥٤هـ - ٦٧٣م ودفن في المزة، ضاحية دمشق.

أسامة بن مرشد الكناني (ابن منقذ)

ولد بشيزر شمالي مدينة حماة العام ٤٨٨هـ - ١٠٩٥م، كان أبوه أميراً، التحق بجيش زنكي، أتابك الموصل، وعاش في بلاط النوريين بدمشق، ثم الفاطميين في القاهرة، شارك في التصدي لحملات الصليبيين على فلسطين، وعاش في دمشق زمن صلاح الدين الأيوبي عني بالجهاد وبالشعر، وله ديوان في الفخر والوصف والغزل، ترجم لحياته في الاعتبار وله: «لباب الآداب» و«ذيل يتيمة الدهر» و«البديع في البديع»، توفي العام ٥٨٤هـ - ١١٨٨م ودفن في دمشق.

إسماعيل بن عمر (ابن كثير) أبو الفداء

ولد في قرية جندل - حوران العام ٧٠٠هـ - ٢٣٠٠م، مؤرخ عربي، أقام في دمشق، واشتغل بالتأليف من أشهر مصنفاته البداية والنهاية في ١٤ جزءاً، توفي في دمشق العام ٧٧٤هـ - ١٣٧٢م، ودُفن فيها.

أوس بن أوس الثقفي

من كرام الصحابة الأجلاء، وفد على الرسول ﷺ في وفد ثقيف في رمضان في السنة التاسعة للهجرة، وأعلن إسلامه، رويت له أحاديث عن الرسول ﷺ ، كان من الزاهدين المعرضين عن الدنيا، توفي في دمشق في خلافة عثمان بن عفان، ودفن بمقبرة باب الصغير تجاه المدرسة الصابونية.

حرف البـــاء

بلال الحبشي بلال بن رباح الحبشي القرشي التيمي

مولى أبي بكر، حمامة، كنيته: أبو عبدالله من السابقين للإسلام، عذّب في سبيل دينه فصبر، واشتراه أبو بكر وأعتقه، روى عن رسول الله ﷺ ٤٤ حديثاً، وهو أول من أذّن في الإسلام، هاجر إلى المدينة المنورة وآخى الرسول بينه وبين عبدالله الخثعمي، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وفي عهد عمر بن الخطاب خرج مجاهداً إلى الشام، وفيها توفي في دمشق سنة ٢٠هـ - ٦٤٠م ودفن في مقبرة «باب الصغير».

بهاء الدين علي بن محمد (ابن الساعاتي)

من شعراء العصر الأيوبي، ولد في دمشق

العام ٥٥٣هـ - ١١٥٨م، مدح أعلام الدولة الأيوبية، جلّ شعره في الفخر والوصف والهجاء، كان مولعاً بالمحسّنات اللفظية، له ديوان مطبوع من جزءين توفي في دمشق ودفن فيها العام ٦٠٥هـ - ١٢٠٨م.

بيبرس البندقداري
(الملك الظاهر) ركن الدين

من أقدر سلاطين المماليك البحرية في مصر، ولد العام ٥٨٨هـ - ١٢١٠م، حكم بعد مقتل السلطان سيف الدين قطز، حارب الصليبيين في المنصورة، وأعاد للخلافة العباسية مقامها الروحي في القاهرة بعد سقوط بغداد في يد المغول - هزم المغول في موقعة عين جالوت العام ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م، اشتهر بالعدل وحب العلم - توفي في دمشق العام ٦٧٦هـ - ١٢٧٧م، ودفن بالظاهرية قرب القلعة.

حرف الجيم

حجر بن عدي بن جبلة الكندي
أبو عبدالرحمن

صحابي من المقدّمين، وفد مع أخيه هانيء على رسول الله ﷺ ، وبايعه على الإسلام، وشهد حنين والجمل وصفين والقادسية، سكن الكوفة وناوأ بني أمية فاستدعاه معاوية وأمر بقتله في قرية مرج عذراء بالقرب من دمشق ودفن فيها العام ٥١هـ - ٦٧١م.

الحسن بن محمد (البوريني)

ولد في دمشق العام ٩٦٤هـ - ١٥٥٦م، مؤرخ وشاعر، قضى شطراً من حياته في التدريس، له «تراجم الأعيان من أبناء الزمان» و«شرح ديوان ابن الفارض» توفي في دمشق ودفن فيها العام ١٠٢٤هـ - ١٦١٥م.

حمزة بن أسد (ابن القلانسي)
أبو يعلى التميمي

ولد في دمشق سنة ٤٦٤هـ - ١٠٧١م، أديب ومؤرخ، شغل رئيس ديوان الإنشاء، من مؤلفاته «ذيل تاريخ دمشق» الذي أتم فيه كتاب هلال الصائبي، توفي في دمشق ودفن فيها سنة ٥٥٦هـ - ١١٦٠م.

حرف الخاء

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية
(أبو سعيد)

أمه: أم خالد بنت حباب الثقفية. من الصحابة السابقين، يذكر أنه الخامس دخولاً في الدين الحنيف. عذبه أبوه في سبيل إسلامه فصبر. هاجر إلى الحبشة، ثم غزا مع الرسول الكريم ﷺ ، حضر فتح مكة، وحنين والطائف وتبوك، أول من كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» بعثه الرسول والياً على اليمن، شارك جيوش الفتح في الشام، شهد موقعة أجنادين ١٣هـ - ٦٣٤م، وموقع مرج الصفر قرب دمشق وفيها استشهد في خلافة عمر العام ١٤هـ - ٦٣٥م ودفن في دمشق.

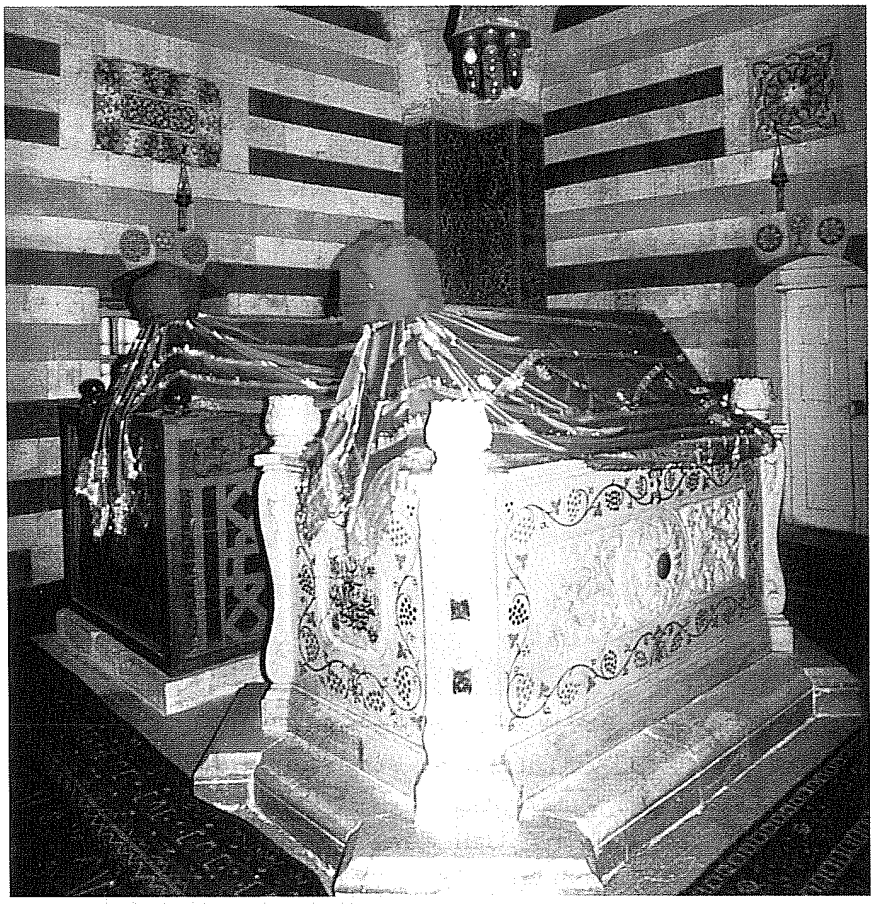

● ضريح القائد صلاح الدين الأيوبي

خالد بن يزيد بن معاوية
ابن أبي سفيان

حكيم قريش وعالمها، اشتغل بالطب والكيمياء والنجوم وألّف فيها رسائل، وكان إلى جانب ذلك ورعاً عالماً بأمور الدين، أول من نقل الكتب من اليونانية إلى العربية، بويع بالخلافة بعد أبيه يزيد، ولكنه تخلى عنها بعد ثلاثة أشهر لينصرف إلى العلم، دفن في دمشق العام ٨٥هـ - ٧٠٤م.

خليل بن إيبك الصفدي
(صلاح الدين)

أديب ومؤرخ ولد بصفد، ٦٩٦هـ - ١٢٩٦م، درس اللغة والأدب والفقه، عمل في ديوان الإنشاء في القاهرة ودمشق وحلب، ودرّس في الجامع الأموي، يُقال إن مؤلفاته زادت عن ٢٠٠ مجلد، من أشهرها «الوافي بالوفيات» وهو تراجم للمشهورين، «أعيان العصر وأعوان النصر» «تحفة ذوي الألباب»، وله شعر مدوّن في مختاراته.

توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٦٤هـ - ١٣٦٢م.

خولة بنت الأزور الأسدي

من أشجع نساء العرب في عصرها، أخت ضرار بن الأزور، قاتلت في معركة اليرموك وأبلت فيها بلاء مشهوداً، ولها أخبار كثيرة في فتوح الشام، شاعرة مجيدة، توفيت في آخر خلافة عثمان، ودفنت في دمشق العام ٣٥ هـ - ٦٥٥م.

حرف الجيم

دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ابن وجدة الكلبي

من الصحابة المشهورين، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، عدا غزوة بدر، وكان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل على صورته أحياناً، بعثه الرسول ﷺ إلى قيصر الروم رسولاً سنة ست من الهجرة الشريفة، شهد معركة اليرموك وأبلى فيها بشجاعة، ثم نزل دمشق وعاش فيها حتى خلافة معاوية، رويت له ثلاثة أحاديث عن الرسول ﷺ، توفي في دمشق سنة ٤٥هـ - ٦٦٥م ودفن في منطقة المزة.

حرف السين

سبط شمس الدين (ابن الجوزي)

مؤرخ عربي، ولد في بغداد العام ٥٨٢هـ - ١١٨٦م، ألف كتاباً في التاريخ العام بعنوان «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» من البداية حتى العام ١٢٥٦م في ٤٠ مجلداً، نشر بعض المستشرقين أجزاء منه، توفي في دمشق العام ٦٥٥هـ - ١٢٥٧م ودفن فيها.

ست الشام بنت نجم الدين أيوب

أخت الناصر صلاح الدين، من سيدات وأميرات البيت الأيوبي في دمشق، أنشأت المدرسة الشامية الجوانية، جنوب البيمارستان النوري، والمدرسة الشامية البرانية في حي ساروجا توفيت في دمشق سنة ٦١٦هـ - ١٢١٩م.

سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي (أبو ثابت)

أمه: عمرة بنت مسعود، كان من أمراء الجاهلية، أسلم مبكراً، وشهد بيعة العقبة، وهو أحد النقباء الاثني عشر فيها، نال نصيباً من تعذيب قريش للمسلمين بمكة، عُرف بالكرم والشجاعة، كانت معه راية الأنصار، وبيده راية الرسول ﷺ في فتح مكة، توفي في خلافة عمر سنة ١٤هـ - ٦٣٥م، ودفن في المليحة قرب دمشق.

حرف الشين

شرحبيل بن حسنة بن عبدالله ابن المطاع الكندي (ابن سفيان)

أمه حسنة، من مهاجري الحبشة والمدينة، شارك في غزوات النبي ﷺ ، أوفده النبي رسولاً إلى مصر، ووجّهه أبو بكر الصديق إلى الشام، فكان أحد قادة الفتوح في الشام، وولاّه عمر بن الخطاب على دمشق، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ - ٦٣٩م، ودفن قرب «باب توما» في دمشق.

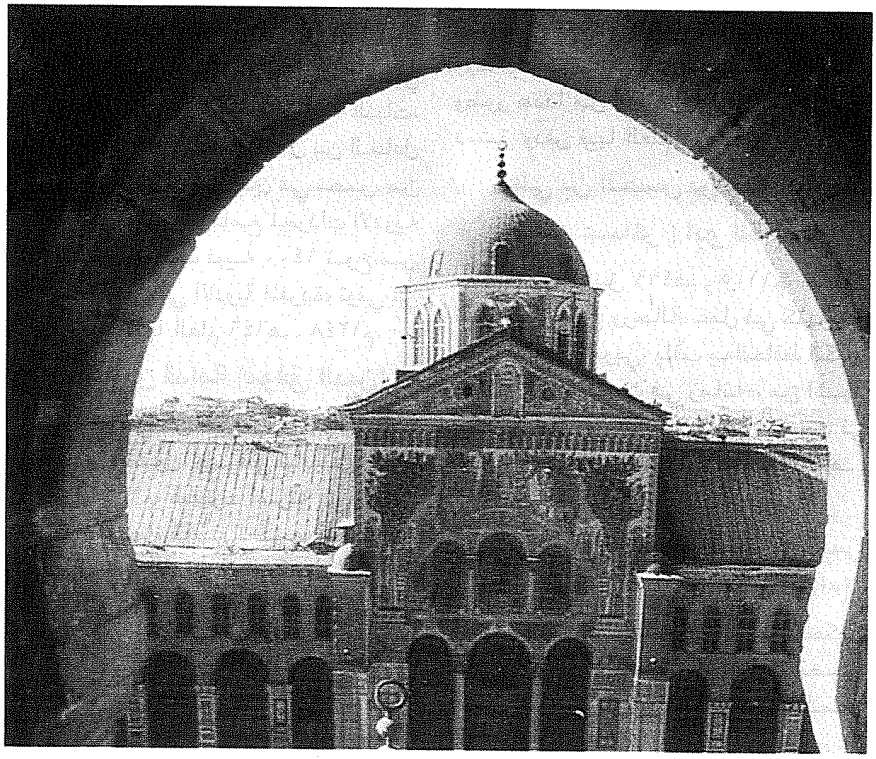

● الجامع الأموي في دمشق

حرف الضاد

ضرار بن مالك الأزور بن الأسدي

أحد أبطال الجاهلية من بني أسد، فارس شجاع، وشاعر مطبوع، قاتل أهل الردة يوم اليرموك وقاتل تحت راية خالد بن الوليد، شارك في فتح دمشق، وتوفي فيها العام ١٥هـ - ٦٣٦م.

حرف العين

عائشة بنت يوسف بن أحمد بن ناصر - الباعونية - (أم عبدالوهاب)

ولدت في دمشق، وحفظت القرآن الكريم في الثامنة من عمرها، جمعت بين العلم والشعر والصلاح والزهد، رحلت إلى مصر، ثم عادت إلى دمشق العام ٩٢٢هـ - ١٥١٦م، وفيها توفيت ودفنت بالصالحية، من آثارها: «الفتح المبين في مدح الأمين»، «در الغائص في بحر المعجزات والخصائص»، «فتوح المعاني»، ولها ديوان شعر مخطوط.

عبدالرحمن بن إسماعيل (أبو شامة المقدسي)

لغوي ومحدّث ومؤرخ، ولد في دمشق العام ٦٠٠هـ - ١٢٠٣م، ودرّس فيها اللغة والفقه، ولي مشيخة دار الحديث للأشرفية في دمشق، من مؤلفاته: «الروضتين في أخبار الدولتين»، و«مختصر تاريخ دمشق»، و«شرح البردة»، توفي في دمشق ودفن فيها ٦٦٧هـ - ١٢٦٨م.

عبدالقادر بن محيي الدين الجزائري (الأمير)

ولد ١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م في مدينة الجزائر في أسرة من الأشراف - نودي به أميراً العام ١٨٣٢م، اشتهر بالعلم والتقوى والشجاعة، قاد المجاهدين في الحرب ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر خمسة عشر عاماً، وانتصر على الفرنسيين في مواقع مشهودة، اضطر إلى التسليم العام ١٢٦٤هـ - ١٨٤٧م، فنفي إلى فرنسا، لجأ إلى تركيا، ثم إلى دمشق وسكن فيها حتى وفاته العام ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م، فدفن في الصالحية، ونقلت رفاته إلى الجزائر بُعَيد الاستقلال.

عبدالله بن أحمد (ابن البيطار)

إمام النباتيين وعلماء الأعشاب، ولد في مالقة، وجاب شمال إفريقيا لدراسة النبات، دخل في خدمة الملك الكامل بن العادل وأصبح رئيساً للعشابين في مصر. من أشهر مؤلفاته: «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»، وصف فيه ١٤٠٠ نوع من العقاقير «المغني في الأدوية المفردة» توفي في دمشق ودفن فيها العام ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م.

عبدالله بن قدامة (موفق الدين)

فقيه حنبلي من الكبار، وإمام في علم الخلاف والأصول، ولد في نابلس العام ٥٤٣هـ - ١١٤٦م، هاجرت أسرته إلى دمشق واستقرت فيها، فأخذ العلم عن علمائها، وانصرف إلى التعليم والتأليف، من أهم مصنفاته «الشافي» وهو الشرح الكبير للمقنع، «والمغني في شرح مختصر الخرقي» وهو في عشرة مجلدات، توفي ودفن في دمشق العام ٦٢٠هـ - ١٢٢٣م.

عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي

ولد العام ٢٦هـ - ٦٤٦م في المدينة المنورة، أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، يعتبر المؤسس الثاني للخلافة الأموية، كان فقيهاً متعبداً، استعمله معاوية على المدينة المنورة وعمره ست عشرة سنة، تولى الحكم بعد أبيه سنة ٦٥هـ - ٦٨٤م فضبط أمور الدولة، قاتل البيزنطيين، وطردهم من شمالي أفريقيا، بدأت في عهده حركة تعريب الدواوين، وسك العملة العربية، توفي في دمشق العام ٨٦هـ -٧٠٥م ودفن فيها.

عثمان بن عبدالرحمن (ابن الصلاح الصفدي) - تقي الدين أبو عمرو

محدث ومفسر، ومشارك في علوم مختلفة. أفتى في دمشق، من مصنفاته: «مشكل الوسيط» للغزالي، «الفتاوى» ، «علوم الحديث»، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٦٤٣هـ - ١٢٤٥م.

علاء الدين علي بن إبراهيم الدمشقي (علاء الدين) ابن الشاطر

موقت الجامع الأموي، ألف في الحساب والفلك، ومن مصنفاته: «مختصر في العمل بالاسطرلاب»، «أرجوزة في الكواكب»، «زيج بان الشاطر»، وقد أخذ منه «كوبرنيكوس» واعتمد عليه، عمل جهازاً سماه «البسيط» ووضعه في منارة العروس بالجامع الكبير، وطور عدداً من الآلات الفلكية، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٧٧هـ - ١٣٧٥م.

علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) أبو القاسم

ولد في دمشق ٤٩٩هـ - ١١٠٥م، محدّث شافعي ومؤرخ ورحالة، عمل في كثير من مدن الشرق العربي، يلقّب بـ«الحافظ الكبير وإمام أهل الحديث في زمانه»، من أشهر مؤلفاته: «التاريخ الكبير، وتاريخ دمشق»، في ثمانية مجلدات، توفي في دمشق ٥٧٢هـ - ١١٧٦م، ودفن في مقبرة باب الصغير.

عويمر، وقيل عامر بن مالك بن قيس الخزرجي الأنصاري (أبو الدرداء)

أمه، محبة بنت واقد، صاحبي من الحكماء الفرسان، أسلم بعد الهجرة بزمن قصير، آخى الرسول ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي، شهد الغزوات بعد أحد، روى عن النبي ﷺ ١٧٩ حديثاً. ولاه معاوية قضاء الشام وفي عهد عمر بن الخطاب، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٣٢هـ - ٦٥٢م.

حرف الفاء

فضل الله بن محب الله (المحبي)

أديب وشاعر وفقيه ولد في دمشق العام ١٠١٣هـ - ١٦٢١م، رحل إلى الأستانة ودرس فيها، عين قاضياً في مصر وبيروت، شرح الأجرومية، وأكمل تاريخ البوريني، له ديوان شعر، توفي ودفن في دمشق العام ١٠٨٢هـ - ١٦٧١م.

حرف الميم

محمد بن أبي بكر الزرعي (ابن قيم الجوزية)

ولد في دمشق، فقيه حنبلي من الكبار، ومتكلم جدلي، تتلمذ على يديه ابن تيمية ونشر علمه وسجن معه، قاوم أرباب الملل والنحل، له مصنفات كثيرة منها: «التبيان في أقسام القرآن»، «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر»، «إعلام الموقعين»، «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٥١هـ - ١٣٥٠م.

محمد بن أبي بكر (المحبي)

فقيه ومؤرخ ولد في حماة ٩٤٩هـ - ١٥٤٢م ودرس في حلب، عين مدرساً في المدرسة القضائية بدمشق، ثم قاضياً بالقاهرة، وقاضياً للجند، فسرّ القرآن الكريم، ووصف رحلاته في كتب عدة، من أهم مؤلفاته: «عمدة الحكام» في الفقه و«الأرجوزة البيانية»، توفي في دمشق العام ١٠١٧هـ - ١٦٠٨م.

محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي

محدث ومؤرخ من الأئمة، ولد في دمشق العام ٦٧٣هـ - ١٢٧٤م، رحل إلى القاهرة وطاف بلداناً كثيرة، كفَّ بصره، تصانيفه كثيرة منها: «تاريخ الإسلام الكبير» الذي يعتبر موسوعة تاريخية، «سير النبلاء، «دول الإسلام»، «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٧٤٨هـ - ١٣٤٨م.

محمد بن أحمد (الملك الكامل) ابن الملك العادل سلطان أيوبي

ولد العام ٥٧٦هـ - ١١٨٠م، حكم مصر والشام، قاوم الحملة الصليبية الخامسة التي احتلت دمياط، وعقد اتفاق صلح مع ملك ألمانيا فردريك الثاني، تخلى بموجبه عن القدس، توفي في دمشق ودفن في قلعتها العام ٦٣٥هـ - ١٢٣٨م.

محمد الأمين بن فضل الله (المحبي)

فقيه ولغوي ومؤرخ، ولد في دمشق العام ١٠٦٢هـ - ١٦٥١م، وأقام في بيروت وأدرنة، عُين قاضياً في مصر، ثم درّس في دمشق، له مؤلفات كثيرة منها: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»، وفي النحو «ما يعوّل عليه في المضاف والمضاف إليه»، وأكمل «ريحانة الألبا» للخافجي باسم «نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة»، وله ديوان شعر، توفي ودفن في دمشق العام ١١١١هـ - ١٦٩٩م.

محمد بن جابر بن سنان (البتاني)

ولد في بتان من نواحي حران على نهر البليخ (من روافد الفرات) العام ٢٣٥هـ - ٨٥٠م، من مشاهير علماء الفلك المسلمين، تنقل بين مدن الشام، وأنشأ مرصداً في أنطاكيه، وألف زيجاً عرف بالزيج الصابئ، وقدّم وصفاً دقيقاً للآلات الفلكية المستعملة في مرصده، كما وضع جداول فلكية على مستوى كبير من الاتقان والدقة. وهو أول من سخّر علم المثلثات لخدمة علم الفلك، ودرس

الأوج الطولي للشمس. كما حدد قيمة السنة الشمسية بدقة بالغة. توفي بدمشق العام ٣١٧هـ - ٩٢٩م ودفن فيها.

محمد بن عبدالرحمن (القزويني)

ولد بالموصل العام ٦٦٧هـ - ١٢٦٨م، اشتغل بالفقه والحديث والأدب، ولي خطابة جامع دمشق، وصار رئيس قضائها، ثم رئيس قضاة مصر... ودمشق مرة أخرى، من أشهر مؤلفاته: «تلخيص المفتاح في المعاني والبيان» وهو الكتاب الدراسي الأول في البلاغة، وكتاب «الدر المرجاني من شعر الأرجاني» توفي في دمشق العام ٧٣٩هـ - ١٣٣٨م ودفن فيها.

محمد بن عبدالله (جمال الدين الجياني) ابن مالك

ولد ٥٩٨هـ - ١٢٠٣م في «جيان» بالأندلس، تعلم في دمشق على «السخاوي»، وفي حلب على «ابن يعيش»، كان إماماً في القرآن وبرع بمبادئها حتى أربى على المتقدمين، صنف «تسهيل الفوائد في النحو» و«الكافية الشافية»، وهي أرجوزة في النحو لخصها بـ«الألفية» و«لامية الأفعال» وغيرها. توفي العام ٦٧٢هـ - ١٢٧٤م، في دمشق ودفن بتربة ابن الصايغ في الصاحلية.

محمد بن علي شمس الدين الصالحي (ابن طولون)

ولد في دمشق في العام ٩٢٢هـ - ١٥١٦م، مؤرخ، درس التصوف والحديث والفقه واللغة والتاريخ، تعلم في القاهرة على السيوطي، له مؤلفات كثيرة أربت على الـ ٥٠٠ مُؤلَّف، شملت مختلف ألوان المعرفة منها: «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية»، «ذخائر القصر» أعلام الورى وغيرها، توفي في دمشق ودفن فيها العام ٩٥٣هـ - ١٥٤٦م.

محمد بن محمد بن طرخان (أبو نصر الفارابي)

ولد بفاراب (تركستان) العام ٢٥٧هـ - ٨٧٠م، فيلسوف المسلمين، درس في بغداد وحران، وأقام في بلاط سيف الدولة الحمداني، لقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو، كان بارعاً في الرياضيات والموسيقى، شرح كتب أرسطو، ومن أشهر مؤلفاته «آراء أهل المدينة الفاضلة»، و«الموسيقا الكبيرة»، «فصوص الحكم»، «إحصاء العلوم» وغيرها، توفي في دمشق العام ٣٣٩هـ - ٩٥٠م ودفن فيها.

محمد بن نصر (ابن القيسراني)

شاعر وفلكي ولد في عكا العام ٤٧٨هـ - ١٠٨٥م، تولى إدارة الساعات في دمشق عاش زمن نور الدين محمود زنكي، له ديوان شعر، توفي في دمشق العام ٥٤٨هـ - ١١٥٣م.

محمد بن نصير (ابن عنين) أبو المحاسن

شاعر ورحالة، ولد في دمشق ٥٤٩هـ - ١١٥٤م، ارتحل إلى بلاد كثيرة، تولى الوزارة للملك المعظم الأيوبي، أكثر شعره في الهجاء والدعابة وأطرفه في الحنين إلى دمشق، توفي ودفن العام ٦٣١هـ - ١٢٣٣م، له ديوان مطبوع.

محيي الدين أبو بكر محمد بن علي «ابن عربي» الطائي الأندلسي الملقب «الشيخ الأكبر»

ولد في مرسية بـ«الأندلس» العام ٥٦١هـ - ١١٦٥م، صوفي كبير، درس الفقه والحديث بأشبيلية وتنقّل محدّثاً بين الأقطار العربية، له أكثر من ١٥٠ مصنفاً من أشهرها «الفتوحات المكية»، «فصوص الحكم» وديوان «ترجمان الأشواق»، توفي في دمشق ٦٣٨هـ - ١٢٤٠م ودفن في سفح قاسيون.

مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم

أمير وقائد أموي، من أبطال عصره، غزا بلاد الروم في عهد سليمان بن عبدالملك، ولاّه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم أرمينيا، قضى على ثورة يزيد بن المهلب عامل خراسان، توفي ودفن في دمشق العام ١٢٠هـ - ٧٣٨م.

معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي

أمه هند بنت عتبة، أبو عبدالرحمن، ولد في مكة سنة ٢٠ قبل الهجرة - ٦٠٣م، وأسلم مع أسرته يوم فتح مكة ٨هـ - ٦٢٩م، شهد حنين، من كتّاب النبي الكريم ﷺ ، وروي عنه ١٦٣ حديثاً شريفاً، سيّره أبو بكر في جيوش الفتح إلى الشام، وولاّه عمر على دمشق وثبّته «عثمان» على ديار الشام، عرف بأنه من دهاة العرب، واتصف بالحلم وكان ذا فقه وعلم. أسس الخلافة الأموية في دمشق، وبقي خليفة حتى وفاته سنة ٦٠هـ - ٦٨٠م، ودفن في مقبرة باب الصغير.

محمود زنكي (نور الدين)

ولد في حلب سنة ٥١١هـ - ١١١٧م، أصبح أميراً على حلب بعد وفاة أبيه عماد الدين، حارب الصليبيين وانتزع منهم الرها وبانياس، فتح في بلاد الروم حصوناً كثيرة، ثم استولى على دمشق، وأرسل حملة إلى مصر هيأت لضمها إلى سورية، كان مجاهداً شجاعاً، وحاكماً فاضلاً، بنى دور العلم والمساجد، وبنى البيمارستان النوري وجدد سور المدينة، توفي في دمشق سنة ٥٧٠هـ - ١١٧٤م ودفن فيها.

حرف الياء

يوسف بن نجم الدين أيوب - الملك الناصر (صلاح الدين الأيوبي)

ولد في تكريت العام ٥٣٢هـ - ١١٣٧م، من أعظم الأبطال المسلمين، عاش في دمشق في بلاط نور الدين محمود، رافق عمه الأمير شيركوه إلى مصر، ثم خلفه فيها العام ٥٦٥هـ - ١١٦٩م، أنهى الحكم الفاطمي، ثم وحّد مصر والشام في الدولة الأيوبية، قاتل الصليبيين وهزمهم في معركة «حطين» العام ٥٨٣هـ - ١١٨٧م، واسترد بيت المقدس، كان شهماً كريم النفس محباً للعلم، شيّد المساجد، وأصلح الري، توفي في دمشق العام ٥٨٩هـ - ١١٩٣م ودفن قرب الجامع الأموي. ■

المصادر

١ - الإصابة: ابن حجر العسقلاني.
٢ - أسد الغابة: ابن الأثير.
٣ - دمشق الشام: أيوب سعدية.
٤ - منتخبات التواريخ لدمشق: محمد أديب تقي الدين الحصيني.
٥ - الصحابة الأعلام، ومن دفن منهم في الشام: محمد خورشيد.
٦ - مشيدات دمشق ذوات الأضرحة: د. قتيبة الشهابي.
٧ - الأعلام: خير الدين الزركلي.
٨ - رواد علم الفلك: د. علي عبدالله الدفاع.
٩ - الموسوعة العربية الميسرة.

بقلم : عبدالله بدران

حرية التعبير في منهج الإعلام الإسلامي

كرَّم الله عزَّ وجلَّ البشر جميعاً بشريعة الإسلام الخالدة، التي جاءت تعاليمها هادية للناس، رافعة لقدرهم، ناهضة بعقولهم، آخذة بأيديهم إلى طريق الحق والصواب، والإنسان العاقل الواعي لا بد من أن يرى بوضوح أن تعاليم الشريعة الإسلامية، والقيم الرفيعة التي أتت بها، والأخلاق الحميدة التي دعت إلى الالتزام بها، والآداب الفاضلة التي حثت على التمسك بها، لم تكن وليدة فكر بشري، أو نتاج رجل عبقري، أو خيالات كاهن منجم، بل هي تشريع سماوي خالد، نزل من الباري عزَّ وجلَّ إلى رسوله محمد ﷺ بوساطة جبريل عليه السلام، والبراهين على ذلك واضحة جلية، لا يستطيع جاحد إنكارها، ولا يمكن لملحد أن يدحضها أو يرد عليها.

ولقد اتسمت هذه الشريعة بالشمولية، فلم تأخذ الجانب الروحي وتدعو له بكل ما أوتيت من وسائل وإمكانات، بل أعطت الروح ما يناسبها، وأوجدت لها السكينة والطمأنينة والسعادة والهناء.

ولم تجنح إلى الجانب الجسدي فقط، وتحمل الإنسان على بذل جميع الأسباب في سبيل إثبات وجوده وشخصيته، بل دلت الإنسان على الأسس والقواعد التي تكفل لجسده حياة فاضلة شريفة، لا تشوبها شائبة، ولا يتطرق إليها شك ولا اضطراب.

كما تطرقت إلى مختلف نواحي الحياة، فبحثت في النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والتربوية... إلخ، ووضعت لكل ناحية أسباب نجاحها، وعوامل قوتها، وحذرت من السبل المؤدية إلى فشلها، وشخصت أمراضها وعللها، وأوجدت لها الأدوية الناجعة الوقائية والعلاجية والإسلام يتضمن تشريعاً لحماية الدولة التي يقيمها، والدعوة التي يدعو إليها لتقوم الإنسانية على الحرية والقسط والعدل. ويتضمن هذا التشريع ثلاثة نظم أساسية هي(١):

١ ـ نظام حماية الدولة بأرضها وجماعتها، وحماية حرية الدعوة إلى الإسلام، وحرية الدخول فيه.

٢ ـ حماية السلطة الشرعية القائمة من التمرد والانشقاق في داخل الدولة، ومن أبنائها من المسلمين، تمرداً مسلحاً، وذلك عن طريق ما يسمى في الاصطلاح الفقهي: حرب البغاة.

٣ ـ حماية حقوق الإنسان أفراداً وجماعات، وحماية حرياتهم من أي انتهاك يلحق بها.

والإعلام جانب مهم من جوانب الحياة، وأضحى علماً قائماً بذاته، له أسسه، وقواعده، وأصوله، وأهدافه، وصار واضحاً لكل ذي بصيرة دوره القوي في حياة المجتمعات، وتأثيره الفاعل في تغيير الأنماط، والسلوك، والعادات، وتوجيه الرأي العام نحو القضايا التي يتبناها.

ولقد تعاملت الشريعة الإسلامية مع الإعلام تعاملها مع جميع العلوم المماثلة، كالاقتصاد، والسياسة، إذ وضعت منهجاً علمياً دقيقاً يصلح لكل زمان ومكان، يضبط هذه العلوم وما استجد من حوادث ووقائع وفقاً لقواعده المتعارفة، ويحدد لها الإطار الشرعي الواضح الجلي، فما وافق كتاب الله عز وجل وسنة نبيه المعصوم عليه الصلاة والسلام، فهو مقبول في هذا المنهج، وما خالف ذلك فهو مرفوض.

وأقرت الشريعة الغراء أن «الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحل والإباحة، ولا حرام إلا ما ورد نص صريح من الشارع بتحريمه، فإذا لم يكن النص صحيحاً ـ كبعض الأحاديث الضعيفة ـ أو لم يكن صريحاً في الدلالة على الحرمة، بقي الأمر على أصل الإباحة»(٢)، وهذا مبدأ عام وشامل تقاس عليه جميع الأمور والقضايا الحادثة، ويتبين من ذلك حكم الشرع فيها.

وحقيقة الإسلام «تتمثل في أمرين: ألا يعبد إلا الله، وألا يعبد إلا بما شرع، فمن ابتدع عبادة من عنده، فهي ضلالة ترد عليه، لأن الشارع وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يتقرب بها إليه، وأما العادات، أو المعاملات فليس الشارع منشئاً لها، بل الناس هم الذين أنشؤوها، وتعاملوا بها، والشارع جاء مصححاً لها، ومعدلاً، ومهذباً، ومقراً في بعض الأحيان ما خلا عن الفساد والضرر منها»(٣).

ولما كان الإعلام يعتمد في أسسه ومبادئه على الرأي والقول والتعبير فإنه وجب توضيح موقف الإسلام من ذلك، من خلال تبيان الضوابط التي يجب الالتزام بها، والحدود الواجب عدم الخروج عليها، والمنهج الواجب اتباعه في ذلك.

ولقد ظهر حرص الإسلام على حرية الرأي والقول والفكر والتعبير «منذ بداية نشأته، فقد كان أحوج ما يكون إلى هذه الحرية، ولذلك فقد طلبها واستثارها لدى أتباعه وخصومة في بداية الدعوة، واستنهض العقول للتفكير، ودعا إلى حرية التعبير، وجعل الفكر الإنساني ميزاناً لتمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ في قضايا أساسية عديدة»(٤).

ويتبين ذلك من خلال آيات عدة، منها دعوته تعالى في أول آية نزلت في كتابه العزيز إلى العلم والقراءة:

(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم)(٥).

وقوله تعالى مبيناً قيمة العقل لدى الإنسان، وضرورة استخدامه وإعماله بالصورة المثلى: (وأنزلنا إليك الذّكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون)(٦).

وقوله سبحانه داعياً إلى التفكير السليم: (أوَ لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى)(٧).

والرأي والقول والتعبير الذي يدعو الإسلام إلى حريته يجب أن يكون «ملتزماً بالمبادئ الإسلامية المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله، بعيداً عن إلحاق الضرر بمصالح الآخرين، وأمن المجتمع واستقراره، وسمعة الأفراد والجماعات، وإلا كانت حرية الرأي ضرباً من الفوضى)(٨).

وعندما أعطى الإسلام الرأي هذه الحرية وذلك الحق فإنه ربط بين ذلك وبين الغاية من استعمالها «لأن استعمال الإنسان لحقه كقاعدة عامة يحده عدم إيقاع الضرر غير المشروع بغيره، فكل الحقوق التي للإنسان مقيدة بغاياتها، والقيد هنا لا يعد في حقيقة الأمر قيداً، ولكنه الضمان الأول لكي تؤدي الحقوق التي منحت للإنسان غاياتها في المجتمع الإنساني، وتبدو الحقوق التي لاترتبط بغاياتها مجردة من القيمة الاجتماعية، بل تظهر في صورة إباحة التصرف بناء على الأهواء والغايات الذاتية وحدها»(٩).

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد أعطت الرأي والفكر والقول والتعبير مساحة واسعة من الحرية وفق ضوابط وحدود تكفل تطبيقها ضمن الحلال والمباح، فإن المشرعين الوضعيين انقسموا حيال ذلك إلى قسمين، «قسم يرى حرية القول دون قيد إلا فيما يمس النظام العام، وهؤلاء لا يعيرون الأخلاق أي اهتمام، وتطبيق رأيهم يؤدي دائماً إلى التباغض والتنابز، والتحزب، والقلاقل، والثورات، وعدم الاستقرار، وقسم يرى تقييد حرية الرأي في كل ما يخالف رأي الحاكمين ونظرتهم للحياة، وتطبيق رأي هؤلاء يؤدي إلى كبت الآراء الحرة، وإبعاد العناصر الصالحة عن الحكم، ويؤدي في النهاية إلى الاستبداد، ثم القلاقل والثورات»(١٠).

ويرى أحد الباحثين أن الشريعة الإسلامية «تجمع بين الحرية والتقييد، وهي لا تسلم بالحرية على إطلاقها، ولا بالتقييد على إطلاقه، فالقاعدة الأساسية في الشريعة هي حرية القول، والقيود على هذه الحرية ليست إلا فيما يمس الأخلاق أو الآداب أو النظام...

وهذه الحماية لا تتيسر إلا بتقييد حرية القول، فإذا منع القائل من الخوض فيما يمسّ هذه الأشياء فقد مُنع من الاعتداء ولم يُحرمْ من أي حق، لأن الاعتداء لا يمكن أن يكون حقاً»(١١).

ومن هنا نجد أن الشريعة الغراء عندما وضعت ضوابط معينة على حرية الفكر والرأي والقول والتعبير، فإنها هدفت إلى ضمان تطبيق شرع الله، وتحقيق أمن المجتمع واستقراره، وحماية أفراده من التعرض إلى أعراضهم، وكشف أسرارهم، وضمان عدم إشاعة الفاحشة بينهم، ورعاية مصالحهم، ودرء المفاسد عنهم، وهذه الحرية التي يمكن تسميتها بالحرية الإعلامية هي جزء من الحريات العامة في الإسلام لا يمكن فصلها عنها.

وتعني الحرية الإعلامية «إرادة الإنسان وقدرته على الاختيار والانتفاع بحرية الاتصال المحكم بشتى وسائل الإعلام، وهي عطاء إلهي فطر الإنسان عليه حتى يكون عبداً لله بالحرية والاختيار، كما هو عبد لله بالفطرة والاضطرار وفق الممكن من القدرة والعلم على ممارسة هذا الحق انطلاقاً من مسؤولية التكريم، والاستخلاف، وواجب البلاغ المبين، وطلباً للاستجابة والإقناع بالحق، والتفاهم، والتعاون على الخير في إطار عقيدة الإيمان بالله الواحد الأحد لتحقيق غايته الحقيقية»(١٢).

وبناء على ذلك قام الإعلام الإسلامي هادفاً إلى «تقوية صلة الإنسان بخالقه، وبناء شخصيته بناء سوياً من حيث هو فرد أو جماعة، وبناء سمعة طيبة عنه على جميع المستويات في إطار من الضوابط العقدية، والأخلاقية، والإنسانية، والمصلحة المعتبرة شرعاً للفرد والجماعة، ومن خلال الكلمة الحرة السليمة القائمة على اليقظة، والاتزان، والاعتدال، والمرعية للواقع والموضوعية»(١٣). ■

١ ـ محمد المبارك وآخرون: الثقافة الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، السعودية، ط١٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص ٣٧٩.

٢ ـ يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص ١٩.

٣ ـ المرجع نفسه، ص ٢١.

٤ ـ جمال الدين محمود: الضوابط الإسلامية لحرية الفكر والرأي، مجلة منبر الإسلام، السنة ٤٨، العدد٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص ٤٩.

٥ ـ سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.

٦ ـ سورة النحل، الآية:٤٤.

٧ ـ سورة الروم، الآية:٨.

٨ ـ محمود يوسف مصطفى: حرية الرأي في الإسلام، مكتبة غريب، مصر، دت، ص٣٩.

٩ ـ جمال الدين محمود: الضوابط الإسلامية لحرية الفكر والرأي، مرجع سابق، ص٥٠.

١٠ ـ عبدالقادرة عودة: التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، دار التراث، القاهرة، د.ت، ج١، ص٥.

١١ ـ المرجع نفسه، والمكان نفسه.

١٢ ـ سعيد بن علي بن ثابت: الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص ٥٤.

١٣ ـ سيد محمد ساداتي الشنقيطي: مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الأمة، عالم الكتب، الرياض، ١٤١٧هـ ـ ص١٢٦.

بقلم : د. حسن عزوزي

ظاهرة الاستشراق الصحفي

كثيراً ما تتسابق المجلات والجرائد الغربية في استغلال أزمات سياسية أو مظاهر اجتماعية معينة تقع في البلاد الإسلامية ولها صلة بالإسلام كي تقوم بتغطيات واستطلاعات صحفية من أجل عرض كل ما يحلو لها قوله عن الإسلام والمسلمين.

ومما لا شك فيه أن وراء الحملات المغرضة لتشويه صورة الإسلام تقف ترسانة إعلامية ضخمة هدفها العمل بتنسيق تام وتخطيط متكامل لإتقان عملية التشويه والتمييع الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، بيد أن أبرز فريق إعلامي يظهر دوره كفاعل مؤثر خبير مختص هو مجموعة من الصحفيين الكتاب الذين هم أقرب إلى العمل الاستشراقي من العمل الصحفي أو بالأحرى هم كتاب صحفيون مالوا إلى احتراف مهنة الاستشراق التي باتت بالية ومتجاوزة.

وعادة ما تتميز تلك التغطيات الصحفية بنوع من الإثارة والجاذبية والغرض منها هو لفت انتباه القارئ العربي الذي أخذت تستهويه في السنوات الأخيرة كل المعلومات كيفما كان أساسها ومدى صحتها - عن الإسلام والمسلمين، والمطالع لتفاصيل تلك التغطيات الإعلامية والتحقيقات الصحفية سرعان ما يصطدم بتكسير وتجريح صارخين للثوابت الإسلامية ونسف تام للبدهيات والمسلّمات التي يؤمن بها المسلم الغيور على دينه.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الموضوعات المطروقة في بعض وسائل الإعلام الغربية المكتوبة، ولا بصدد الرد على ما تتضمنه من عناصر التشويه والتحريف والطعن والافتراء، وإنما الذي نود التوقف عنده هو إثارة الانتباه إلى ما نسميه «ظاهرة الاستشراق الصحفي» التي تقف وراء إنضاج التحقيقات والاستطلاعات الصحفية حول الإسلام والمسلمين لفائدة الإعلام الغربي المكتوب والمرئي على السواء.

وهذه الظاهرة التي أخذت تبرز بشكل مثير وجذاب في العقدين الأخيرين قد شكلها فئات من الصحفيين مزجوا بين العمل الصحفي الإعلامي والبحث الاستشراقي واختصوا في تغطية الأحداث العربية والإسلامية لفائدة قطاع الصحافة الغربية بكل شبكاتها الإعلامية.

وفي الوقت الذي أصبحت فيه ظاهرة «الاستشراق الصحفي» تتوهج مع الأيام ومع تطور تقنيات الاتصال المهولة وبخاصة في أوقات الأزمات المفاجئة التي يكون فيها الشأن الإسلامي مناط الحديث والخبر والصورة في الإعلام الغربي، نجد أن معالم الاستشراق والبحث المتخصص قد بدأت تطمس وتُنسى.

لقد أبدى - فعلاً - كثير من الباحثين المتخصصين في الآونة الأخيرة امتعاضهم واستياءهم من هيمنة ونفوذ المستشرقين الصحفيين الذين لا يستقر بهم حال من الأحوال، فهم يتحركون بشكل مثير ويستقطبون الأنظار ويتنافسون فيما بينهم على تحقيق السبق الصحفي في الشأن الإسلامي، وهذا ما جعل بعض المستشرقين يشتكون من كونهم لا يُدعَون إلى المحطات التفازية قصد عرض آرائهم وتحليلاتهم للقضايا الإسلامية الساخنة، لقد أمست الأولية في ذلك تعقد للمستشرقين الصحفيين الذين يتقنون الحديث عن الإسلام بصورة مُلفقة ومشوّهة ومثيرة تستهوي المسؤولين عن وسائل الإعلام الغربية كما تلقى ترحيباً كبيراً من طرف جماهير القراء والمشاهدين الغربيين.

قد يتساءل قراؤنا وبحدة عن هوية الكُتاب الصحفيين الذين لا يترددُون في إسعاف وسائل الإعلام الغربية بكل ما تحتاج إليه من مادة صحفية غزيرة تهم كل القضايا الإسلامية المرتبطة بالوقائع التي تحدث في البلاد الإسلامية أو في البلدان الأوروبية عندما يتم افتعال أزمات سياسية أو اجتماعية معينة.

وقد يتساءل القراء أيضاً عن طبيعة التكوين المعرفي لهؤلاء، وهل يمكن اعتبارهم مستشرقين ماداموا يُظهرون للجميع أنهم باتوا يفهمون الإسلام ويستطيعون تحليل أنماطه السياسية والاجتماعية وأبعاده الفكرية والثقافية، ومادامت أيضاً كل الشبهات والافتراءات التي يثيرونها من حين لآخر هي عينها تلك التي طالما رددها المستشرقون التقليديون في كتبهم المتخصصة.

إن الاستشراق الصحفي يعتبر أحد إفرازات المؤسسة الاستشراقية الحديثة، التي ينضوي تحت لوائها عدد هائل من الصحفيين المختصين في شؤون الإسلام والمسلمين، وتعتبر تغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية ذات الطابع الإسلامي أبرز اختصاصاتهم، فهم لا يتوانون عن تزويد المؤسسات والشبكات الإعلامية التابعين لها - على وجه السرعة والاستعجال - بمقالات وتحقيقات واستطلاعات مثيرة للغاية ومتسمة بالطابع التجاري المحض، تعتمد على عامل

الإثارة الذي يستدعي من هؤلاء تشويه الحقائق والغلو في الأحكام والاستنتاجات ولَي أعناق النصوص، وتحريف الوقائع بشكل يثير الاستغراب هادفين من وراء ذلك تحقيق أكبر مستوى من الانتشار السريع لأعمالهم وتحقيقاتهم وبشكل أوسع.

وتميل دراسات القوم إلى كثير من السطحية والتعميم بالرغم من أن مستندهم الأساسي في إثارة الشبهات والافتراءات هو ما يكتبه المستشرقون المتخصصون لأن خلفياتهم الثقافية في ميدان الإسلاميات ضعيفة ولا ترقى إلى مستوى يُخول الحديث والنقاش حول قضايا دقيقة ترتبط بالتشريعات الإسلامية والتاريخ الإسلامي. ولذلك فهم عالة على كتابات المستشرقين المتخصصين، غير أنه إذا كان المستشرق المتخصص لا يورد الشبهة إلا بعد أن يمهِّد لها بما يُبرر ويسوِّغ النتيجة التي يرمي إليها بكثير من اللباقة والتحايل في لَي أعناق نصوص السيرة، فإن المستشرق الصحفي يقتصر على إيراد تلك الشبهات مجردة من كل دليل مهما كان متهافتاً مما يجعل التحقيقات الصحيفة تبدو في شكل استعراضات باهتة لوقائع إسلامية لا يربط بينها أي رابط سوى كونها تمثل أبرز المحطات و«الفلاشات» المبثوثة في كتب مغرضة يزعم فيها مؤلفوها أنهم قد التزموا بالموضوعية والنزاهة والحياد، وهيهات لهم ذلك.

ولم يع أولئك المستشرقون الأكاديميون الذين يَشتكون ويتبرمون من ظاهرة «الاستشراق الصحفي» الذي أصبح يزاحم معاقلهم أنهم أسهموا بشكل أو بآخر في تكوين وتأهيل أولئك الصحفيين الذين ما فتئوا يقتاتون من موائدهم ويتزودون بأفكارهم وأطاريحهم المتهافتة، وهذا ما يتبين من خلال معظم التحقيقات والملفات التي ينجزها هؤلاء، والتي يشيرون في ثناياها إلى أبرز مصادرهم الاستشراقية، وجلّ مؤلفيها ممن عرفوا بتعصبهم وحقدهم على الإسلام وتعاليمه، ويبقى أولئك الصحفيون أبعد ما يكونون عن معرفة حقيقية بالإسلام ومجتمعاته، فهذا الصحفي الفرنسي الشهير بول بالطا الذي عمل طويلاً مراسلاً لجريدة «لوموند» الفرنسية يقول وهو الأستاذ المحاضر في مدرسة إعداد الصحفيين بباريس: «إن طلاب هذه المدرسة من حملة الإجازة في العلوم الإنسانية - وكم يؤسفني - أن معظمهم لم يسمع بابن خلدون... فهم يقطعون مسافات في حياتهم من دون أن يلتقوا بالإسلام أو بالعالم العربي».

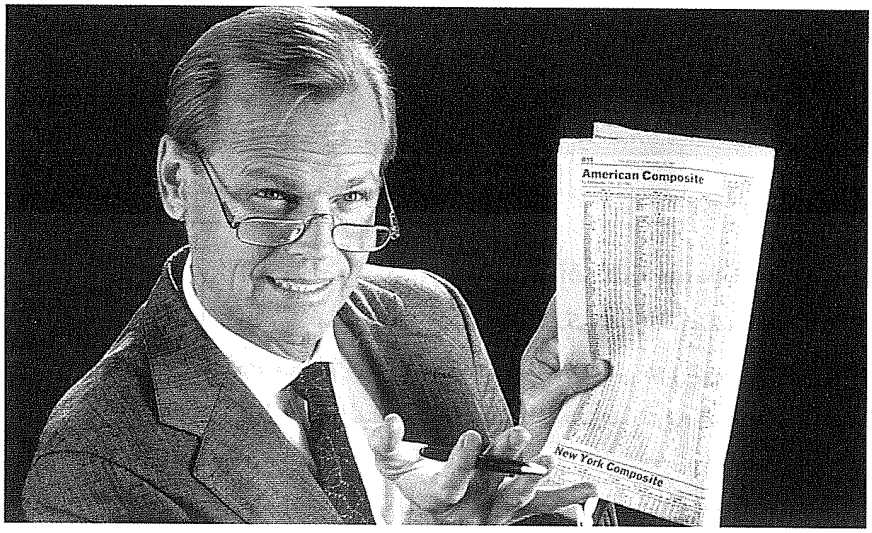

● تتميز التغطيات الصحفية بنوع من الإثارة والجاذبية هدفها لفت انتباه القارئ العربي

غير أنه اليوم قد أصبح بعض المستشرقين الصحفيين يعززون مواقعهم الثقافية بالاضطلاع على دراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحة وممولّة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجامعات الغربية، ومن أشهرها في فرنسا مثلاً «مركز الأبحاث حول العالم العربي والإسلامي»، وهو يعتبر أكبر تجمع للمستشرقين الصحفيين المهتمين بدراسة المجتمعات الإسلامية.

والجدير بالذكر هو أن معظم تلك الدراسات يطبعها خطاب استشراقي ذو توجه جديد، ذلك أنه يرتكز بالأساس على البحث الميداني المبني على فهم تأويلات فاسدة متعمدة وعقد مقارنات خاطئة، وهؤلاء الدارسون الصحفيون إنما يبحثون ويكتبون أساساً طبقاً لمقاييس ومواصفات ومناهج صاغها المستشرقون في كتاباتهم التي تعتبر - بكل تأكيد - مغذية للأبحاث والمقالات الصحفية.

ومما يلفت الانتباه أن مراكز البحث هاته تحرص على تقديم منح دراسية مغرية لطلبة الدراسات العليا من أبناء المسلمين من أجل استغلال الكفاءات العلمية المقتدرة وترشيحها للقيام برامج البحوث الميدانية المشتركة في الدول الإسلامية، وهكذا شاء الباحث أم أبى فإنه يتم تحويله - رغم أنفه - إلى خبير منطقة - يخدم أهداف ومصالح الاستشراق الصحفي من حيث يشعر أو لا يشعر، ومن أجل ذلك، فإنه لا يتم ابتعاثه إلى الدولة الإسلامية موضوع البحث والاستطلاع إلا بعد أن يُلقَّن ويُشحَن بكم من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حق الشريعة الإسلامية، وكثيراً ما يرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أي إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المنوطة به، بل يكمن المؤهل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة.

ومما نؤكد عليه مرة أخرى أن دراسات وأبحاث هؤلاء تعتبر الأصل والركيزة الأساسية التي تعتمدها وتستغلها مختلف وسائل الإعلام الغربية التي لا تتوانى في أن تضفي على الصورة المشوهة عن الإسلام التي أفرزها أولئك الصحفيون نوعاً آخر من التضليل والتعمية والتمويه.

وهكذا تزود الصحافة الغربية مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام وواقع المسلمين دون أن تشعرهم فإن القسط الأوفر من تلك التغطية إنما تقوم على مادة إعلامية هي أبعد ما تكون عن الموضوعية والنزاهة، وهكذا تتم تغطية الإسلام في الصحافة الغربية على أساس ما يكونه الاستشراق الصحفي من صور نمطية عن الإسلام والمسلمين ثم الاعتماد في خلقها على حفنة من «الكليشيهات» البالغة التعميم والرائجة الانتشار. ■

بقلم : محمد يوسف الجاهوش

أبادر القول ابتداء: إنني لا أقر هذا المصطلح، وأعرف دوافع إطلاقه وترويجه، لكنه فرض نفسه على الساحة الفكرية، والسياسية، والإعلامية، أو هكذا خطط له، فأصبح لا مفر من استعماله، حتى لمن يريد هدمه وتنفيد ما زعم له من مرتكزات.

إن اتهام الإسلام واتباعه بالعنف والتطرف فرية مكشوفة، أصبحت واضحة الأهداف والدوافع.

ذلك أن كل عاقل يفهم حقيقة الدين الإسلامي يعلم أنه دين رحمة ورأفة، ويدرك أن العنف والتطرف مفاهيم دخيلة وجديدة على مجتمعنا الإسلامي الذي وسع . وعلى امتداد قرون . جميع الأديان، من جميع القوميات والأجناس، وعاشوا كلهم في ذمة أهله: أعراضهم مصونة، وأموالهم محروسة، وكرامتهم موفورة.

فما الذي جد في عالمنا إذاً؟ ما الذي طرأ على مجتمعنا؟ ما الذي أوجد هذه الظواهر التي نرى؟

أسئلة كثيرة توجب على الباحث المنصف أن يتناولها بموضوعية، وبإخلاص وإنصاف، ليؤصّل المسألة، ويضعها في إطارها الصحيح، ثم يقدم بعد ذلك الحلول التي تحفظ أمن المجتمع، وتحمي شباب الأمة من الضياع.

جذور التطرف وأسبابه

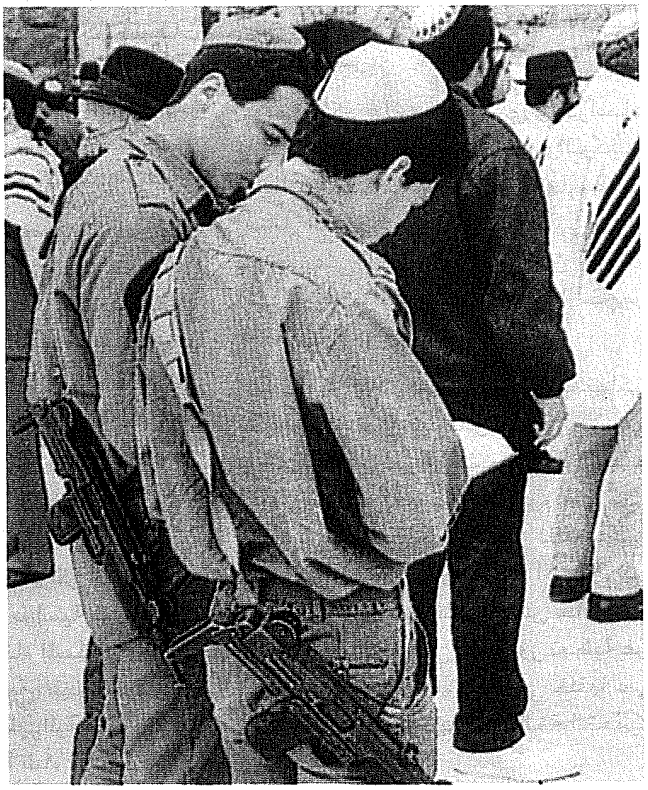

هذه بدايتها: لقد شهد عالمنا العربي والإسلامي - مع مطلع هذا القرن - موجة استقلال بعد معارك مريرة ودامية، كان الإسلاميون حملة رايتها، وطليعة فرسانها، ووقودها الذي أمدها بالحياة والاستمرار كلما هدأت أو ضعفت، حتى اندحر العدو وغادرنا يجر أذيال الخيبة والهزيمة، وعاد الحق إلى أهله، والبلاد إلى أصحابها، فماذا كان بعد هذا؟

توزيع الغنائم: لقد رصد المستعمرون الخط الجهادي - صعوداً وهبوطاً - وعروفوا من أين أتاهم الخطر، ومن هي العناصر التي تقدم ولا تبالي، وتعتبر جهاد أهل الكفر ديناً، وطريقاً إلى الجنة.

وعرفوا هذا، فعمدوا إلى صنائعهم وأضفوا عليهم صفات

البطولة والشجاعة في مقاومة الاستعمار، ونسبوا إليهم من الأعمال النضالية ما لم يكن يدور بخلد أحدهم، ولا عرفوا له طريقاً! وجعلوا منهم رموز جهاد ونضال، وأنه لولا جهادهم ما تحررت البلاد، ولا نالت استقلالها، فهم أولى الناس بالمناصب الرفيعة والمراكز ذات الأهمية، وهم القادرون على حماية المكاسب وصد المعتدين!!

وبثوا - بالمقابل - من الدعاية الكاذبة، والإشاعة المضللة، ما حاولوا به تشويه سيرة المجاهدين الصادقين، الذين أقضّوا مضاجع المحتلين، واضطروهم إلى العودة من حيث أتوا وانطلى مثل هذا الأمر على جمهرة الناس وعامتهم.

وكُتب التاريخ مزوراً، ولا يزال أبناؤنا - حتى يومنا هذا - يدرسون رموزاً لحركات استقلالية هم - في حقيقتهم - بين لص محترف، أو قاطع طريق متمرس، أو عميل للمستعمرين، أمضى حياته جاسوساً على قومه، عيناً لأعدائهم.

وهكذا وزعت غنائم الاستقلال على من لم يشارك في بنائه، ولا جاهد من أجل نيله، وتربع على سدة الحكم من يستحق السجن وأعواد المشانق.

توفية الحساب

بدأ الحاكمون من رجالات العهد الجديد بتوفية الحساب إلى أسيادهم - جرياً مع قاعدة «الغنم بالغرم» صوناً لمكاسبهم، وحفاظاً على كراسيهم، ولم يكتفوا بتنفيذ ما يطلب منهم، بل سارعوا - متبرعين - بتقديم كل ما يظنون أو يتوهمون أنه يرضي أسيادهم، أو يزيدهم حظوة لديهم.

وهكذا أُقصي الشرفاء عن جميع مراكز القرار، وعدلت مناهج التعليم بما يكفل نشوء أجيال بعيدة عن مفاهيم دينها، لا تتعلم منه إلا قشوراً، لا تربي عقلاً، ولا توقظ قلباً، ولا تحرك عاطفة.

وسنوا فصاماً نكداً بين تعليم مدني لصاحبه كل الحقوق، وأمامه جميع الفرص، وتعليم شرعي لا ينال صاحبه مركزاً، ولا يجد عملاً، ولا يُفتح أمامه باب من أبواب الحياة، فأعرض الناس عن هذا النوع من التعليم، ومن ذا الذي يعلّم ولده ليتسول بعد ذلك ما يقيم أوده، ويسد عوزه! وغرسوا في نفوس النشء الصغير: أن الدين لله والوطن للجميع، ومعنى هذه الفلسفة الجوفاء: عزل الأمة عن دينها عزلاً كاملاً، وتنظيم حياتها بعيداً عن أحكامه وتعاليمه. وهكذا كان.

فقد انقطعت الأمة عن ماضيها، ونسيت تاريخها، ونشأ جيل يعرف عن قادة الغرب وزعمائه ومفكريه ومخترعيه، أكثر مما يعرف عن النبي محمد ﷺ، وعن خلفائه الراشدين - رضي الله عنهم - ويجهل - كل الجهل - تاريخ قادة الفتح الإسلامي، وأبطال المعارك الذين وطدوا أركان الإسلام، وأرسوا دعائم الحضارة.

أما في الجانب العسكري فقد أصبح الجيش مؤسسة حزبية، علمانية، يربى الجندي فيه على نبذ الخلق، وترك الدين، ولا يرقى مناصبه المؤثرة إلا من برهن - عملياً على بعده عن مكارم الأخلاق، وتعاليم الإسلام.

كما طُمست من مناهج التعليم الصحائف البيض التي سطرها المجاهدون الشرفاء، الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي، والإنكليزي، والإيطالي، في مصر، والشام، وبلاد المغرب العربي، وغيرها.

وأسندت البطولات إلى نكرات مجاهيل، وإلى خونة عملاء، رباهم العدو على عينه، وألقى إليهم مقاليد الأمور.

«وهكذا، جاء الاستقلال، استقلالاً عن الأمة، وعزلاً لها عن ممارسة حقها في تقرير مصيرها، وبناء ذاتها، واستغلال مواردها، وتربية بنيها. وبقيت التبعية للأعداء، ولم يختلف إلا ظاهر الصورة فقط»، فما الذي ولدته الأحداث بعد هذا المخاض العسير؟

لقد تعددت المصائب وتنوعت، وجاءت على رأسها كارثة فصل الدين عن الدولة.

فصل الدين عن الدولة أقسى ما أصاب الأمة

بعد استقلال معظم الأقطار العربية، وقيام حكومات محلية تسارعت الأحداث، وكان أعداء الإسلام - داخلياً وخارجياً - في عجلة من أمرهم يريدون قطف الثمرة - ولو كانت فجة - خشية أن يستجد ما يفوت الفرصة عليهم.

فلقد عزَّ على السادة وأذنابهم: أن تبقى الأمة تحترم دينها وتنتمي إليه، ولو بشكل باهت كسيف، إنهم يريدونها ردة كاملة، تقطع جذور الإسلام من النفوس، ولا تبقي له باقية من تأثير، ولا أثراً من احترام أو تقدير أو حتى مجرد انتماء، ولماذا تتمسك الأمة بدينها؟ أليس الدين أفيون الشعوب؟ وهو مصدر تخلّف وفرقة وضعف؟ وهل نهضت أوروبا إلا بعدما أقصت الدين عن حياتها؟ وهل تستطيع أمة أن تساير ركب الحضارة، وتطور الأحداث إلا إذا فعلت ما فعلته أوروبا؟! إذاً فلا بد أن ينبذوا دينهم، ويلتفوا حول قوميتهم التي تصهر الجميع في بوتقتها، وتتسع مفاهيمها لكل الأفكار، ويلتقي على مائدتها كل صاحب نحلة ودين، ولا تضيق بأحد.

وكان لهم ما أرادوا، فنشأت القومية العربية، ثم الطورانية، وقل ما شئت من القوميات.

دين العرب الجديد

أصبحت القومية العربية هي الدين الجديد لأبناء الأمة العربية. ووضعت لها مفاهيم وفلسفات، وقواعد، وأصول. فهي الرسالة الخالدة التي نشأت مع نشأة العرب، وهي الباقية ما بقي العرب، ولا عجب، فالأمة العربية أنجبت - عبر تاريخها - عباقرة كثيرين، وما النبي محمد إلا واحد منهم، وأفرزت أدياناً كثيرة، والإسلام واحد منها.

ألا، وإن عطاءها لا يتوقف، فستلد العباقرة، وتنجب العظماء، وتعطي كل عصر ما يلائمه من المبادئ والأفكار، فأي حاجة بعد ذلك لدين مضى على نزوله قرون من الزمان؟

لقد تغيرت الظروف، وتبدّلت المفاهيم، وتطورت الوسائل، فهل يليق بالأمة العربية أن تجمد - في عصر الذرة والصاروخ - على مبادئ دين جاء لأهل الناقة والبعير (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) الكهف٥.

وهكذا بدأوا يعرّون الأمة من مصدر عزتها، ويبعدونها عن عقيدتها، ويحملونها على أفكار ومفاهيم تخالف فطرتها وسجيتها، وانطلق دعاة الدين الجديد يروجون باطلهم بعد أن مكن لهم أسيادهم، وأحاطوهم بالعناية والرعاية، وأمدوهم بأسباب الاستمرار والبقاء، وسهلوا لهم كل سبيل، وأوهموا الأمة - بدعايتهم المستمرة - أنهم الروح الجديد الذي سيعيد للأمة أمجادها، ويحقق للأوطان تقدمها وازدهارها، فهم - بزعمهم - الأمل المرتقب لنهضة شاملة، واستقلال تام، وهم الجنود الأشاوس الذين سيكملون معركة التحرير، ويستردون ما سلب من الأوطان، ولسوف يعود الخصب والنماء ويعم الخير والرخاء كل بقعة من وطننا مادام هؤلاء يحكمون، إن الأمة مطالبة أن تقف وراءهم، تشد من أزرهم، وتدعم مسعاهم، وكل من يعترض طريقهم، أو يعارض فكرهم، أو يكشف بعض حقيقتهم، فهو الخائن العميل، الذي يستحق القتل والسحل، والتشريد والنفي، وظلمات السجون.

كابوس ثقيل

عاشت الأمة تحت وطأة هذا الكابوس الرهيب الذي كمّم الأفواه، وأسكت الألسنة، وعمل على تضليل الفكر، وتعطيل العقول، والقضاء على البقية الباقية من مفاهيم الإسلام وقيمه وأخلاقه، وسلك زبانيته لذلك كل صعب وذللوه، واستغلوا كل الإمكانات المتاحة - وما أكثرها - للوصول إلى غايتهم وتنفيذ مخططهم.

فالإذاعات لا تبث إلا هابط القول، سخيف المعنى، مما يهدم الرجولة، ويدمّر الأخلاق، ولا تُسمع الناس إلا ما يدعوهم إلى نبذ قيمهم الاجتماعية، وما توارثوه من جميل العادات وحميد الصفات، وكل ما يشوه في نظر الناس صورة دعاة الفضيلة والمتمسكين بمكارم الأخلاق.

وليست الصحافة أسعد حالاً من غيرها، فقد دأبت - ومن غير هوادة - على مهاجمة الرجعية والرجعيين، - وهو مصطلح أطلق على الإسلاميين قبل الأصولية والتطرف -، والإنذار بالويل والثبور وعظائم الأمور لكل من يقف في وجه المدُّ القومي، أو يحاول بث المفاهيم الإسلامية. لأنها - بنظرهم - ما عادت تصلح لواقع الحياة.

وما حال المدارس والجامعات إلا صورة عملية لهذه السياسة التي حملت الأمة عليها قسراً. وبلغ الأمر مداه عندما أصبحت المعركة علنية لا موارية فيها ولا مداراة، وأعلن أعداء الله - دون خشية ولا خجل - أن «الله، والدين، والقرآن» من مخلفات الماضي، ولا يصلح شيء منها للواقع الجديد، فقد تجاوزها الزمن، وأصبح مكانها متحف التاريخ!!

حصاد إقصاء الأمة عن دينها

لقد كان حصاد فصل الدين عن الدولة حصاداً مراً وقاسياً ذاقت مرارته الأوطان والأجيال على تعاقبها، وأفرز واقعاً سيئاً رجع بالأمة إلى الوراء، وأخر تقدم نهضتها وأوصلها إلى حال من المهانة والعجز لا تحسد عليها.

وقد كان احتلال أجزاء من فلسطين العام ١٩٤٨م الحدث الفاجع الذي أصاب من الأمة مقتلاً - وعرّى - في الوقت ذاته - رؤوس الأنظمة، وكشف زيفها وباطل دعواها. وخلّف جرحاً غائراً، وحقداً كامناً، على من كان سبباً أو له سهم - في هذه النكبة. وليت ما سقط من فلسطين في النكبة الأولى كان نهاية المطاف، وخاتمة الهزائم! ليته كان كذلك! إذاً لتعالت الأمة على آلامها، وضمدت جراحها، واستأنفت معركة البناء والإعداد لاسترجاع الوطن السليب.

لكن الأمر سار على غير إرادة الأمة ومناها، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن ولا الربان، واستجد من الفجائع والمصائب ما أنسى الناس كل ما سبقه، وجعلهم يتأسفون على ما كانوا منه يشكون.

دعوت على عمرو فمات وسرني
وخالطت أقواماً بكيت على عمرو

الواقع الجديد

لقد وعى المسؤولون درس سقوط فلسطين العام ١٩٤٨م جيداً، وفهموا أن استمرارهم في مراكزهم، وعلى كراسيهم منوط بسيرهم على وفق ما يخطط لهم، ومدى مهارتهم بتنفيذه، وأنه لا حرية لهم ولا اختيار إلا في طريقة الإخراج فقط.

ولقد كانوا عند حسن الظن بهم! فأجادوا التمثيل، وأتقنوا التضليل، وقدموا للأمة حكومات متعاقبة، أفرزتها انقلابات حمراء أو بيضاء، استولت على مقاليد الأمور، وجميع مفاصل السلطة، وطرحت المبهر من الخطط والشعارات، وعلى رأسها:

- استرداد الوطن السليب، وتحريره من الغاصبين، وإعادة الحق إلى أهله الشرعيين.
- محاربة الفقر والتخلف، وتحقيق التطور والنمو في شتى مجالات الحياة.
- توزيع الثروة والدخل القومي وتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص.
- نزع الملكية وتأميم الصناعات، فإن الأرض لمن عمل بها، والآلة لمن يستعلمها، ويقف بجوارها.

وغير هذا - مما هو على شاكلته - الكثير، والكثير جداً، فهل أتى المردود على قدر الموعود؟

قبض الريح

لم نظلم الحقيقة شيئاً عندما نصف مكاسب الأمة في هذه المرحلة - مرحلة المد القومي - بأنها قبض الريح.

فقد كانت سنوات عجافاً تلك التي خُطّط للمد القومي أن يأخذ خلالها مداه، وأن يُفْرضَ - هو - على الأمة ديناً جديداً، ويُنصّب أتباعه سادة وقادة.

ذهبت الوعود أدراج الرياح، ولم تثمر سوى إشغال الأمة وإلهائها، واستنفاد طاقاتها، وزرع الكراهية والأحقاد بين أبنائها، نتيجة الشعارات الملحدة، والتطبيقات الجائرة، وظهور الطبقية الجديدة، وإحراز المكاسب من لا يستحقها، وحرمانها من كانوا أحق بها وأهلها.

وعاشت الأمة واقعاً بئيساً في أخلاقها، ودينها واقتصادها، تفاقم فيه السوء، وبلغ الضيق أقصى مداه.

وأفرز هذا الوضع البائس وهناً في الأمة وطاقاتها، وضعفاً في جميع مؤسساتها، ولا سيما العسكرية منها.

فما خاضت جيوشنا معركة إلا سحقت وغلبت، وألقت سلاحها، وأخلت مواقعها، استجابة للأوامر العليا!! ليستولي اليهود على أرض جديدة، ومن أقطار جديدة، ليضموها إلى أرض الإسراء والمعراج «فلسطين».

وليطالع من يشاء صفحات المجد والفخار - بل الخيبة والعار - في صد العدوان الثلاثي العام ١٩٥٦م، وما تلاه في حزيران المجيد! وما أعقب حزيران مما شاع وذاع، وعمَّ نبأة الجبل والبقاع.

أدمت سياط حزيران ظهورهم
فأدمنوها وباسوا كفّ من ضربا

وها هي حقائق حزيران وإفرازاته تظهر في زفّة الاستسلام، التي سارع إليها الجميع، حتى الذين لم توجه لهم بطاقات الدعوة.

نعم إنهم جمعاً يتسابقون للتوقيع على بيع المقدسات، وفتح مصاريع الأبواب للحملان الوديعة - من اليهود - ممن لم يفعلوا شيئاً يدينهم، فما قيمة احتلال الأرض والمقدسات! فأرض العرب شاسعة واسعة، وما أهمية تشريد شعب واقتلاعه من جذوره؟ إنه هو الذي ظلم نفسه! حيث لم يبصم على صك رقّه واستعباده، ورفض أن يحيا فلاحاً عند أسياده، أو عاملاً في مصانعهم.

وأما دماء الشباب التي أُريقت، وأرواح الشهداء التي أُزهقت، فتلك قضايا لا تستحق أن تناقش، فضلاً عن أن تحمل على الثأر، فالمرأة العربية منجبة من الطراز الأول، وستعوض المفقودين من الأبناء بأسرع مما يظنه الجاهلون ببواطن الأمور.

استغفال الشعوب

أيما قيادة متحضرة تمنى بهزيمة، أو تصاب بنكسة، فإنها تدعو أولي الشأن والاختصاص لدراسة أسباب إخفاقها، ومعرفة مواضع الضعف التي أسهمت في ذلك الفشل والإخفاق. ويحاسب كل مسؤول على تقصيره أو تفريطه، وفي إطار القانون والنظام.

وأدنى ما يستحقه: أن ينحّى عن منصبه، ويبعد عن مواضع اتخاذ القرار، فهل درجت قيادات المدّ القومي على هذه السنن؟ هل صارحوا الأمة بحقيقة ما حصل، واعترفوا بتفاصيله وحيثياته، وشتى ملابساته؟ أم أنهم ضللوا واستغفلوها؟

إن الحقائق تنطق أنهم في حزيرانهم - وقبله وبعده - نكسوا على رؤوسهم، وارتدوا على أدبارهم خاسرين، وبدلاً من اعترافهم بهزيمتهم وتسويغ مواقفهم، جهدوا في إخفاء الحقيقة، وتحويل الهزيمة الكاسحة إلى نصر مبين، إمعاناً في استغفال الشعوب وإضلالها! وأنهم إنما تراجعوا تخطيطاً و«تكتيكاً» وليس ضعفاً أو جبناً، ولا توفية لثمن المناصب والكراسي.

لا، إنهم كانوا مستعدين: ما فرطوا، ولا توانوا، ولكنه القدر!! نعم إنه القدر الذي عاكسهم، وحالف أعداءهم متآمراً عليهم.

لقد توقعوا الضربة من جهة الغرب، فجاءتهم من جهة الشرق، أفتراهم يلامون؟ ألا يدل ذلك على غدر العدو ومكره!! فلو كان خصماً شريفاً لأتاهم من حيث يحتسبون ولواجههم من الجهة التي يريدون!

يا له من اعتذار سمج! هو للوقاحة أقرب منه - للبرادة - والبلادة.

ومع ذلك أرادوا من الأمة تصديق مفترياتهم، وسخروا لذلك جميع أبواقهم، ووسائل إعلامهم.

وحملوا الناس على ذلك حملاً، ومن أبدى خلافه فمصيره حيث لا يعلمه إلا علام الغيوب. وظنوا أنهم بذلك يسيطرون على المواقف إلى الأبد، وأن الأمة قد عقمت، فلن تلد إلا من يخطب ودهم، أو يحطب في حبلهم!.

وفاتهم - أو تناسوا - أن لله أقداراً جارية وسنناً ماضية، وأنه - سبحانه - مهما أمهل فلن يغفل أو يهمل: (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون. قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين. فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) الأنبياء: ١١-١٥.

تلك بدايتها وهذه نهياتها: فهل يتخيل ذو عقل أن يخضع الناس للعسف والجور، والظلم والاضطهاد، ومصادرة الأموال وانتهاك الأعراض أمداً طويلاً.

إن الذي شبّ ولا يعرف سبباً لسجن والده أو مقتله إلا حسن خلقه، واستقامة مسلكه لن يكون حملاً وديعاً، ولا جندياً مطيعاً. والذي رأى ما فعل بأسرته ومدينته من فظائع الأمور، لابد وأن يحمل بين جنبيه قلباً ثائراً على الظلم والظالمين، ومن رأى أمواله نهب العدى كيف ينام على ضيم؟

وقل مثل ذلك في آلاف المثقفين والمتخصصين الذين أوصدت في وجوههم أبواب العمل، لأنهم لم يرقصوا في زفة التأييد، ولم يتنازلوا عن قيمهم وأخلاقهم، مما اضطرهم إلى الهجرة ومغادرة الأوطان، وحرمان الوطن من كفاآتهم وخبراتهم.

فلا بد من تغير هذا الواقع المؤلم، لابد من رفع الحيف عن المظلومين وتحقيق العدل، وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين، وتمكين الناس - كل الناس - من استنشاق هواء الحرية في أوطانهم، ليشعروا أن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم في أمن وأمان، ويسهموا - جميعاً - في بناء الوطن، وتنميته: اقتصادياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، ويشرف الجميع بحمايته والدفاع عنه ضد الغاصبين والمعتدين.

هذا هو طريق الاستقرار والاطمئنان، فلماذا لا يتنكب المتنفذون سواء الصراط ويسلكون أوعر الدروب وأضيقها! إن الشرّ لا يولد إلا شراً مثله، وربما فاقه وزاد عليه.

إن العصا من العصية
لا تلد الحية إلا حية

وإنه لحمق بزارع الحنظل أن يستغرب مرّ الجني، فإن حظ كل حاصد ما كان زرع. ■

بقلم : غازي التوبة

النص الثابت والواقع المتغير : كيف نوفّق بينهما ؟

يتساءل كثير من الكُتّاب والمفكرين المعاصرين الذين يتعاملون مع القضايا الإسلامية بصورة مباشرة أو غير مباشرة ومنهم: محمد سعيد العشماوي، محمد شحرور، محمد أركون... إلخ، عن كيفية التوفيق بين نصوص ثابتة «القرآن والسنة» وواقع متغير، وهم من أجل حل هذه الإشكالية يصدرون أحكاماً جديدة مخالفة للأحكام الإسلامية السابقة، ويتعللون بأن تلك الأحكام كانت نتاج واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي وثقافي معين، لذلك ومع تغير هذا الواقع يجب أن يتغير الحكم، فهل هذه المشكلة حقاً مشكلة جديدة؟ وهل يجوز أن نُصدّر أحكاماً مجردة من أي ضوابط من أجل حل هذه المشكلة؟

المشكلة ليست جديدة، بل قديمة قِدَم النص القرآني، ونحن من أجل تسهيل مناقشتها يمكن أن نُجزئها إلى قسمين:

١ ـ النصوص المتعلقة بالعقيدة وبالأسرة وبالحدود... إلخ.

٢ ـ النصوص المتعلقة بالاجتهاد بشكل عام.

أما بالنسبة للنصوص المتعلقة بالعقيدة وبالأسرة وبالحدود فقد جاء ثبات أحكامها من ارتباطها بالجانب الثابت من كيان الإنسان الذي أطلق عليه القرآن مصطلح «الفطرة» فقال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم:٣٠، ومن مظاهرة الفطرة الثابتة على مدار التاريخ: التعبد، حب المال، حب التملك، التجاذب بين الذكر والأنثى، الخوف... إلخ، لذلك وجدت نصوص عالجت هذه الجوانب الفطرية.

ففي مجال التعبُّد بينت النصوص صفات الله الذي يجب أن يتجه المسلم إليه بالعبادة، وبيّنت أنواع العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج، ووضحت كيفيتها وأوقاتها، وبيّنت أجر المتعبد وعقوبة غير المتعبد.

وفي مجال التملك والمال فقد أباحت النصوص التملك وحللت بعض طُرُق الكسب، وحرمت بعضها الآخر، قال تعالى: (وأحلّ الله البيع وحرم الربا) البقرة:٢٧٥، ووضحت أوجه إنفاق المال، فحرّمت الإسراف والتبذير، ووضعت حد السرقة لمن يدفعه الطمع إلى التعدي على مال غيره، ووضعت الضوابط المتعددة لهذا الحد.

وفي مجال التجاذب بين الذكر والأنثى، دعت النصوص إلى الزواج وتكوين الأسرة، واعتبرت الزواج هو الطريق المشروع للعلاقة بين الاثنين وحرمت ما عدا ذلك، لذلك بيّنت نصوص كثيرة الحقوق والواجبات لكل من الزوجين والأولاد، وبيّنت أحكام الطلاق والميراث، ووضحت عقوبة الزنى والقذف.

وفي مجال الخوف بيّنت النصوص أن هناك خوفاً فطرياً لا إثم فيه فقد وقع فيه الأنبياء، فقد خاف إبراهيم عليه السلام من الملائكة عندما وجد أن أيديهم لا تصل إلى الطعام الذي قدمه إليهم، وخاف موسى وهارون عليهما السلام المواجهة مع فرعون، لكن هناك خوفاً محرماً هو الذي يحول دون قول الحق أو الوقوف إلى جانبه، ودعت النصوص المسلم إلى أن يُوجه خوفه إلى مقام الله وعذاب الآخرة لكي يستطيع أن يكون في مستوى الصَّدْع بالحق والجهر به.

أما بالنسبة للآيات الأخرى المتعلقة بالاجتهاد فقد حكمها بشكل عام حُكمها علم أصول الفقه الذي جاء استجابة لآيات متعددة في القرآن الكريم تُبيّن للمسلمين طبيعة القرآن الكريم وصفاته، فقد جاء في تلك الآيات أنه قرآن عربي، قال تعالى: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) يوسف:٢، وجاء فيها أن فيه نسخاً قال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) البقرة:١٠٦، وأن فيه محكماً ومتشابهاً قال تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) آل عمران:٧، وأن فيه المجمل والمفصل قال تعالى: (الر. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود:١ ... إلخ

كانت تلك الآيات محور علوم متعددة: المحكم والمتشابه، الناسخ والمنسوخ، المجمل والمفصل... الخ، وقد تكون علم أصول الفقه من العلوم السابقة بالإضافة إلى قواعد أخرى مثل: الاستحسان، والمصلحة المرسلة، وسد الذرائع، والاستصحاب... إلخ وقد مرّ علم أصول الفقه الذي مرّ بمرحلتين مهمتين هما:

الأولى: إقراره بتعليل الأحكام في وجه الاتجاه الظاهري الذي يرفض مثل هذا الإقرار بحجة أن الله لا يُسألُ عما يفعل، وأنه لا حكمة ولا علة وراء أي أمر من الأوامر، وإن البحث عن الحكمة والعلة تنطع في الدين وبُعد عن الصواب وافتراء على الله، ولكن هذه المدرسة في الفقه والتي مثّلها داود الظاهري في المشرق وابن حزم في المغرب انحسرت لصالح المدرسة الثانية التي وضحت أن الله بيّن لنا الحكمة من بعض الأعمال حيث قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة:١٨٣، وكان ابن قيم الجوزية من العلماء الذين قبلوا تعليل الأحكام والبحث عن الحكمة من ورائها، وأقر بالعجز عن إحصاء الآيات والأحاديث التي عللت

الأحكام لكثرتها، وقد سمح لنفسه أن يذهب في البحث عن الحكمة شوطاً بعيداً فتساءل عن الحكمة في أداء صلاة الفجر ركعتين في حين أن صلاة الظهر أربع ركعات... إلخ

الثانية: أخذه بمقاصد الشريعة واعتباره أن الله أرسل الأنبياء وأنزل الشرائع لتحقيق مصالح العباد، وقد جاء هذا التطور على يد أبي إسحاق الشاطبي تتويجاً للمرحلة السابقة، واعتبر الشاطبي أن استقراء آيات الشريعة تُبيّن لنا أن القصد من إنزال الأديان السماوية هو تحقيق خمسة أمور: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ النسل، حفظ العقل، حفظ المال، واعتبرها من الضرورات التي لا تستقيم حياة الناس من دونها، واعتبر أن هناك أموراً حاجية تأتي بعد الضرورات في المرتبة لترفع الحَرَج عن الناس وتُيسر سُبُل العيش كالرُخص في العبادات، واعتبر كذلك أن هناك أموراً تحسينية تأتي بعد الحاجية ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، فلما ندب إلى الإنفاق ندب أن يكون الإنفاق من طيب الكسب. ودعا الشاطبي إلى ضرورة تسلح المجتهد بعلمين: الأول: العلم باللغة العربية، والثاني: العلم بمقاصد الشريعة، كي يستطيع أن يربط بين الجزئي والكلي فيما يستفتي فيه.

وبعد هذا التوضيح نستطيع أن نقول: لقد كانت العلاقة بين النص الثابت والواقع المتغير محلولة فيما سبق من تاريخ الاجتهاد الإسلامي، وإذا ادعى بعض الباحثين الآن أن هناك مشكلة بين النص الثابت والواقع المتغير دون دخول في النوايا أو الانتماءات الأيديولوجية فإننا نقول عليهم أن يُثبتوا أحد أمرين أو كليهما:

الأول: أنه ليس هناك فطرة، وليس هناك جانب ثابت في كيان الإنسان، بل داخل الإنسان في تغيّر وتحوُّل مستمرين كالمحيط الخارجي.

الثاني: أن يُثبتوا عدم ملاءمة علم أصول الفقه للاجتهاد في وقتنا الحاضر، وعجزه عن التوفيق بين النص الثابت والواقع المتغير.

إن أبرز من قام بجهد في الحقل الثاني الدكتور عادل ضاهر في دراسته التي تناولت النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، والتي جاءت في ملحق «آفاق» من جريدة (الحياة) بدءاً من العدد (١٢٠٣٥) بتاريخ ٥ فبراير ١٩٩٦م، والتي رددت عليها في عدد تالٍ، وإلى أن توجد مثل هذه الدراسات التي تسدّ هذه الثغرة بشكل علمي وموضوعي، فإنه يجب الاستمرار في اعتماد علم أصول الفقه، مع الانتباه إلى وجود فرصة جيدة لتنميته، وبالذات في مجال المقاصد بحيث تتسع قدرة المجتهدين على المواءمة بين النص الثابت والواقع المتغير. ■

ضحايا المُثُل والقيم

منذ أن عرفت البشرية المبادئ والقيم التي زرعت في المجتمعات وغرست بمجهود الأنبياء والمصلحين لم تسلم أبداً من التبوير والتدمير، وبنظرة فاحصة إلى الدين الإسلامي نجده صاحب النصيب الأوفر من الإبادة والتشريد والاضطهاد لأبنائه وليس ذلك بغريب على أهل الإنصاف، فمنذ أن نزلت رسالة هذا الدين إلى أهل مكة وصناديد وزعماء قريش وقفوا لها بالمرصاد لحربها ووأدها وحيكت المؤامرات ودبرت الدسائس لرسولها وأصحابه والقرآن الكريم يذكرنا بقوله: (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) الأنفال:٣٦.

سارت الدعوة في طرق وعرة وحقول ملغمة تضرب وتصد وتدافع ويتساقط أبناؤها ضحايا في ميدانها حتى أذن الله تعالى لهم بالتمكين والمنعة وتجلت هنا سماحة الإسلام وحلم سيد الخلق عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقادة أعدائه حين فتحت مكة اذهبوا فأنتم الطلقاء وهم الذين ذبحوا أهله وأصحابه. وانتشر وتمدد الإسلام إلى أماكن جديدة وأوطان بعيدة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وبقوة الإيمان ونظافة الحضارة عرفت الإنسانية قيمة هذا الدين الخالد بكتابة الماجد ورسوله القائد ومع ذلك لم تسلم من مكائد وهوس الزعماء وأصحاب الأهواء والتاريخ يذكر لنا «محاكم التفتيش» في أسبانيا يقول صاحب كتاب ـ القومية والغزو الفكري ـ «لقد حرَّم الإسلام على المسلمين وفرض عليهم تركة كما حرَّم عليهم استخدام اللغة العربية والأسماء العربية وارتداء اللباس العربي، ومن يخالف ذلك كان يحرق حياً بعد أن يعذب أشد العذاب».

يقول أ. محمد جلال كشك «أما الحقيقة التي لا يكاد يذكرها أحد، وهي أن محاكم التفتيش ظهرت أولا وأخيراً وفقط في أوروبا الكاثوليكية، ولكن الأهم من ذلك أنها ظهرت أولاً وأساساً ضد المسلمين ولتنظيم إبادتهم في جنوب أوروبا وبالذات في أسبانيا حيث كان الشعب الأندلسي المسلم»، كتاب ـ أنهم يذبحون المسلمين ـ أيضاً لا ننسى الحملات الصليبية الحاقدة وما فعلته بأهل الإسلام وإبادة الأبرياء دون ذنب جنوه أو إثم اقترفوه في حق هؤلاء الأوغاد لصوص الحضارة وناهبي الثروات ومقدرات الشعوب وثمرات العقول ومصاصي الخيرات، يقول المستشرق الفرنسي ـ كيمون ـ المتعصب والحاقد العنيف «أعتقد أن من الواجب إبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر».

ومع اقتحام وسائل الإعلام والتقدم التكنولوجي الذي سرى في جميع مناحي الحياة واستخدام الصواريخ الموجهة بالليزر والطائرات العملاقة والبوارج الحربية والقنابل الجرثومية والعنقودية الفتاكة في الحروب لم يجد أهل الهوس من حقول تجارب إلا أهل الإسلام فدمروا البوسنة والهرسك وخربوا الشيشان وبورما وأفغانستان وذبح الشيوخ وبقرت بطون الحوامل، ووضع الأطفال الرضع في خلاطات الاسمنت أمام أعين أمهاتهم حتى أصبن بالجنون، واغتصبت بنات في عمر الزهور والضمير الإنساني العالمي واقف يتفرج ويشاهد هذه المأساة ولم يتحرك قلبه ومشاعره ثم لم يكتفوا بهذا، بل وجهوا أسلحتهم وحقدهم الأعمى البغيض إلى أهل كوسوفا العزل الضعفاء وبكل أسف أبادوا اللاجئين المحاصرين بين شعب الجبال وبطون الأودية ولسان حالهم يقول (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) إبراهيم:٤٢، إذاً مهما كتبنا وحللنا ووصفنا فالصور التي تبثها وسائل الإعلام وتنقلها القنوات الفضائية تعبر بصدق عما يُفعل بأهل الإسلام في نهايات هذا لقرن، ونحن على مشارف الألفية الثالثة والتي يدعون أنها ستكون ألفية التقارب الحضاري والإنساني، ومهما طال الليل فلا بد أن تنتصر الإنسانية وتبزغ شمس القوة الإسلامية.

بالأمس كنا على أعدائنا لهب
واليوم صرنا لنار المعتدي حطب

(هذا نذير من النذر الأولى. أزفت الآزفة. ليس لها من دون الله كاشفة) النجم: ٥٦ ـ ٥٨ صدق الله العظيم. نشكو إلى الله ما نلقاه في زمن الإيذاء وتكالب الأعداء. ■

ضرغام عبدالله حسين

شعر : منير محمد خلف

مولد الفجر

البدرُ لولا سناهُ ما ألفناهُ
والليلة البدرُ يشدو ما حفظناهُ

من خالص الحبِّ للمختار سيّدنا
محمد أشرقت أحلى مزاياهُ

قلبي يبعثُرني من فرط لهفته
إلى لقاء حبيب قد عشقناهُ

وكيف نشقى وهل غير الحبيب هوى
يسقي الفؤاد ويحمي ما بنيناهُ

لولاهُ ما اكتحلت ألوان فرحتنا
لولاهُ ما زفّت الأعيادُ لولاهُ

يا حسرة الشعر لا تبدو محاسنهُ
إن لم يكن عابقاً من طيب ذكراهُ

اليوم مولد فجري والهوى تعبٌ
من شدّة الشوق يخشى ما تمنّاهُ

إنَّ الحياةَ غرامٌ في دمي... ودمي
مثل البراكين لا تنهيه أمواهُ

حبيبي المصطفى قلبي يُحمِّلُني
آهات شوق وحولي كلهُ آهُ

ماذا أقولُ لفرط النار في جسدي
والحبُّ لولا ضرامٌ ما عرفناهُ

قد يسلك القلبُ غير الحبِّ منعطفاً
لكن هواهُ كروح ما فطمناهُ

يأيها القمرُ الملتاعُ من سفر
خذني إليه فإني الدّهر أهواهُ

خذ للحبيب غرامي إنني كلفٌ
في حبِّه... وخذ التسبيح أحلاهُ

خذ كلَّ ما فيَّ من حزن ومن فرح
وللحبيب صلاتي حين تلقاهُ

يا خير من أثمرت في كفه لغةٌ
ما أزّينت حولنا الأفلاك لولاهُ

آه عليَّ.. على قلبي وما اقترفت
يداه من إثم ما كنا زرعناهُ!

لا تعجبوا شعري المغسول من فرح
هو السعادة لا مالٌ ولا جاهُ

إن كان حزني حراماً عند حبِّكمُ
فأعمقُ الوحي كان الحزنُ فحواهُ

لا تطفئوا ظمئي فالعشق ملتهبٌ
أيُطفئ الملحُ جرحاً قد رضفناهُ؟!

الكلُّ يسعى إليه حين رؤيته
والخيرُ... الخيرُ فيما اختارهُ اللهُ

الوعي الإسلامي
العدد 403
صفر 1420 هـ
يونيو / يوليو 1999 م

الأسرة المسلمة

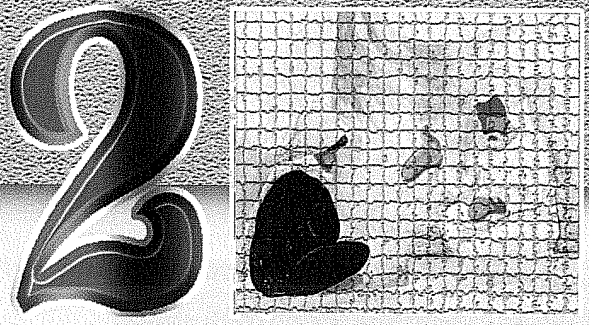

دور وسائل الإعلام في تفتح الأبناء

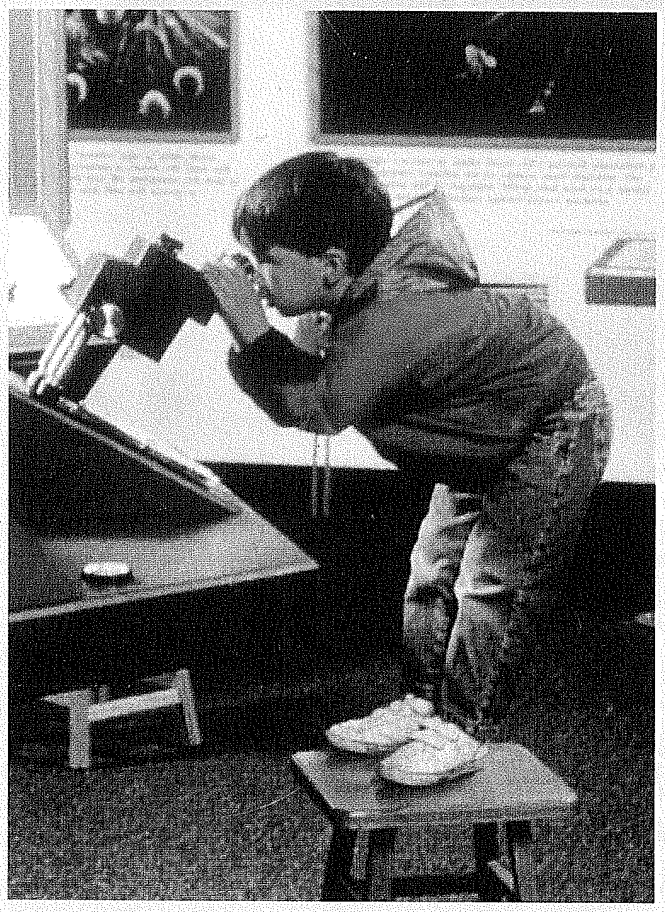

عبارات خطيرة

يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً

متى نعود البنات على الحجاب

لماذا تنجو المسلمات من عروق الدوالي ؟

فضل النكاح والترغيب فيه

بقلم: عبدالرزاق زعال بن سمعو

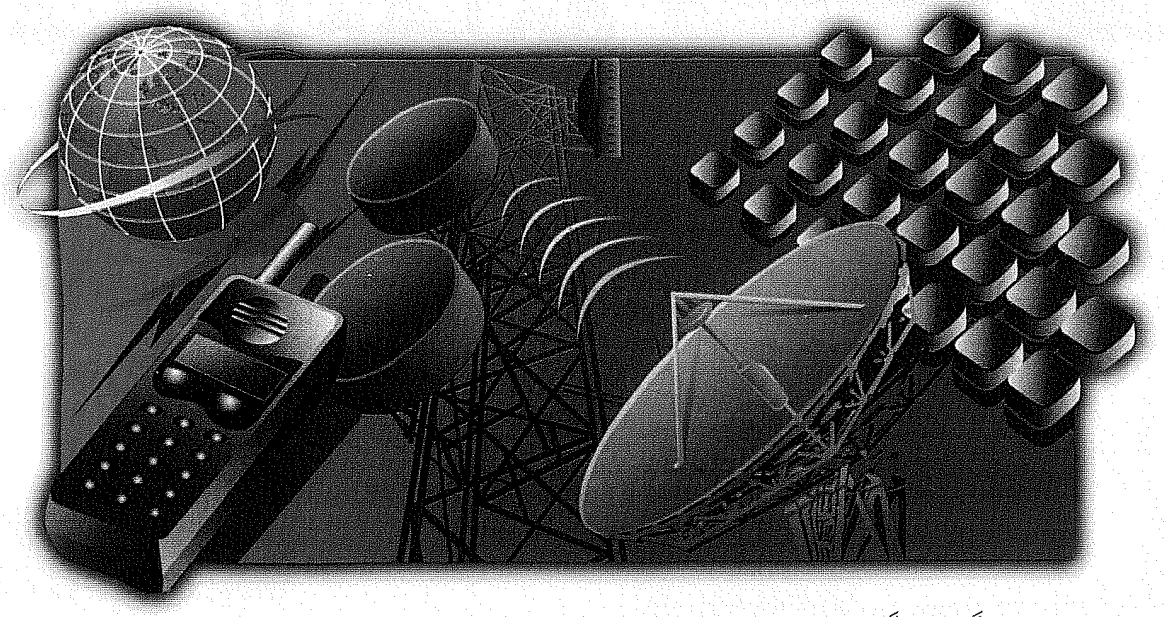

ليس ضيفاً دائماً على الأسرة، فحسب

بل هو مشارك في مسؤولية إعداد وتربية الأطفال

دور وسائل الإعلام في تفتح الأبناء

لقد حلّت وسائل الإعلام محل الوالدين والمدرسين في نقل العلوم والمعارف إلى الأفراد، فأصبح التعليم يتم خارج المدرسة، وأصبحت كميات كبيرة من المعلومات التي تنقلها الصحف والإذاعات ومحطات التلفاز في أيامنا هذه تفوق بكثير كميات المعلومات التي ينقلها مدرّس المدرسة.

ويعتبر التلفاز من أخطر الوسائل الإعلامية، لأن تأثيره يفوق تأثير الوسائل الإعلامية الأخرى، وهو ليس ضيفاً دائماً على الأسرة، فحسب، بل هو مشارك في مسؤولية إعداد وتربية الأطفال.

لقد حلّت وسائل الإعلام محل الوالدين والمدرسين في نقل العلوم والمعارف إلى الأفراد، فأصبح التعليم يتم خارج المدرسة، وأصبحت كميات كبيرة من المعلومات التي تنقلها الصحف والإذاعات ومحطات التلفاز في أيامنا هذه تفوق بكثير كميات المعلومات التي ينقلها مدرّس المدرسة.

ويعتبر التلفاز من أخطر الوسائل الإعلامية، لأن تأثيره يفوق تأثير الوسائل الإعلامية الأخرى، وهو ليس ضيفاً دائماً على الأسرة، فحسب، بل هو مشارك في مسؤولية إعداد وتربية الأطفال.

إن الأسرة والمدرسة والأصدقاء ووسائل الإعلام تكسب الطفل

وتعلمه عاداته وتقاليده، وقيمه، أي تكسبه العوامل الاجتماعية في شخصيته.

ولا ننس أن عامل الوقت الذي يقضيه الطفل أمام جهاز التلفاز يعتبر هو الأساس الذي يجعل التلفاز من أهم الوسائل الإعلامية تأثيراً في سلوك الأطفال.

ولم يعد التلفاز من الكماليات، بل أصبح من الضرورات الحياتية، إذ حوله تتجمع الأسرة، ومنه يحصل أفرادها على الخير والمعلومة والفن والثقافة والتسلية بالقول والصورة معاً.ولم تعد محطات الإرسال الوطنية المحلية هي المصدر الوحيد لكل ما يظهر على الشاشة الصغيرة، بدأ البيت العربي يتابع ما يدور في العالم كله عندما يبث له من خلال أدوات التقنية الحديثة ما ترسله محطات إرسال قد تبعد عنه آلافاً عدة من الأميال، فلم تعد محطة الإرسال الوطنية المحلية هي المصدر الوحيد للبث، تعمل بجوارها الآن محطات أخرى أجنبية، لا شك أن هذا التنوع الكبير سيزيد من ارتباط الأسرة والفرد بالتلفاز، ولهذا الارتباط إيجابيات، وكذلك له سلبيات.

تتحدد إيجابياته بهذا التنوع الكبير للأخبار والمعلومات ولجميع فنون العلم والثقافة، ولكن تأتي سلبياته بتعدد وتنوع واختلاف القيم والتقاليد التي تدخل في نسيج بعض البرامج والأفلام، والتي لا تناسب ذلك التجمع الأسري أو لا تتناسب مع النسق القيمي للإنسان العربي، وقد يكون ذلك التطور الجديد لوسائل الإعلام مؤثراً على قواعد تربوية تحاول بشكل أو بآخر زرعها وترسيخها في أبنائها، قواعد تربوية ترمي إلى دفعهم إلى القراءة مثلاً أو إلى الانخراط في أعمال عامة أو إلى العناية بفنون أخرى، فعلينا أن نهتم بكل ناتج للتقدم التقني، وعلينا كذلك أن نوجد التوازن الذي لا يجعلنا فريسة له، بل أسياداً متحكمين فيه.

إن التلفاز قد أصبح اليوم أداة مهمة، ليس فقط في المجال الإعلامي، ولكن أيضاً كعامل من العوامل ذات التأثير البالغ في التنشئة الاجتماعية للطفل، فلم يعد التلفاز من الكماليات، بل أصبح وجوده من الانتشار، بحيث لا يمكن إغفال تأثيره على كل من الصغير والكبير سواء بسواء.

ولكن هذا التطور السريع الذي شهده العصر وتوفر أجهزة التلفاز بجميع القنوات العربية والأجنبية إلى جانب الفيديو وما يوفره من أشرطة قد لا تتناسب وأعمار الأطفال، ومع وجود كتب من مختلف المجالات في متناول أيديهم، هل كل ذلك كان سبباً في فقدان أطفال اليوم براءتهم؟

ما يعرض في وسائل الإعلام أثَّر بشكل كبير على الأطفال بحيث صاروا أكثر تفتحاً ومن ثم استفساراً عمّا يشاهدونه

إن ما يعرض في وسائل الإعلام أثَّر بشكل كبير على الأطفال بحيث صاروا أكثر تفتحاً ومن ثم استفساراً عمّا يشاهدونه، ففي حين يقول البعض إنه على الرغم من سلبيات ما يعرضه التلفاز على الأطفال وبخاصة ما يتوافر في متناول الجميع بوساطة «الستالايت»، إلا أننا في الوقت ذاته لا يمكننا أن نحصر الأطفال في غرف مغلقة بل كل ما علينا هو أن نراقب ما يشاهدونه ولانتركهم كثيراً أمام التلفاز لئلا يشاهدوا البرامج التي لا تتناسب وأعمارهم.

أما البعض الآخر فيعتبر أن تغير سلوك بعض أطفال اليوم هو بسبب تقليد ما يشاهدونه عبر أجهزة التلفاز والفيديو إلى جانب ابتعاد الوالدين طوال النهار عن أبنائهم بسبب انشغالهم بالعمل، وقلة العلاقات الاجتماعية السائدة حالياً هذه الأمور ساعدت على غياب الدور الأسري في التنشئة.

وقسم آخر يرى أن تفتح عقلية الأطفال ذات شقّين إيجابي وسلبي يتمثل بتفتحهم تجاه الأمور التي قد تنفعهم وتنمي طريقة تفكيرهم وتفيدهم في حياتهم بشكل عام.

ويؤكد البعض أنه مهما تطور المجتمع يظل جزءاً من البراءة لدى الطفل من ناحية التفكير وحب التملك والمشاعر، من ناحية الحب والابتسامة، بحيث لا تصل لمصطلح المجاملة والنفاق والدجل الاجتماعي لكونها أشياء يكتسبها الطفل في المراحل المتقدمة من العمر خلال الصراعات العاطفية والوظيفية... أما إذا أردنا أن نضع اللوم على الطفل بسبب تفتحه الزائد فهذا أمر غير ممكن لكونه أمراً طبيعياً بحكم مشاهدته المتطورة من خلال توافر التلفاز و«الستالايت» الذي يوفر بين يدي الطفل قنوات دول العالم وكذلك تفتحه عن طريق السفر إلى الخارج مع الأهل والمناهج الدراسية المقررة الأكثر تطوراً من خلال عقدين من الزمان مثلاً والهادفة إلى تنمية مواهبة أما بالنسبة لحب الاستطلاع لدى الأطفال فهو في الواقع أمر طبيعي حيث يتساءل عن كيفية مجيئه للحياة وسبب اختلافه عن أخته من الناحية التكوينية وغيرها إلى جانب عدد من الأسئلة المحرجة في بعض الأحيان وفي حال إجابة الوالدين عليها بشكل خاطئ تؤدي إلى أمراض نفسية مستقبلية.

وهنا يجب تأكيد ضرورة تفهم الوالدين لطبيعة أبنائهم في الوقت الحالي، وعدم مقارنتهم بطبيعتهم وتصرفاتهم أيام كانوا في مثل أعمارهم بحكم اختلاف طبيعة الحياة والحال والزمان والمكان. ■

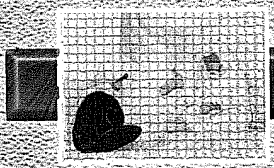

بقلم: خالد أحمد الشنتوت

متى نعود البنات على الحجاب ؟

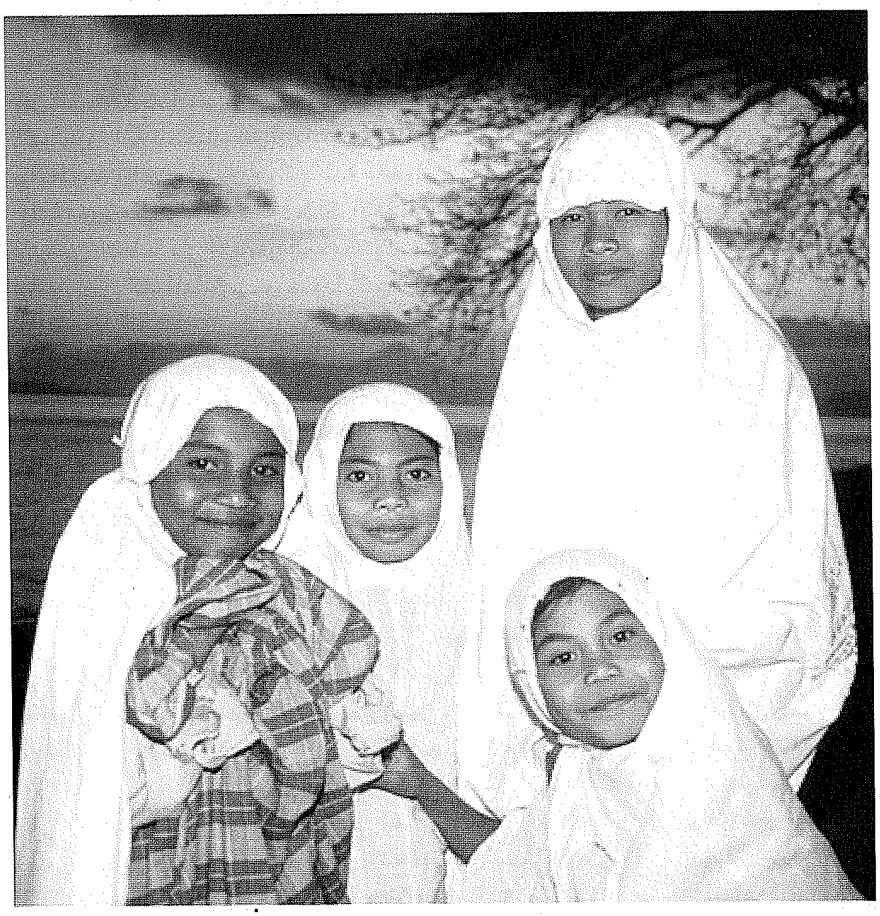

لقد أُمرنا الله أن ندرب أولادنا على العبادات قبل أن تفرض عليهم ببضع سنين حتى يعتادوها، وقد لاحظنا أن مدة التدريب تتراوح بين (٥ ـ ٨) سنوات.

حيث يؤمر الصبي بالصلاة لسبع، وتفرض عليه عند البلوغ في العمر (١٢ ـ ١٥)، وهكذا نجد هذه الفترة (٥ ـ ٨) سنوات للتدريب.

لذلك فإن التدريب على الحجاب ـ وهو عبادة ـ يجب أن يسبق التكليف بالحجاب ببضع سنين حتى تعتاده الفتاة، فيصعب عليها نزعه بعد ذلك.

ولكن متى يفرض الحجاب على الصبيّة؟

هناك إجابتان إحداهما تقول تحجب الصبية عندما تصل إلى سنّ البلوغ، والسن التي تُشتهى فيها الصبية تختلف من واحدة لأخرى، وفقاً لطولها وجمالها وبِنْيتها.

وتقول الإجابة الثانية تحجب الصبية إذا حاضت وسن الحيض تتراوح بين (١١ ـ ١٤) عاماً في بلادنا.

وفي كلا الحالين لابد من فترة تدريب سابقة على سن التكليف.

فالصبية التي تبلغ الثامنة من عمرها يجب أن تدرب على الحجاب منذ السادسة، وهكذا فعل العلامة الشيخ محمد الحامد ـ يرحمه الله مع بناته، إذ كان يحجبهن حجاباً شرعياً كاملاً في السادسة تقريباً، والفتاة التي تشتهى قبل المحيض ولا تحتجب، تفتن الرجال بالنظر إليها ويأثم والدها «ولي أمرها»، ولا تأثم لأنها غير مكلفة، أما بعد البلوغ، فإن لم تتحجب تأثم هي كما يأثم والدها لأنه مسؤول عنها.

أما التي لا تشتهى في الثامنة فينبغي تدريبها على الحجاب منذ السابعة قياساً على الأمر بالصلاة.

فقد قاس الشافعية الصوم على الصلاة، وقالوا: «يؤمر به الصبي لسبع ويضرب عليه لعشر»، وكذلك الحجاب فالأرجح عندي أن تدرب الصبية منذ السابعة على الحجاب الشرعي، كي تتكون عندها عادة الحجاب قبل البلوغ.

أما من يرى حجب الصبية عند البلوغ فنسأله: ما الفرق بين الصبية قبل بلوغها ببضعة أشهر وبينها وهي تدخل البلوغ، من حيث جمالها ولفت نظر الرجال إليها، وبعبارة أخرى ما الفرق بين الصبية في الحادية عشرة «حيث لم تبلغ بعد» وبين الصبية نفسها في الثانية عشرة عندما تبلغ!!؟

لذلك فإن حجب الصبية عندما تشتهى أقرب إلى الصواب، وكثير من الصبايا في العاشرة من عمرهن يفتنّ الرجال بقاماتهن وشعورهن. لذا ينبغي على آبائهن حجبهن عن عيوان الرجال كي لا يقع هؤلاء الآباء في الإثم.

التربية بالعادة:

ولا يصح إغفال فترة التدريب والتعود على الحجاب منذ الصغر، حيث ينغرس في شعور المرأة وضميرها، وإلزامها به عند البلوغ فقط يؤدي إلى ظاهرة الحجاب التقليدي حيث تلبس الفتاة الحجاب مسايرة لأهلها وعادات مجتمعها، وهي مجبرة على ذلك، حتى إذا سنحت لها الفرصة خلعته.

أما إذا انغرس ارتداء الحجاب في ضمير الفتاة نتيجة للتدريب منذ الصغر، فإنها تتمسك به مرتاحة مطمئنة لأنها تنفذ أوامر ربها عز وجل، ولا تخلعه حتى إذا أمرها زوجها بخلعه، لأنها تعرف أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

لماذا في السابعة؟

في السابعة من العمر يبدأ الإنسان المرحلة الثالثة من نموه(١)، وهي الطفولة المتأخرة، أو سن التمييز ولهذه المرحلة خصائص منها:

١ ـ يحب الطفل في هذه المرحلة المدح والثناء، ويسعى لإرضاء الكبار (كالوالدين والمدرس) كي ينال منهم المدح والثناء، وهذه الصفة تجعل الصبي في هذه المرحلة ليناً في يد المربي، غير معاند في الغالب، ينفذ كل ما يؤمر به بجد واهتمام.

٢ ـ يتعلم الصبي في هذه المرحلة المهارات اللازمة للحياة، كما يتعلم القيم الاجتماعية، والمعايير الخلقية، وتكوين الاتجاهات، والاستعداد لتحمل المسؤولية، وضبط الانفعالات، لذلك تعتبر هذه المرحلة أنسب المراحل للتطبيع الاجتماعي.

٣ ـ يحصر الطفل قدوته وتلقيه بوالديه حتى نهاية السابعة، ويقبل من أمه وأبيه إذا كانا مهتمين به أكثر من مدرس الصف الأول، ويضفي على والديه هالة من الإعجاب، فما يقوله أبوه أو أمه صحيح ولا يقبل النقاش، ثم يبدأ بالتدريج في الخروج من دائرة التأثر القوي بالوالدين.

وفي الثامنة والتاسعة يكاد يتساوى تأثير المدرس مع تأثير الوالدين، أما في بداية البلوغ فيصبح التحرر من سلطة الوالدين دليلاً على أن الطفل صار شاباً.

٤ ـ في السابعة إذاً الصبية مميزة «تفهم»، وتسعى لإرضاء والديها من أجل كلمة مدح أو ثناء من أحدهما أو من كليهما، فإذا أمرت بالحجاب تجدها تنشط إلى أدائه بنفس طيبة وهمة عالية، وبسرور وفخر لأنها صارت كبيرة.

كما أن الفترة بين السابعة والبلوغ كافية للتعود على الصلاة والصوم والحجاب، وقد يكون هذا من أهم الأسباب.

أما في الحادية عشرة وما بعد، فقد يرى الصبي والصبية أن تنفيذ أوامر والديهما دون مناقشتها منه دليل على الطفولة، التي ترغب الصبي في مغادرتها، وبعد البلوغ يرى المراهقون معارضة والديهم دليلاً على شبابهم ونموهم.

٥ ـ يعيش الطفل مرحلة الطفولة «المبكرة والمتأخرة»، حيث يتطلع إلى تقليد الكبار ليرى نفسه كبيراً مثلهم، ويؤلمه أن يُقال عنه صغير، وعلى المربي استثمار هذه الرغبة الموجودة لدى الطفل في تطبيعه وتعويده على العبادات، فإذا قيل للصبية أنت شابة وجميلة ويجب أن ترتدي الحجاب مثل أمك وأختك الكبيرة، تطرب الطفلة لهذا الأمر لأنها ترغب في أن تكون كبيرة، ومع الأسف أن الآباء عامة والأمهات بخاصة يضيعون هذه الفرصة الذهبية بحجة واهية نابعة من الجهل بالتربية وعلم النفس، عندما يقولون: مازال الطفل طفلاً ومازالت الفتاة طفلة.

ويقول محمد قطب (١٩٦/٢): «نحن الآن مع كائن جديد لا يريد أن يكون طفلاً ويكره أن يعامل على أنه طفل صغير كما كان بالأمس القريب، ويريد أن يعامل على أنه رجل إذا كان ولداً، وعلى أنه أنثى ناضجة إذا كانت بنتاً».

٦ ـ توحد الطفل مع دوره الجنسي، ويلاحظ في هذه المرحلة أن الأولاد يلعبون مع الأولاد فقط، وتلعب البنات مع بعضهن بعضاً ألعاباً تمثل دورهن في المستقبل، كأمهات غالباً، ولو جاء صبي ليلعب معهن يطردنه ويقلن له كيف تعلب معنا؟ هل أنت بنت أم ولد؟ والمربي الحصيف يستفيد من هذا الخاصة في ترسيخ السلوك الرجولي عند الصبيان، والسلوك النسائي عند البنات، ومنه ارتداء الحجاب وتدريبهن عليه. لأن البنت تشعر في هذه الفترة أنها تختلف عن الصبي، وأن دورها في الحياة يختلف عن دوره (محمد قطب:١٩٩/٢).(٢)

ونلاحظ أن مدة التدريب على الصلاة (٥ ـ ٨) سنوات، عندما يؤمر بها الصبي لسبع ويبلغ في الخامسة عشرة فتفرض عليه الصلاة، لذلك يجب أن تكون فترة التدريب على الحجاب كافية قبل أن يفرض على الصبية.

ومن الواضح أن إغفال فترة التدريب، تجعل الفتيات يلبسن الحجاب عن غير قناعة، مسايرة لأهلهن ومجتمعهن، وهو ما نسميه ظاهرة الحجاب التقليدي، وهو أفضل من السفور والتكشف بألف مرة، لكننا نريد البنات المسلمات، المتحجبات طاعة لله ورسوله، وطمعاً في ثواب الله وجنته، وخوفاً من عقابه، نريد الفتاة المسلمة التي لا تخلع حجابها بعيداً عن ذويها في أوروبا أو أميركا، وحتى إذا ابتليت بزوج يأمرها بخلعه فإنها لا تخلعه لأنها لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عزَّ وجلَّ.

وعندما يتعرف الوالدان على هذه الخصائص، فإنهم يستفيدون منها في تنشئة أولادهم وبناتهم، وتدلهم على الطريقة الصحيحة في التعامل معهم، وتساعدهم على تطبيق وسائل التربية، ومنها التربية بالعادة من أجل زرع السلوك المرغوب عند أولادهم وبناتهم. ■

الهوامش

١ ـ المرحلة الأولى هي مرحلة المهد، ثم الطفولة المبكرة، ثم هذه المرحلة الثالثة الطفولة المتأخرة.

٢ ـ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق.

بقلم: عادة عدلي الشافعي

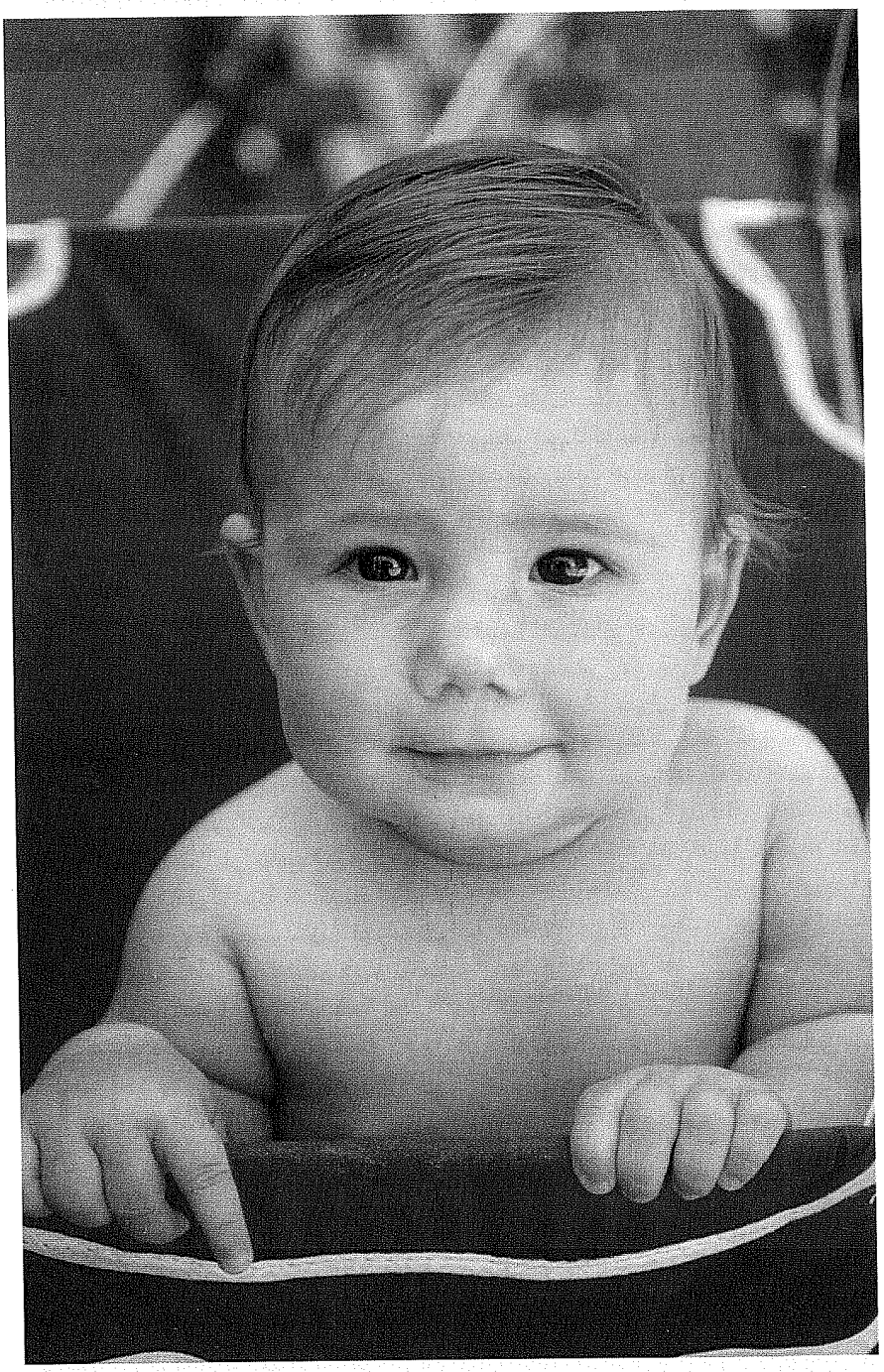

لا تبكِ يا صغيري

يعتبر بكاء الطفل طريقة اتصاله بمن حوله، فهو يحتاج إلى الطعام والمصاحبة والرعاية، ويطلبهم بوسيلته الوحيدة التي يعرفها... فإذا لم يمنح ما يشبعه منهم فإنه يلجأ إلى البكاء الكثير بل إلى الصراخ العنيف... أما إذا منح ما يحتاج إليه منهم فإنه لا يبكي إلا في حالات نادرة وملحّة... فالطفل الطبيعي قليل البكاء لذا يجب أن نلبي حاجات الطفل الأساسية الحيوية باعتدال فليس من الأصوب أن نسرع إليه في كل مرة يبكي فيها...

فأحياناً يستخدم الطفل البكاء طريقة يستدعي فيها الكبار وسائل لتحقيق رعايته! ولكن يجب أن نجعله يتعلم الانتظار القليل وتحمل الحرمان البسيط في فترة مبكرة ما أمكن ذلك.

فللطفل الرضيع حديث الولادة أحوال ثلاثة: نائم، مستيقظ وهادئ، أو مستيقظ ويصيح وعلى الأم أن تعرف أن كثيراً من الأطفال كثيرو الصياح وعليها أن تستعد لذلك وأن تعامله على أنه طبيعي وعلى العكس فإذا كان طفلك من النوع الذي لا يصيح كثيراً فذلك هو الشيء الذي يستدعي النظر.

وحتى تستطيع الأم أن تتفهم سبب هذا البكاء والصياح، وكيف تعد وسائل الراحة لطفلها؟ فإنه يجب عليها أن تدرك دوافع القلق وعدم الشعور بالارتياح بالنسبة لطفلها.

ماذا تعرفين عن صياح الطفل؟

صياح الطفل هو الوسيلة الوحيدة التي تربطه بالمجتمع المحيط به، وهو الوسيلة الوحيدة التي يستطيع أن يعبر فيها عن متاعبه ومضايقاته.

وتستطيع الأم الخبيرة أن تعرف متاعب الطفل من نوعية صراخه وبكائه، سواء

كان السبب الجوع أو الخوف أو الغضب أو الألم أو المغص.

لا تدعي طفلك يصيح!

فإذا كان بكاء طفلك نتيجة الخوف والغضب فمن الأصوب ألا يترك يصيح وحيداً، ويبدو هذا واضحاً وبخاصة حين يستيقظ ليلاً من صوت ما أو من حلم مزعج... فإن منح الحب والاطمئنان من أمه سيزول خوفه وتتلاشى مخاوفه، ويعاوده الهدوء مباشرة.

لماذا يبكي طفلك وكيف تتصرفين؟

١ ـ الجوع... من أكثر الأسباب شيوعاً لصياح الأطفال... وكثيراً ما تعرف الأمهات طبيعة الصياح الصادر عن الإحساس بالجوع... وأن الطفل يبكي كثيراً قبل تناوله الرضاعة أكثر مما يبكي أو يصيح بعدها، إن الشعور بامتلاء المعدة يجعل الطفل أكثر سعادة وارتياحاً من أي لذة أخرى.

٢ ـ درجة حرارة الجو والرطوبة... تؤثر درجة الحراة والرطوبة في الجو تأثيراً كبيراً على طول الوقت الذي ينام فيه الرضيع وكذلك على نشاطه وصراخه أيضاً.

وقد أثبتت التجارب أن الحرارة (٣١ـ٣٢درجة مئوية) تجعل الطفل ينام فترة أطول ويقل صراخه، لذلك يجب أن تتأكد الأم من أن رضيعها في غرفة ذات درجة حرارة مناسبة وأن تخفف من ملابسه إذا كان الجو حاراً وتزيدها إذا كان بارداً... مع تغيير لفات الطفل وملابسه في حال البلل.

٣ ـ الألم... هو سبب قوي لصراخ الطفل وقد تجد صعوبة في اكتشاف مصدر الألم أو تحديد موضعه... فربما يكون ناتجاً عن مغص أو شدة التفاف اللفة... وربما يكون التهابات حادة في الأذن مثلاً حيث تلاحظ الأم الطفل يضع قبضة يده حول أذنه.

فإذا كان المغص فننصح بوضع الطفل على بطنه وإعطائه بعض السوائل الطاردة للغازات والأعشاب المهدئة للمغص.

أما إذا زاد البكاء وحدة الصياح فلا بد من عرضه على الطبيب المختص.

٤ ـ التغيرات المفاجئة والعنيفة... كالضوضاء أو زيادة شدة الإضاءة أو الحركات العنيفة لذا يجب تجنب هذه التغيرات مع أخذ الطفل بين يديك في الحال وضمه إليك حتى يحسّ بالأمان والطمأنينة.

٥ ـ لفت النظر والانتباه... قد يدخل الطفل في نوبة هستيريا من البكاء المتواصل كمحاولة منه للفت أنظار الأسرة طالباً شدّ المزيد من الانتباه وأنسب الحلول للمشكلة التي يعانيها هو أن يترك الطفل وحيداً من دون محاولة التدليل الزائد أو السخرية أو التهديد والوعيد ـ مع ملاحظة إزالة الأشياء التي قد تضره في أثناء هذه النوبة الهستيرية ـ فإذا ما تركنا الطفل وحيداً دون تدخل من الوالدين فسرعان ما يزول البكاء تلقائياً.

٦ ـ الخوف من الانفصال... كلما كان ارتباط الطفل وثيقاً بالأفراد المحيطين به كان القلق والبكاء والصراخ عنيفاً عند الانفصال... وبناء جسور الثقة والصدق بين الأم وبين طفلها هو العلاج الناجع في هذه الحالة.

٧ ـ الإحباط... قد يصاب الطفل بالإحباط حين يحاول تقليد من هم أكبر منه فيفشل فيكرر المحاولة ويتكرر الفشل فينفجر في موجة من البكاء والصراخ... وهنا يجب مساعدته أو اختيار ألعاب أخرى في حدود طاقته فيتحقق النجاح ويشعر بالرضا.

واجب الآباء لتجنب نوبات البكاء عند الأطفال:

إن في أعماق الطفل الصغير حاجة ملحّة إلى أن يكون محل حب الآخرين وعطفهم ومركز اهتمامهم، فهو يتغذى نفسياً بهذه المحبة التي ينعم بها من أمه وأبيه وذويه، كما يتغذى جسمياً بالطعام الذي ينمي جسمه ويبعث فيه دفء الحياة وأسباب النمو.

وإذا فقد الصغير العطف والمحبة نشأ غير سوي، وأصاب صحته النفسية والعقلية والخلقية انحراف.

فالحب والعطف أساس التعامل كله، ومدار التجارب مع حاجات الطفل المختلفة... لذا وجب على الآباء والأمهات ما يلي:

أ ـ يجب على الآباء أن يقلعوا عن عصبيتهم وثورتهم لأتفه الأسباب أمام الأبناء ويعملوا جهدهم على ضبط النفس قدر الإمكان حتى لايقلدهم الأطفال، فالطفل السوي هو الذي ينشأ في منزل يسوده الانشراح وعدم الخوف من الآباء.

ب ـ تجنب النقد واللوم والسخرية وخصوصاً أمام طفل آخر أو أمام الضيوف.

ج ـ تعويد طفلك على التفاهم والمرونة والأخذ والعطاء والتوجيه والنصح الهادئ وهذا هو أساس تعامل الآباء مع الأبناء.

د ـ دراسة الحالة الصحية للطفل وعلى ضوئها تنظم حياة الطفل وتوجهه أسرته توجيهاً تربوياً يحقق للطفل منذ نعومة أظفاره حاجاته النفسية، في إثبات وجوده وذاته بأسلوب سوي يفتح أمامه مجالات التعرف على الحياة بحيث تنمي استعداداته الفطرية وقدراته ومهاراته.

وأخيراً: أهمس في آذان الآباء: «يضحك ابننا فتضحك الدنيا لنا، ويبكي فتسوّد الدنيا في عيوننا وهو أمر منطقي أن يتحول في حياتنا إلى بوابة لهذه الحياة». ■

بقلم: عابدة المؤيد العظم

عبارات خطيرة! 7

ثمة عبارات موروثة ترددها الأمهات أمام صغارهن للحصول على منافع عاجلة ومصالح موقتة، ولكن كثيراً من العبارات تلك تتضمن معاني غير محببة، وتعطي آثاراً سلبية وربما مفعولاً معاكساً، وهي قد تؤثر على المفاهيم والقيم فتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه. فلننتبه لما نقوله لأولادنا حفاظاً على دينهم وخلقهم.

يجب أن تكون طبيباً! أو مهندساً

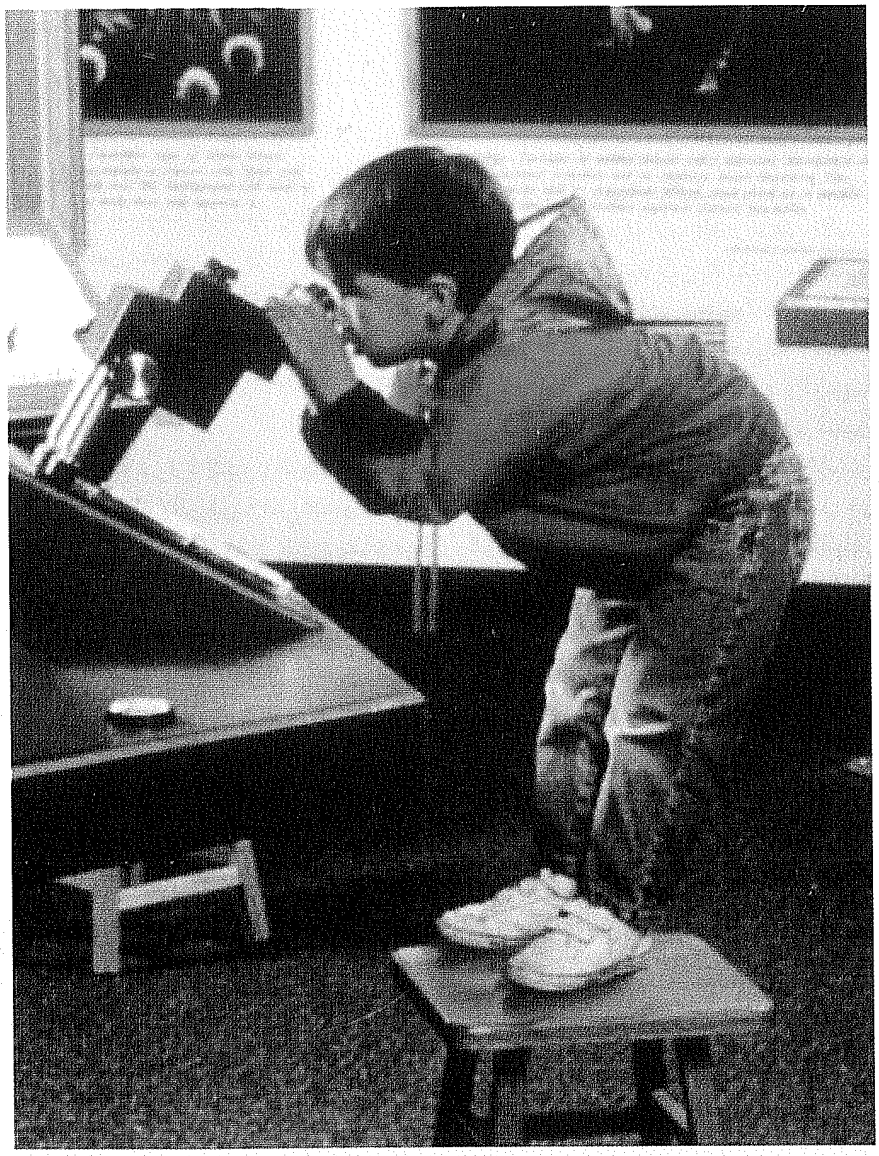

كانت أقصى أماني الأمهات - عندما كنت صغيرة - أن يكون أولادهن أطباء أو مهندسين ليس إلا، وكانت الأمهات تجاهد مجاهدة عظيمة في سبيل تحقيق هذه الأمنية، فتبدأ منذ السنوات الأولى بغرس هذه المفاهيم في ذهن طفلها، وتكرر هذه العبارة: «يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً» بكثرة أمامه، وتعمل على تحبيب هذه المهنة إليه عن طريق الكلام عن فوائدها، وعن عائدها المادي، وعن الاحترام والتقدير اللذين سيحظى بهما من امتهن إحدى هاتين المهنتين.

ستسألني: ولكن أين الخطورة في هذه العبارة؟ وما المانع أن يكون ولدنا طبيباً أو مهندساً؟ وسأجيب بما يلي:

١ ـ الخطر الأول في هذه العبارة أننا حصرنا المهن الرفيعة في مهنة الطب ومهنة الهندسة، وشددنا على هذا حتى تصاغرت المهن الأخرى وتضاءلت أمام هاتين المهنتين، وقل شأن ممتهنيها، وانحطت مرتبتهم الاجتماعية عن الأطباء والمهندسين... وهذا غير صحيح، ولكن كان من الطبيعي أن يعتنق الطفل هذه الأفكار ويقتنع بها بعد أن سمعها مراراً. ولما كان من غير المعقول أن يمتهن الجميع الطب أو الهندسة، بقينا بين أمرين: إما أن يصير الولد طبيباً أو مهندساً ثم يتكبر على عباد الله، أو يفشل في امتهان إحدى هاتين المهنتين ليشعر طيلة حياته بالألم النفسي والأسى والدونية.

٢ ـ والخطر الثاني أننا أجبرنا أبناءنا أدبياً وأقنعناهم لا شعورياً بالإقبال على إحدى هاتين المهنتين دون اهتمام بميولهم ورغباتهم وأحلامهم، مما قد يتسبب في تعثرهم في أثناء الدراسة، ثم في خطئهم أو فشلهم في أثناء تأدية المهنة، وقد عرفت أماً كانت تحلم أن يكون كل أولادها أطباء، وعملت على غرس هذا المفهوم في كيانهم، فاقتنعوا بكلامها وظنوا أنهم فعلاً يرغبون بإحدى هاتين المهنتين، وبدؤوا الدراسة... فكان أن خسر كبيرها سنة من حياته حين اضطر إلى تقديم امتحان الثانوية العامة من جديد لأن مجموعه الذي بلغ التسعين لم يؤهله لدخول كلية الطب! ثم خسر سنتين أخريين عندما رسب، وحتى لا يخسر ولدها الثاني – والذي حصل أيضاً على مجموع يقارب التسعين – عاماً من حياته، غادر أهله إلى جامعة بعيدة ليدرس الهندسة، وقد عانت أمه الأمرين بسبب بعده عنها، وتحمّل هو من مشاق الغربة، ثم عندما تخرج عمل في التجارة، وما استفاد يوماً من شهادته تلك لأنه ما أحب الهندسة يوماً، وفشل الباقون وتعثروا، ولو تركوا لميولهم ورغباتهم لأبدعوا ولأفادوا المجتمع بطريقة أفضل.

٣ ـ ويكمن الخطر الثالث لهذه العبارة «يجب

حصر المهن الرفيعة في الطب والهندسة والتشديد عليهما حتى تصاغرت المهن الأخرى وتضاءلت أمامهما

أن تكون طبيباً أو مهندساً» (وهو الأهم والأفظع) في تربية الأنانية والروح الفردية، والاهتمام بالنفس على حساب المجتمع، فهذه العبارة ترسخ الأنانية وتحث على التفكير بالذات وحدها، وتؤدي إلى فساد العلاقات الاجتماعية بين الطفل وأقرانه فهو لا يختلط بهم ولا يفهمهم ولا يشترك معهم في نشاطاتهم لأنه مشغول بالدراسة وجمع العلامات ليكون طبيباً أو مهندساً، فينشأ جاهلاً طرق تفكير الآخرين ومهملاً ومستخفاً بمشاعرهم وأحاسيسهم، ولا يمكن للإنسان أن يعيش وحيداً مستغنياً عن الناس بطبه وعلمه ونجاحه، فهذا غير ممكن ولا معقول لأن الدنيا متشابكة المصالح ولا تقوم السعادة الاجتماعية ولا يتحقق النجاح إلا بالعلاقات الجيدة والصداقات القوية والصلات المتينة، وبالتعاون وتبادل الخبرات والمصالح.

وإن هذه العبارة «يجب أن تكون طبيباً أو مهندساً» تشجع الإنسان كي يعمل لنفسه وحدها وليرى مصلحته دون سواها، وليهتم ببناء مستقبله غير عابئ بالآخرين، ففي هذه

هذه العبارات ترسخ الأنانية وتؤدي إلى فساد العلاقات الاجتماعية بين الطفل وأقرانه

العبارة حثّ للابن على امتهان الطب أو الهندسة ليحظى باحترام الآخرين وتقديرهم وليكون ناجحاً ومشهوراً وغنياً... لا ليكون ـ بالإضافة إلى هذا ـ فرداً فعالاً عاملاً نشيطاً، ولا ليكون إنساناً رحيماً شفوقاً عطوفاً يساعد الناس حوله، ولا ليكون مسلماً خلوقاً يغيث الملهوف ويزيل كرب المكروب، ولا ليكون مؤمناً مثالياً يخدم المسلمين ويهتم بأمرهم، إذ على كل مسلم أن يعمل ما يستطيعه ليكون فعالاً وليدفع بالمجتمع إلى الأمام.

يقول د. أمين المصري في هذا المقام: «وانتزع محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه من حمأة الجاهلية وأنشأ مجتمعاً لا يعيش الفرد فيه لنفسه، بل لربه ثم لإخوانه. أما التربية التي نتلقاها اليوم فهي تهيب بالفرد أن يحرص على منفعته، يلقن الطفل منذ حداثته بأنه سيدخل المدرسة وسيجدّ للحصول على الشهادة وسيكون طبيباً أو مهندساً، كل هذا لينعم بالعيش ولتفتح أمامه سبل الحياة، ويشهد الطفل ما تعانيه الأم لأن ولداً من أولادها لم يفلح ولم ينجح في الحصول على الشهادة الثانوية مثلاً، ولا يسمع الطفل في مجتمعنا هذا كلمة حزن على هذه الأمة، ولا يضرب للطفل أي مثل من أمثلة الجهاد ليقتدي به. وهكذا ينشأ الطفل وقد ملأ سمعه وبصره وخالط كل ذرة من ذرات قلبه ونفسه الحصول على الشهادة في سبيل العيش.(١)

فاتركي ولدك كي يختار بنفسه المهنة التي يحبها ولا تضيقي عليه، وإن رأيت مساعدته في الاختيار فاختاري ما يناسب ميوله وقدراته. وإن أردت له النجاح والشهرة والمال فلقنيه الإخلاص وعلّميه الإتقان، وحببي إليه الناس وحثيه على الإحسان إليهم والتسامح معهم، لأنهم هم القضاة الذين سيحكمون عليه بالنجاح أو الفشل.

وأذكرك ـ أخيراً ـ بأن التقوى وخوف الله هما القاسم المشترك الأعظم بين جميع المهن، فاحرصي عليهما أشد الحرص إن أردت لولدك التوفيق والتفوق في الحياة، فهما سر التوفيق، ودافع التفوق، وهما الطريق الوحيد إلى سعادة الدنيا والآخرة. ■

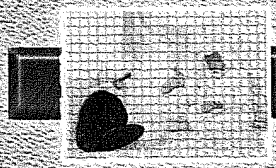

هزة أيقظته ..

بقلم : عبدالناصر محمد مغنم

فوجئ به يكلمها وهي تجلس قبالته في محل الملابس الذي خلا من الناس سواهما... كان المحل يقبع في زاوية من زوايا أزقة المدينة في سوق مكتظ بالناس والبضائع... شعرتْ بحرج لما دخل عليهما فنهضت ثم ودعته بعبارة ودية، ومضت دون أن تلتفت للزائر المزعج الذي قطع عليهما حديثاً ذا شجن...

تنهد ونظر إلى صديقه بعين الشفقة...

- مازلت تجلس إليها وتحدثها يا جاسر...؟!

ارتبك وتلعثم وقد بدا على وجهه الخجل...

لقد اتفقنا على الزواج.

جلس على الكرسي أمامه وهزَّ برأسه..

ولكنك دخلت من النافذة يا جاسر..

أصابه الوجوم...

وماذا تعني؟!

قلت لك مراراً إن هذا عمل خاطئ وإن كنت تريد الزواج منها فاخطبها من أبيها.

ولكن أباها ميت.

أليس لها وليّ أمر يتولى أمرها؟!

بلى... ولكن...

ولكن ماذا...؟!

لم أخبر أبي وأمي بالأمر بعد... وربما...

ربما ماذا؟!

أخشى ألا يوافقا

يا سبحان الله... وتعبث هكذا وتضحك على الفتاة...

لا يا عمر... لا تتعجل فلا بد أن أتزوجها... لقد وعدتها...

ولكن اجتماعكما بهذا الشكل محرّم لا يجوز... وهذه خلوة نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت من طلاب العلم الشرعي وتدرك هذا جيداً

ماذا أفعل وأنا كل يوم أتعرض للفتن في هذا المحل... إني أخشى على نفسي الضياع...

وهل هذه اللقاءات هي التي تنجيك من الضياع؟!

لابد أن أختار الفتاة التي تناسبني...

ما هكذا يكون الاختيار... وإن كنت تريد النجاة حقاً فاترك المحل وابحث عن عمل آخر إن كنت لا تستطيع الصمود أمام فتن النساء.

ولكنه عمل مريح ويدر أرباحاً جيدة... ثم إنني لا أستطيع أن أحطم آمال هذه المسكينة بعد أن وعدتها...

إذن عجّل بخطبتها...

هذا سابق لأوانه

يبدو أنه لا فائدة من الحديث معك... ولكن يجب أن تتذكر أن الله لا يرضى لعبده الذي يحمل العلم الشرعي أن ينتكس هذه الانتكاسة، ويسقط هذا السقوط...

يولي له ظهره ويمضي بينما يقف جاسر مشدوهاً مما سمع.

وتمر الأيام دون أن يرعوي جاسر عن الاتصال بها... ويزداد قلبه بها تعلقاً... ويُعْلِم والده بالمشكلة فيسافر إليه لينظر في الأمر...

- هذا لا يمكن يا بني ...

لماذا يا أبي؟!

إنما أرسلناك إلى هنا من أجل الدراسة... وأنت تعرف أنك لو تزوجت بها فستضطر للمكوث هنا... ولن تستطيع القدوم بها للضفة الأخرى ... فقوانين اليهود تمنعك من إحضارها يا بني...

لن أتخلى عنكم يا أبي... سأزوركم بين الحين والآخر...

ولكنك وحيدي... وأمك مريضة لا تطيق بُعْدَك كثيراً وهي تنتظر تخرجك بفارغ الصبر... ستكون بالنسبة لها صدمة...

إنه قراري الذي لا فكاك منه يا أبي... إنني أحبها ومتعلق بها..

كنت أظنك أعقل من ذلك يا ولدي... ألم تتعلم أن هذا لا يجوز...؟!

بلى يا أبي ... ولكن..

إنها شطحات صبيانية يا بني... وإنني مضطر لعدم الموافقة على ذلك... فاعذرني يا ولدي..

وتمر الأيام دون تغيير... ويرى جاسر أنه على حق فيما فعل... ولا يمنعه موقف أبيه من العودة للقائها والحديث معها.

ويرتدي أجمل ثيابه، ويتعطر ويركب دراجته النارية، ويتوجه نحو المحل... يمضي مسرعاً فهو الليلة موعود بلقائها... ويكفر بموقف والده، ويتذكر حديث صديقه عمر... وتختلط لديه الأمور... يفاجأ بسيارة تقطع الطريق أمامه... يحاول أن يتجاوزها دون أن يرتطم بها... ينزلق بدراجته فيصطدم بمؤخرتها... يصرخ ثم يتدحرج على الأرض... يرتطم رأسه بالأرض... يفر سائق السيارة بسيارته دون أن يراه أحد... تسيل الدماء غزيرة على الأرض... يسرع بعض المارة ليروا من هذا الممدد على الطريق... يُنقل للمستشفى في الحال... وتُجرى له الفحوص ثم يُحول لغرفة العمليات... وتمضي ساعات طويلة يُحمل بعدها لغرفة الإنعاش.

كان المنظر مهولاً مرعباً... رأسه ملفوف لا يظهر منه شيء... عيناه حمراوان منتفختان... رجله مربوطة ومرفوعة إلى أعلى... يخور خواراً شديداً.

ويأتي والده وقد أصابه الهلع عليه...

هل هناك أمل بالشفاء أيها الطبيب؟!!

الشفاء بيد الله يا عماه... ولكن...

ولكن ماذا؟

أخشى إن كتب الله له الشفاء ألا يعيش طبيعياً.

ولماذا أيها الطبيب؟

لقد أصيب بكسر في جمجمته... وأخشى أن يكون لذلك أثّر على الدماغ...

لا حول ولا قوة إلا بالله.

وتمر الأيام بطيئة يتعافى خلالها جاسر شيئاً فشيئاً... ويكتب الله تعالى له الشفاء... ويتهيأ للخروج من المستشفى... يفاجأ في آخر أيامه في المستشفى بمجيئها لزيارته...

غير معقول...

حمداً لله على سلامتك يا جاسر...

سلمك الله...

يطأطئ رأسه إلى الأرض...

أرأيت ما حلّ بي...

كدت أُصاب بالجنون عندما وصلني النبأ... وسعيت بكل جهدي حتى وصلت إليك...

يجب أن نفترق.

تصاب بصدمة عنيفة... تشهق.

ماذا؟!

اعذريني لهذا القرار... فالطريق الذي سلكناه غير صحيح... وأبي لم يوافق لظروف خاصة... وما كان ينبغي أن نلتقي ونتحدث في خلوة حرّمها الله تعالى... وعندما أصبت كنت قادماً لرؤيتك... ولعل الله أراد لي الخير في ذلك... لقد زيّن لنا الشيطان... حتى أنسانا ذكر الله وإنني لمتألم جداً على وعودي لك بالزواج... وأنت ما كان ينبغي لك أن تتجولي في الأسواق وحدك وتجتمعي مع الرجال دون محرم... أكرر اعتذاري وأرجو أن تتقبلي ذلك.

ولكن...

أرجوك... ليكن هذا آخر لقاء بيننا.

وتمسح دموعها وتولي ظهرها وتخرج دون وداع... بينما يرفع جاسر أكف الضراعة...

يا رب اغفر لي... يا رب... ■

وتلك الأيام نداولها ...

بقلم : عبدالستار خليف

اذكر أن جدتي - يرحمها الله - كانت دوماً تحكي لي حكاية واحدة، كان ذلك في الزمان الطيب البعيد، ولم أكن وقتها أدرك المغزى الحقيقي من وراء ترديد الحكاية نفسها على مسامعي، كنت صغيراً، استريح وأتسلى وأنا أقضي وقت المساء في سماع حكاية جدتي... حتى أنام.

الحكاية نامت معي في حفائر الذكريات. استقرت لسنوات هادئة، ساكنة، لا تتحرك، وماتت جدتي الغالية... ولكن الحكاية ظلت باقية، لم تمت، وأصبح أبي جداً عندما أنجبت - أنا - ولدي الأول، وبدأ ينمو ويكبر... حتى شب عن الطوق. وكان الجد يحكي لحفيده الحكاية التي كنت أنا بدوري اسمعها من جدتي، كأنما كان ينقل - عن ظهر قلب - ويواصل الحكمة نفسها التي رغبت جدتي في أن نظل نحن - الأبناء والأحفاد - نحفظها عن ظهر قلب... نحفظها في قلوبنا اليابسة، لأنها - أي جدتي - كانت تتشوف الزمان المقبل، بأنه زمان غادر وخؤون، وأن علينا أن نعي الدرس جيداً، حتى لا تتكرر هذه الحكايا وتتسلل من زمن الأجداد إلى الأبناء والأحفاد.

أرادت زوجة الابن أن تطرد «حميها» من البيت، هذا الرجل العجوز، الذي يحتاج إلى رعاية أكثر، وأصبح يمثل عبئاً ثقيلاً على كاهلها في المأكل والملبس والنظافة وإعداد الفراش للنوم والكرسي الكبير لجلوسه في دفء الشمس...

فكرت الزوجة اللئيمة، ماذا تفعل مع هذا الجد العجوز الذي أصبح مزعجاً ولا يتوقف عن الانتقادات والشكوى لأتفه الأمور، وإن كانت هذه عادة كبار السن، ويجب أن نعاملهم بمودة وحنان ونلبي طلباتهم الزائدة والمتكررة، دون احتجاج أو تبرم، لكن الزوجة قليلة الصبر والحكمة، فكرت في حيلة حتى يرحل «حموها» عن البيت ويتركها تعيش في سلام - حسب تفكيرها - مع زوجها وأولادها....

وماذا فعلت يا جدتي؟

قالت الجدة: ذهبت المرأة إلى النجار وطلبت إليه أن يصنع لها طبقاً كبيراً وثقيلاً من الخشب وملعقة وكوباً أيضاً، طبقاً خشناً والملعقة كذلك والكوب ثقيل... وبعد أيام أتم النجار مهمته وجهّز لها ما طلبت وأعطته أجرته وحملت الطبق الكبير والملعقة والكوب الثقيل إلى البيت، وانتظرت حتى جاءت الفرصة المناسبة، واجتمعت الأسرة كلها على مائدة الطعام، وكل فرد أمامه طبقه وطعامه، وإذا بالزوجة تفاجئ الجميع بوضع طعام الجد في طبق الخشب الخشن الثقيل ومعه الملعقة والكوب، وضعت كل هذه الأدوات أمام الجد العجوز الذي كظم غيظه وظل صامتاً ينظر إلى هذه الأشياء في حيرة، وجالت عيناه الكليلتان على كل أطباق المائدة من الصيني المزخرف الناعم اللامع الذي يفتح الشهية للأكل، واستقر نظره أخيراً على الأدوات الخشبية التي أمامه. امتنع عن تناول الطعام، تركه وانصرف بهدوء... خارج البيت... وتلفت الزوج حوله في حيرة، يود أن ينطق، ولكنه لا يود أن يفسد اجتماع الأسرة حول المائدة، لكن الحفيد الصغير، نظر إلى كل أطباق المائدة وسأل الأم في حيرة: لماذا جدي يأكل في طبق من الخشب؟!

صمتت ولم تجب، وعندما كرر الصغير السؤال، شعر الأب بالخجل وأجاب: لأن جدك أصبح عجوزاً، لا يستطيع المحافظة على طبقه الصيني وربما ينكسر إذا استعمله وبخاصة عندما تهتز يداه، لقد أصبح غير قادر على حمل أي شيء، فهذا الطبق من الخشب متين عندما يسقط على الأرض لا ينكسر، وهو خير إناء يأكل فيه.

عقب الصغير ببراءة:

وأنت يا أبي، عندما ستكبر وتصبح عجوزاً مثل جدي، سأصنع لك طبقاً من الخشب تأكل فيه، حتى لا تسقط منك الأطباق الصيني على الأرض وتنكسر.

لم يعقب الأب، وتبادل النظرات الجامدة مع الزوجة التي انهمكت في الأكل مرة ثانية وكأنها لا تسمع أو تهتم أو تتابع الحديث الدائر على المائدة... ■

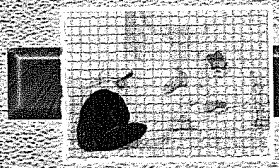

بقلم: محمد سلامة جبر

نحو أسرة مسلمة 2

فضل النكاح والترغيب فيه

نقدم بيان مكانة الزواج في الإسلام، وأنه رفعه بفضل الله إلى أعلى مقام، وجعله سبباً لسعة الرزق إن اتقى الله الزوجان.

واليوم أذكر إن شاء الله بعض ما جاء في القرآن والسنة مما يؤكد تلك الحقيقة التي بينتها، ويوضح أجرها ومثوبتها.

وقد مدح الله أولياءه المقربين لأنهم توجهوا إليه في دعائهم بأن يقر أعينهم بزوجاتهم وذرياتهم فقال سبحانه في مدحهم: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) الفرقان:٧٤.

ومنَّ سبحانه على رسله بأن جعل لهم أزواجاً وذرية، فقال تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الرعد:٣٨.

وقال رسول الله ﷺ : «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه» رواه الحاكم وصححه.

وسر هذا الحديث، أن المرأة خلقت أصلاً من ضلع الرجل كما جاء في السنة الصحيحة في شأن آدم وحواء عليهما السلام، ولهذا قال رسول الله ﷺ كما جاء في صحيح البخاري: «إنما النساء شقائق الرجال»

وعلى ذلك فالمرأة هي النصف الثاني للرجل، تكمل رجولته، ويحقق هو أنوثتها، فإن تحقق كمال الرجل بعودة أنثاه التي اقتطعت منه إليه، أحس بالسكينة والاطمئنان، وأحست زوجه بالسعادة والأمان، فإن كانا صالحين، أعان أحدهما الآخر على مشقات الحياة، وتأدية الرسالة التي من أجلها خلقهما الله.

ولم يكن الفقر حائلاً في المجتمع المسلم بين الشاب والزواج أبداً، فكل من بلغ سن الزواج سعى إليه وحققه، ولم يكن يجد من الفتاة أو من أبيها إلا السؤال عن دينه وخلقه، أما ماذا يملك؟ وما مؤهلاته وعمله؟ وما المهر الذي يستطيع دفعه؟ كل هذا لم يكن من السؤال، ولا خطر لهم ببال.

الزواج «سكن» للرجل والمرأة على السواء والسكن يعني «الطمأنينة والهدوء والاستقرار»

واقرؤوا القصة التالية المليئة بالعبر والعظات، وفيها كل خير لو اقتدى بها جميع البشر، ولما كان هناك مشكلات.

فقد روى الإمام أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي أحد أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان قد انقطع إليه يخدمه ويبيت عنده ليخدمه ليلاً إن احتاج إليه، فقال له رسول الله ﷺ :

«ألا تتزوج؟» فقال: يا رسول الله، إني فقير لا شيء لي، وانقطع عن خدمتك، فسكت رسول الله ﷺ ، ثم عاد ثانياً ليقول له: «ألا تتزوج؟»، فأعاد ربيعة الجواب، ثم تفكر وقال: «والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحني في دنياي وأخراي، وما يقربني إلى الله مني، ولئن قال لي الثالثة لأفعلن».

فقال له الثالثة: «ألا تتزوج؟».

قال ربيعة : فقلت : يا رسول الله زوجني.

قال: «اذهب إلى بني فلان، فقل إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجني فتاتكم» قال: فقلت : يا رسول الله لا شيء لي.

فقال لأصحابه: «اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب».

فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه. فقال له رسول الله ﷺ : «أولم» أي: قدم طعاماً وليمة لعرسك «فجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة». انتهى

قلت: فماذا تقول فتيات اليوم؟، وما يقول الفتيان؟ إنهم على أغلب الظن يهزون رؤوسهم سخرية من هذه القصة وصاحبها، ويستبيحون لأنفسهم أن يتمتع أحدهم بالآخر دون زواج، ويغرر الجنس القوي بالجنس الضعيف، فيفسدهن على وعد كاذب بالزواج. أفهذا خير لكم أيها الناس؟ أم شرع ربكم وسنة نبيكم خير لكم حين تيسرون على الراغبين في الزواج من الناس، (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة:٥٠.

«من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه»

قلت: الزواج من أجلّ نعم الله على عباده بعد هدايتهم إلى الإيمان به سبحانه، ويخطئ من يظن أن رغبة الرجل في امرأة يسكن إليها ورغبة المرأة في رجل تطمئن إليه وتعيش في كنفه، يخطئ من يظن أن هذه الرغبة الكامنة في الجنسين وصف بهيمي، وإحساس دنيء، ولكنها على الحقيقة صفة من صفات الكمال البشري، ورغبة لم ينزه الله عنها أي نبي أو ولي!

وقد مدح الله أولياءه المقربين لأنهم توجهوا إليه بالدعاء أن يقر أعينهم بزوجاتهم وذرياتهم، فقال سبحانه وتعالى في وصف عباده الصالحين:

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) الفرقان:٧٤.

ومَنَّ سبحانه على رسله بأن جعل لهم أزواجاً وذرية فقال تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) الرعد:٣٨.

وقال رسول الله ﷺ: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه» رواه الحاكم وصححه.

النساء شقائق الرجال وسرّ هذا الحديث أن المرأة خلقت أصلاً من ضلع الرجل كما جاء في السنة الصحيحة.

الزواج من صفات الكمال

تقدم أن الزواج «سكن» للرجل والمرأة على السواء والسكن يعني «الطمأنينة والهدوء والاستقرار» فالرجل لن يجد هدوء نفسه، وسكينة قلبه، واطمئنان روحه، إلا في الزوجة الصالحة، التي تكون له خير معين على تكميل دينه، وتعمير دنياه، والعمل لأخراه.

قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم:٢١.

فهذا الختام المعجز، فيه إشارة إلى ما في الزواج من أسرار إلهية خفية، وحقائق كونية علية، وفضائل اجتماعية غنية، لأن المراد بلفظ «الآيات» هو: البراهين الجلية، والأدلة القوية، على عظيم قدرة الله، وجليل حكمته، وجلال ربوبيته، حين تفرد وحده بكمال الأحدية، وتنزه سبحانه عن لواحق البشرية، وتعالى عن الصاحبة والزوجة.

(وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) الجن:٣.

وهذه الآيات الباهرات، اللاتي اشتملت عليها حقيقة الزوجية والأزواج، إنما تنكشف «لقوم يتفكرون» كما نصت على ذلك الآية الكريمة التي تقدم ذكرها، فمن تفكر علم، ومن تعلم نجا بإذن الله وسلم، ولذلك كان من أمر الله ورسوله ﷺ: (وقل رب زدني علماً) طه:١١٤. ■

من تكريم الإسلام للمرأة

مراعاة مشاعرها

قال الله تعالى: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون) البقرة:٢٢٩.

هذه الآية الكريمة تكشف عن مدى ما كرَّم به الإسلام المرأة:

١ ـ بيَّن الله تعالى في هذه الآية أن من جملة الإحسان إلى الزوجة أنه إذا طلقها زوجها فإنه لا يأخذ شيئاً مما أعطاها من المهر والثياب وسائر ما أهداها، وذلك لأنه ملك بُضعها، واستمتع بها في مقابل ما أعطاها، فلا يجوز أن يأخذ منها شيئاً. ويدخل في هذا النهي أن يضيّق عليها ليلجئها إلى الافتداء، كما قال في سورة النساء: (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) النساء:١٩.

٢ ـ روي أن هذه الآية نزلت في جميلة بنت عبدالله بن أُبي، وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس، وكانت تبغضه أشد البغض، وكان يحبها أشد الحب، فأتت رسول الله ﷺ، وقالت: فرّق بيني وبينه فإني أبغضه، ولقد رفعتُ طرف الخباء فرأيته يجيء في أقوام، فكان أقصرهم قامة، وأقبحهم وجهاً، وأشدهم سواداً، وإني أكره الكفر بعد الإسلام، فقال ثابت: يا رسول الله مُرْها فلترد عليَّ الحديقة التي أعطيتها، فقال لها: ما تقولين؟ قالت: نعم وأزيده. فقال ﷺ: «لا. حديقته فقط»، ثم قال لثابت: خذ منها ما أعطيتها وخلِّ سبيلها.

ففعل. فكان ذلك أول خلع في الإسلام. (في سنن أبي داود أن المرأة كانت حفصة بنت سهل الأنصارية).

وهذا الحديث يشير إلى مراعاة الرسول مشاعر المرأة وأحاسيسها التي قد تدفعها إلى ألا تقيم حدود الله.

٣ ـ يقول القرطبي: «المرأة تخاف على نفسها من عصيان الله في أمر الزوج، وهو يخاف أنها إذا لم تطعه فإنه يضربها ويشتمها، وربما زاد على قدر الواجب فكان الخوف حاصلاً لهما جميعاً، فقد يكون ذلك السبب منها لأمر يتعلق بالزوج، ويجوز أن تكره مصاحبة ذلك الزوج لفقره، أو لقبح وجهه، أو لمرض منفِّر منه، وعلى هذا التقدير تكون المرأة خائفة من معصية الله في ألا تطيع الزوج، ويكون الزوج خائفاً من معصية الله تعالى من أن يقع منه تقصير في بعض حقوقها».

وهذا يشير إلى حرص الإسلام على المرأة ومراعاته لها.

رشيد العويد

بقلم: رابعة بركات

الغيرة عند الأطفال

كثيراً ما يعاني الآباء والأمهات من تأجج نار الغيرة عند الأطفال، ووصولها إلى حالات مرضية تسبب إزعاجاً مستمراً لهم، وقلقاً دائماً، ويبدؤون بالبحث عن حلول مرضية، وعلاجات نافعة، تخفف آلامهم، وتحد من معاناتهم، وتأخذ بأيديهم إلى أسباب هذه الغيرة ودواعيها.

والغيرة أمر معروف لدى الناس جميعاً، وقد درسها علماء النفس دراسة معمقة، ولا تقتصر - كما هو معلوم - على الأطفال، إذ إنها ظاهرة ارتبطت على مدى العصور والأيام بالنساء، حتى أضحت إحدى سماتهن الأساسية، كما أن الرجال لا يخلون من هذه السمة أيضاً، لكن مظاهرها عندهم أقل مما لدى النساء.

والغيرة شعور وجداني فطري يتدرج، مع مرور الزمن وتحول حياة الإنسان، ليأخذ أشكالاً ومظاهر مختلفة، وتظهر الغيرة بأعراضها الواضحة منذ نعومة الأظافر، عندما يغار الطفل من شقيقه الوافد الجديد الذي يظهر في حياة الأسرة ويأخذ الاهتمام الوافر والعناية البالغة.

والغيرة أيضاً تُلمس لدى الحيوانات وإن كانت مظاهرها وممارستها تختلف باختلاف التركيب البنيوي.

مظهر انفعالي:

ويعرف علماء النفس الغيرة بأنها «مظهر انفعالي يوضح مدى الحساسية التي يكون عليها الطفل في مراحل تكونه الأولى من حيث علاقته العاطفية بوالديه» وتعرف أيضاً بأنها «استجابة انفعالية معروفة اجتماعياً، وهي خليط من الغضب والخوف والحب»، في حين يرى آخرون أنها «الشعور المؤلم الذي ينتج عن خيبة الشخص في الحصول على أمر مرغوب ونجاح شخص آخر في الحصول عليه مما يجرح ويحط من عزة النفس».

وتبدو الغيرة بوضوح في المناسبات التي يتهدد فيها الطفل من منافس في هذه العلاقة، أو يزعزع مكانته منها، كما يحدث مثلاً عند دخول طفل زائر يستحوذ على انتباه الوالدين أو أحدهما، أو عند تفعيل الوالدين لأحد الأقارب وتقديم الهدايا له، أو عند وجود شقيق أكبر يتمتع بامتيازات خاصة من الوالدين، أو عند تفضيل المربية في روضة الأطفال أحد أنداده عليه بشكل لافت دون تقديم أي هدية أو إطراء له.

والتصرف الذي يسلكه الطفل الذي يتعرض لهذه الحالات هو ما يسمى بـ«العدوان على مصدر الغيرة» أو ذلك الدخيل المغتصب، والانتقام منه بصورة فجائية وسريعة، وذلك بمحاولة إبعاده عن هذه المكانة التي يحظى بها، والسعي إلى أن يحصل هو على ذلك التقدير أو الهداية أو الإطراء.

بين الزائر والمقيم

ثمة حالتان يتصرف فيهما الطفل بغيرة شديدة إحداهما أن يكون ذلك الطفل الذي حظي بالتكريم من داخل الأسرة، كوافد جديد ولد بعد طول انتظار، أو من شقيق تقدم له مميزات كثيرة، ويفضل على باقي إخوته وفي هذه الحال فإن مظاهر الغيرة تأخذ حداً عدوانياً، يصل إلى حد استخدام العض والضرب وإتلاف اللعب والأملاك، وقد يصل هذا العدوان إلى درجة أكبر خطورة في غياب الوالدين. أما إذا كان هذا الدخيل زائراً، وأخذته الأم مثلاً، أو ضعته في حضنها، فإن الطفل في هذه الحال قد يحاول إبعاده بشتى الوسائل، كأن يجذبه أو يحاول مزاحمته، أو يبكي طالباً استبعاده.

أسباب الغيرة

يذكر علماء النفس أسباباً كثيرة للغيرة منها:

١ ـ قدوم مولود جديد: ففي هذه الحال تزداد الغيرة لدى الطفل عند استقبال الأسرة مولوداً جديداً، لأنه سيحظى باهتمام ورعاية شديدين، وسيكون محط أنظار الجميع، لكن هذه الغيرة قد تنعدم لدى أطفال كثيرين حيث يرون في الوافد الجديد شيئاً جديداً يدخل السعادة والفرح إلى نفوسهم فتراهم فرحين بقدومه يحاولون بشتى الوسائل الاقتراب منه والإمساك بأعضائه ووصف ما يقوم به من حركات.

٢ ـ الأنانية: تلعب الأنانية دوراً سلبياً في حياة الطفل، وتظهر آثارها واضحة على سلوكه وتصرفاته، ومن ذلك أن الغيرة لدى الطفل قد تكون ناتجة عن أنانيته التي اكتسبها عبر تربية خاطئة ودلال زائد وحنان يفوق الحد المطلوب.

٣ ـ العطف على الأشقاء: يتأثر كثير من الأطفال عندما يمنح الأبوان أهمية كبيرة لأحد الأشقاء وينسيان أشقاءه الآخرين، وقد يكون اهتمام الأبوين ناتجاً عن حال خاصة يعانيها الشقيق المدلل، لكن هذا الأمر يترك انطباعاً بالغيرة لدى أشقائه، ونظرة تحمل الحقد والغضب عليه، ورغبة الانتقام منه في أي فرصة.

٤ ـ نزاع الأسرة: يعتبر النزاع داخل الأسر أحد الأسباب الأساسية لتحطمها وانتشار السلوكيات السلبية فيها، ومن هذه الأخطار الناجمة عن الشقاق غيرة الأطفال، إذ ينعكس ما يشاهده الطفل من نزاع داخل الأسرة سلبياً على حياته، بسبب تفضيل الأم ابناً يشبهها على أخيه الذي يشبه والده مثلاً.

«النكوص» وتصرف الأبوين:

قد تتخذ الغيرة مظهراً آخر غير المظهر العدواني في حال تم ردع عدوان الطفل على أخيه الأصغر، أو إذا عوقب بشدة على سلوكه العدواني، وغالباً ما يكون هذا المظهر نكوصياً، أي سلوكاً يعود بالطفل إلى حالة سابقة، كأن يلجأ إلى مص الأصابع، أو التبول اللاإرادي بعد أن يكون قد ضبط عملية التبول، أو الحبو بعد أن يكون قد تعلم المشي، كأنما يتخذ الطفل من غريمه نموذجاً يحتذى في الحصول على اهتمام الوالدين.

على أن الأبوين لا يتقبلان غالباً مثل هذه الأساليب من الطفل، بل ينددان بها ويسخران منه ويحقران من شأنه، وقد يعاقبانه إذا لم يقلع عن مثل هذه الأساليب، فإذا ما استمر الموقف على هذا النحو، واشتد بالطفل قلقه على مركزه عند أبويه، ولم يجد ما يعوضه عن ذلك فقد تتحول الغيرة إلى أساليب استعطافية أشد خطورة كالقيء والاضطرابات المعوية أو العزوف عن الطعام والضمور وفقدان الوزن.

وهذه الحالة المتطورة تمثل نسبة ضئيلة من حالات الغيرة عند الأطفال، وعندما تصل الغيرة إلى هذا الحد فإن على الأبوين أن يتخذا إجراء سريعاً لعلاج حال الطفل.

تزداد الغيرة في حالات الأسر الصغيرة التي يتركز الاهتمام فيها بالطفل من ناحية الأبوين فقط في حين تقل في الأسر الكبيرة التي يجد فيها الطفل من يعوضه عن اهتمام الأبوين، من أخوال وأعمام وإخوة كبار.

كما تزداد لدى البنات عندما يجدن اهتمام المجتمع منصبّاً على الذكور، وأن التوجه العام هو إيلاء الذكور عناية بالغة وترك البنات على هامش الأمور، وإشعارهن أنهن الأضعف والأقل مكانة.

علاج الغيرة:

ثمة أمور معينة يجب على الأبوين الانتباه لها والتركيز عليها عند تربية الأطفال لئلا تأخذ مظاهر الغيرة لديهم منحى سلوكياً منها:

١ ـ إشراك الطفل في الاهتمام بالمولود الجديد حسب قدرته وإمكاناته.

٢ ـ عدم إيلاء أحد الأطفال عناية فائقة واهتماماً شديداً على حساب إخوته.

٣ ـ إشعار البنات بأهميتهن ومكانتهن، ومساواتهن بالذكور في كل الحالات.

٤ ـ عدم الاهتمام الزائد بطفل ما أمام إخوته، ولا سيما إذا كان مريضاً، ومحاولة عمل هذا التصرف بعيداً عن الأعين.

٥ ـ بث روح التفاهم والمحبة لدى أفراد الأسرة، وحضّهم على التعاون والاحترام. ■

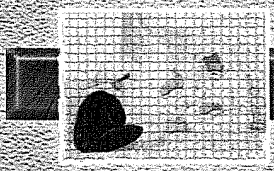

بقلم: محمد رشيد العويد

صحتك وجمالك في إسلامك

لماذا تنجو المسلمات من عروق الدوالي؟

تقول خبيرة التجميل الإنكليزية «مرغريت سميث»: إن عروق الدوالي من أشد أعداء المرأة، وأكثرها عناداً وإساءة، ذلك أن من الصعب إخفاء الدوالي، بينما يمكن لها أن تخفي أنها تحمل ثدياً صناعياً، أو أنها استأصلت الثدي أساساً، ويمكن أن تخفي أكثر العيوب... إلا أن الدوالي تظل مستعصية ومصدر قلق كبير.

والسؤال: هل تشعر المرأة المسلمة بهذا القلق لو كانت مصابة بعروق الدوالي؟ ألا يوفر لها حجابها الساتر طمأنينة نفسية؟ ألا ينجيها من ذاك القلق الذي تشعر به تلك التي تكشف عن ساقيها؟!

ليس هذا فحسب، بل هناك سؤال آخر: ما أسباب الإصابة بعروق الدوالي؟ ألا يبعدها التزامها بإسلامها عن كثير من هذه الأسباب؟

تعالوا نقرأ كلام الأطباء في شرح هذا المرض وأسبابه:

الدوالي عروق منتفخة أو متورمة تكون ظاهرة خلف بطة الساق، أو في الجانب الداخلي من الساقين، ويمكن أن تظهر الدوالي في مواقع أخرى من الجسم.

واللافت للنظر أن النساء معرضات للإصابة بالدوالي أكثر بثلاثة أضعاف من الرجال ويحدث هذا العارض المرضي نتيجة تلف في صمامات العروق ما يتيح للدم أن ينساب عكسياً في اتجاه أسفل الساق مسبباً تورم تلك العروق وانتفاخها، علماً أن الشرايين تحمل الدم من القلب إلى أطراف الجسم حتى آخر الأطراف، ولكن الدم يعود في أقنية تعرف بالعروق، أي أن الدم في العروق يجب أن يندفع من أسفل القدم إلى أعلى رجوعاً إلى حيث يتم تنظيفه من الرواسب، ثم إلى القلب ليعيد ضخه في الشرايين مرة أخرى، وحين تتلف الصمامات في العروق يمكن أن يندفع الدم عكسياً أي من الأعلى إلى أسفل الساق، وتحدث الدوالي وبذلك تتورم العروق في الساقين.

وهناك نوعان أو نظامان من العروق في الساق: منها العميقة التي تمتد بين العضلات وتحمل الجزء الأكبر من الدم، والسطحية التي يمكن أن تُرى بالعين المجردة خطوطاً زرقاً تحت الجلد مباشرة.

وحين يصل الدم في الشرايين إلى أسفل الساق ليعود إلى القلب ثانية، تقوم عضلات بطة الساق بدور المضخة لتدفع الدم في العروق صعوداً إلى الأعلى، عبر صمامات تفتح وتغلق لتمنع رجوع الدم بفعل الجاذبية الأرضية، ولكن، حين تصاب تلك الصمامات بالارتخاء أو العطب، لأي سبب يبدأ الدم بالرجوع عكسياً والتجمع، وتكون النتيجة تورم تلك العروق وبروزها أيضاً، وإذا تُلف صمام واحد من مئات الصمامات، يزداد العبء على الصمامات الأخرى، وهكذا تزداد الحالة سوءا.(١)

والآن، من هم أكثر الناس عرضة للإصابة؟

الأطباء يقولون: إن الذين يتطلب عملهم الوقوف طويلاً مع قلة الحركة، وانعدام الفرصة للمشي، هم أكثر الناس عرضة للإصابة بعروق الدوالي.

وهم ينصحون الناس للوقاية من هذه الإصابة بما يلي:

١ ـ التخلص من الوزن الزائد لأنه يسبب ضغطاً كبيراً على الساقين.

٢ ـ الإقلاع عن التدخين لأن النيكوتين يبطئ تدفق الدم، بينما يبطئ غاز أول أكسيد الكربون عملية تزود الجلد بالأكسجين.

٣ ـ تجنب الوقوف على القدمين فترة طويلة من الوقت.

٤ ـ ممارسة المشي بانتظام يساعد على الوقاية ويساعد المصابين على تخفيف الأعراض.

٥ ـ عدم الجلوس واضعة رجلاً على رجل، لأن هذا الجلوس يلحق ضرراً كبيراً بحدِّه من تدفق الدم في العروق والشرايين، وإذا اضطررت إلى أن تجلسي كذلك فيجب أن تهزي رجليك بين الحين والآخر.

٦ ـ لا تلبسي الأحذية الضيقة وتجنبي الكعب العالي.(٢)

ولو تأملنا في هذه النصائح الست لوجدنا المسلمين الملتزمين يأخذون بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

فالتخلص من الوزن الزائد يتحقق بكثرة الصيام، وبالإقلال من الطعام، كما هو في كثير من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم.

والإقلاع عن التدخين هو ما يلتزمه كل مسلم أخذ بتحريم علماء الأمة لتدخين التبغ.

وتجنب الوقوف فترة طويلة تنجو منه ربة البيت الدائبة الحركة في بيتها، بينما تتعرض له كثيرات من العاملات اللواتي يُطلن الوقوف في عملهن.

وممارسة المشي التي يقوم بها المسلم الذي يحث الخطا إلى المساجد، والمسلمة التي تؤدي صلواتها الخمس فتمارس رياضة لاتقل فائدة عن المشي.

وعدم وضع رجل فوق رجل مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه إعجاز نبوي عظيم.

وتجنب الكعب العالي الذي ابتليت به المرأة المعاصرة ما حرّمه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله.

وهكذا تقل إصابات المسلمين، من رجال ونساء بدوالي الساقين، بالتزامهم بإسلامهم وما يدعو إليه وانتهائهم عما ينهى عنه. ■

بقلم : د. مجدي يوسف أمين

أمرنا الله بالتفكير في الكون وإعمال العقل فيه وتدبر خلق الله وأوامره، قال تعالى: (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) النحل:١٢، وقال تعالى: (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً. ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) الفرقان:٤٥،٤٦، إن تلك الآيات قد تضمنت إشارات علمية ربطت ربطاً جازماً بين ظاهرة الظل والشمس بحيث أصبحت الشمس دليلاً على الظل والظل دليلاً على الشمس.

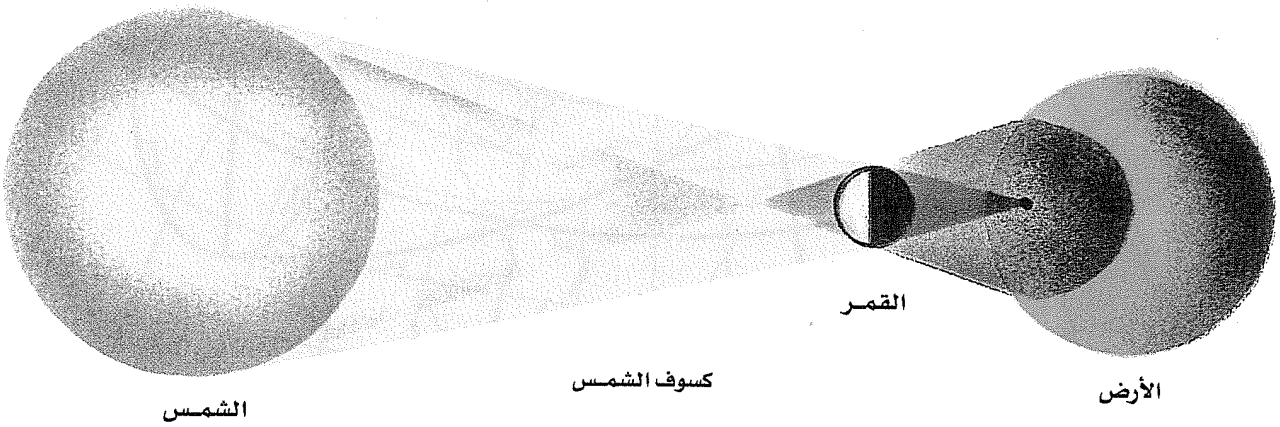

كسوف الشمس

وظاهرة الظل ظاهرة طبيعية تحدث عند وقوع أي جسم معتم في مجال مصدر مضيء، ونوع يعتمد على نوع المصدر الضوئي كالتالي:

١ ـ إذا كان المصدر نقطة: ستكون حدود الظل حادة وواضحة ولا يرى المصدر من داخله. وتصغر زاوية انفراج الظل عن المصدر كلما ابتعد المصدر عن الجسم المعتم، وتصبح حدود الظل متوازية إذا كان بعد المصدر لانهائي.

٢ ـ إذا كان المصدر مجسماً: ستحيط بالظل منطقة أقل إعتاماً منها تسمى شبة الظل يقل إعتامها تدريجياً في اتجاه عكس الظل إلى أن يتلاشى الإعتام كلياً. ويرى جزء من المصدر الضوئي من خلال هذه المنطقة.

وشكل الظل وشبه الظل يحدده الجسم المعتم. فظل الأرض والقمر في الفضاء عبارة عن مخروط والسبب في ذلك الشكل الكروي للأرض. لذا يحدث الكسوف عند دخول أي جزء من الأرض في ظل القمر.

إن ظاهرة الكسوف من الظواهر الفلكية المثيرة للفت الانتباه والتساؤل على مر العصور نظراً لما يطرأ على ضوء الشمس من خفوت أو اضمحلال بالكلية. وقد سجل المصريون والصينيون والآشوريون وغيرهم هذه الظاهرة منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة، واهتم المسلمون بالظاهرة للتعبد المأمورون به كما ورد في حديث كسوف الشمس «إن الشمس والقمر آيتين...»، وكانت لهم سجلاتهم ودراساتهم وتوقعاتهم بالمواعيد، بل كان بعض العلماء منهم ينتقل للأماكن الأفضل للرصد. وفي العصر الحديث مازال الاهتمام بالظاهرة كبيراً، وهناك الكثير من الدراسات التي تتم في أثناء الكسوف لدراسة أثر النسبية العامة والهالة الشمسية وحركة القمر وغيرها.

وفي هذا الكون مئات الملايين من المجرات التي تحتوي على مئات البلايين من النجوم، وفي إحدى هذه المجرات وهي مجرة درب التبانة توجد شمسنا والتي تدور حول مركز هذه المجرة مرة كل ٢٢٥ سنة بسرعة قدرها ٢٥٠كم/ث، وحول الشمس تدور تسعة كواكب معروفة منها الأرض التي نحيا عليها والتي تدور حول الشمس مرة كل ثلاثمئة وخمسة وستين يوماً وربع اليوم، بمعدل درجة واحدة في اليوم بالنسبة للنجوم، في مدار بيضاوي من الغرب إلى الشرق يسمى مدار البروج، بسرعة قدرها ٣٠كم/ث؟ حيث تبلغ المسافة المتوسطة بين الأرض والشمس ١٥٠ مليون كم. وحول الأرض

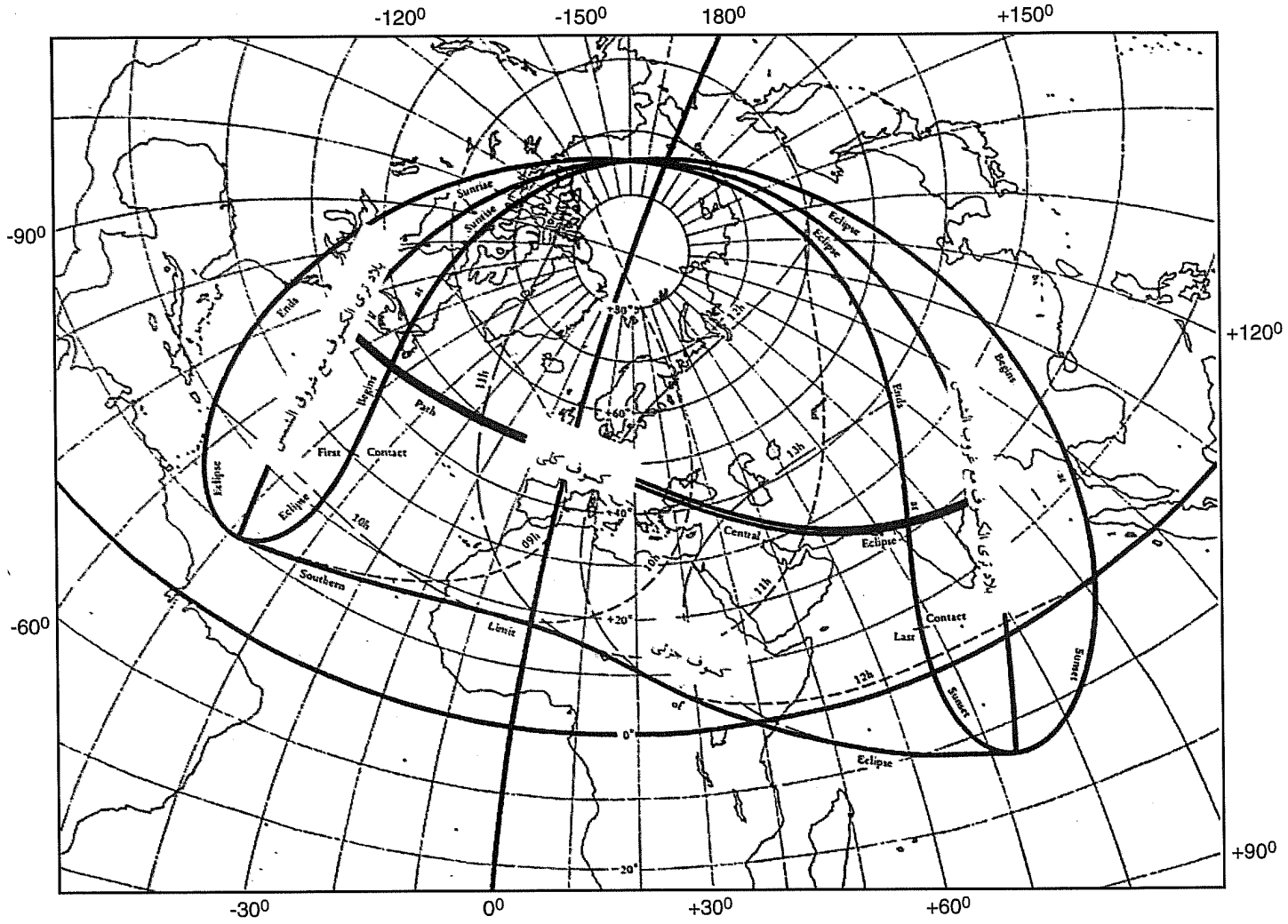

● حركة كسوف الشمس في الحادي عشر من شهر أغسطس ١٩٩٩

يدور القمر – من على بعد ٣٨٤٠٠ كم مرة – كل ٢٧,٣٢ يوماً، بمعدل ١٣ درجة في اليوم بالنسبة للنجوم. أي أن الحركة النسبية بين الشمس والقمر تساوي ١٢ درجة في اليوم، ويميل مدار القمر على مدار الأرض «دائرة البروج» بزاوية مقدارها ٥,١٥ درجة، ويتقاطع معها في نقطتين تسميا عقدتي الصعود والهبوط.

يتحرك القمر في النقطة الأولى صاعداً من جنوب دائرة البروج إلى الشمال، وفي الثانية يتحرك هابطاً من الشمال إلى الجنوب. يعبر القمر كلا العقدتين ١٢ مرة في السنة وتعبرهما الشمس مرة واحدة فقط، أي يمكن القول إن الاثنين يجتمعان مرتين في سنة واحدة عند العقد نفسه أو قريب منها فيحصل كسوف للشمس ويكون القمر عندها محاقاً.

والخط الواصل بين عقدتي الصعود والهبوط يسمى خط العقد، هذا يعني لكي يحدث كسوف لابد من وقوع الشمس والأرض والقمر على استقامة واحدة تقريباً، أي على خط العقد أو قريباً منه. هذا الخط يتحرك أيضاً ببطء باتجاه الغرب نتيجة لحركة العقدتين ويتم دورة كاملة في ١٨,٦ سنة شمسية، وظاهرة الحركة هذه تسمى ارتداد العقد، ويتضح مما سبق أن السبب في عدم تكرار الكسوف مع نهاية كل شهر قمري (أي عندما يكون القمر محاقاً) يرجع إلى ميل مدار القمر بالنسبة لدائرة البروج، وهذا يعني أن القمر إما أن يكون شمالاً أو جنوب دائرة البروج، وبالتالي لا يصل ظله أو امتداده إلى الأرض إلا عندما يكون القمر عند إحدى العقدتين أو بالقرب منهما. وهذا البعد الزاوي يتراوح بين ١٥,٤ و ١٨,٤ درجة، وحيث إن الشمس تتحرك ظاهرياً ٣٦ درجة في ٣٦ يوماً وخلال هذه الفترة سيكون القمر محاقاً مرة أو مرتين وبالتالي يحصل كسوف مرة أو مرتين، وتسمى هذه الفترة بفصل الكسوف. ويوجد كذلك فترة ثانية بعد ستة أشهر عندما تكون الشمس والقمر قريباً من العقد نفسه. إذاً في سنة واحدة هناك فصلان للكسوف كل منهما ٣٦ يوماً تقريباً. وبما أن خط العقد يتم دورة كاملة كل ١٨,٦ سنة شمسية أي بمعدل ١٩,٤ درجة في السنة، هذا يعني أن الشمس سترجع إلى العقد نفسه بعد ٣٤٦ يوماً، وتسمى هذه المدة سنة كسوفية، ويترتب على هذا أن فصل الكسوف سيبدأ مبكراً بـ ١٩,٤ يوماً ورجوع خط العقد إلى موقعه نفسه يعني رجوع الشمس والأرض والقمر إلى مواقعهم السابقة نفسها، وبالتالي تتكرر ظاهرة الكسوف وبالنمط نفسه، وهذا التكرار يسمى دورة ساروس وتساوي ١٨ سنة و ١١,٣ يوماً، بما أن دورة ساروس تتضمن ٠,٣ يوم، أي ٨ ساعات، فهذا يعني أن الظاهرة لن تشاهد من النقطة نفسها بل تشاهد من المناطق الواقعة ٨ ساعات غرباً والمنطقة نفسها كل ثلاث دورات.

ويحدث كسوف للشمس عند وقوع المشاهد في ظل القمر الذي يتكون من ثلاث مناطق: الظل وشبه الظل وامتداد الظل كما في شكل (١)، ومنظر الشمس يختلف في كل منطقة منها وعليه فإن نوع الكسوف يعتمد على موقع المشاهد في ظل القمر شكل (٢و٣)، وبما أن بعد سطح الأرض عن القمر يتراوح بين ٣٤٧٢٠٠كم و ٣٩٨٤٠٠ كم، وطول ظل القمر يتراوح بين

٣٦٤٨٠٠ كم و ٣٧٧٦٠٠ كم، فهناك احتمال أن يكون المشاهد في ظل القمر أو امتداد ظله. وأنواع الكسوف كالتالي:

١ ـ كسوف كلي: يشاهد من الأماكن التي تغطي بظل القمر، وهذه الأماكن تقع على شريط لا يتجاوز عرضه ٣٧٠كم، يمثل مسار طرف مخروط الظل على الأرض. وقد يستمر هذا الكسوف ٧,٥ دقائق كحد أقصى.

٢ ـ كسوف جزئي: من المناطق المجاورة لشريط الظل وهي المناطق الواقعة في شبه الظل تشاهد الشمس كاسفة جزئياً ودائرة شبه ظل القمر الواقعة على الأرض يتراوح نصف قطرها بين ٣٢٠٠ و ٤٨٠٠كم.

٣ ـ كسوف حلقي: يحدث إذا كان بعد القمر عن الأرض كبيراً بحيث ينتهي مخروط الظل قبل الوصول إلى سطح الأرض. ويرى قرص الشمس في هذه الحال كدائرة سوداء تحيط بها حلقة مضيئة هي الجزء الظاهر من قرص الشمس. والأماكن التي يمكن أن يرى منها الكسوف الحلقي تقع على شريط عرضه ٣٧٠كم، وترى الشمس كاسفة جزئياً من المناطق المجاورة لهذا الشريط.

سيحدث آخر كسوف للشمس في هذا القرن ـ إن شاء الله ـ يوم الأربعاء ١١ أغسطس ١٩٩٩م الموافق ٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، حسب تقويم أم القرى، يبدأ الكسوف من شمال المحيط الأطلسي، ويظهر ظله القاتم في شريط ضيق عبر الجانب الشرقي للكرة الأرضية، مروراً بالمملكة المتحدة وبلدان وسط أوروبا والشرق الأوسط وشبه القارة الهندية. والبلاد الإسلامية التي ستشاهد الكسوف الكلي سورية والعراق وإيران وتركيا. أما باقي البلدان العربية ستشاهد كسوفاً جزئياً تتراوح درجاته تبعاً للمسافة التي تفصل كل بلد عن مسار كسوف الشمس عبر الكرة الأرضية.

أما تفصيل سير الكسوف فهو كما يلي ـ إن شاء الله ـ : تدخل الأرض في ظل القمر شمال المحيط الأطلسي في مساحة عرضها ٤٩كم في الساعة التاسعة والنصف تقريباً بتوقيت تلك المنطقة دون أن يمسّ هذا الظل سطح الأرض لمدة ٤٠ دقيقة. ويحدث أول تقابل للظل مع سطح الأرض فوق جزر سكلى غرب إنكلترا الساعة العاشرة وعشر دقائق بتوقيت سكلى، حيث يسود ظلام كامل مساحة عرضها ١٠٣كم فوق سكلى لمدة دقيقتين. ثم يمر بعد ذلك الكسوف الكلي بكل من جزيرة كورنديل في جنوب إنكلترا ومدينة بلايموت. أما مدينة لندن وباريس ومناطق وادي الراين ستشهد كسوفاً جزئياً، ويحدث كسوف كلي في مدينة شوتغارت وميونيخ. ويبلغ الكسوف الكلي أكبر قيمة له قرب مركز الكرة الأرضية في التلال الجنوبية الوسطى لرومانيا

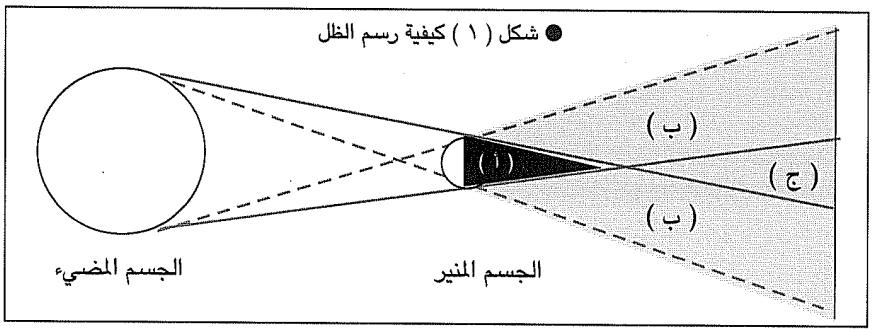

● شكل (١) كيفية رسم الظل

(أ) ظل الجسم – (ب) شبه الظل – (ج) مخروط امتداد الظل

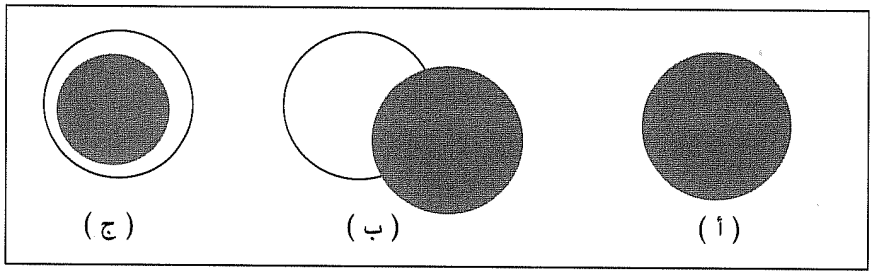

● شكل (٢) رؤية الجسم المضيء من (أ) ، (ب) ، (ج)

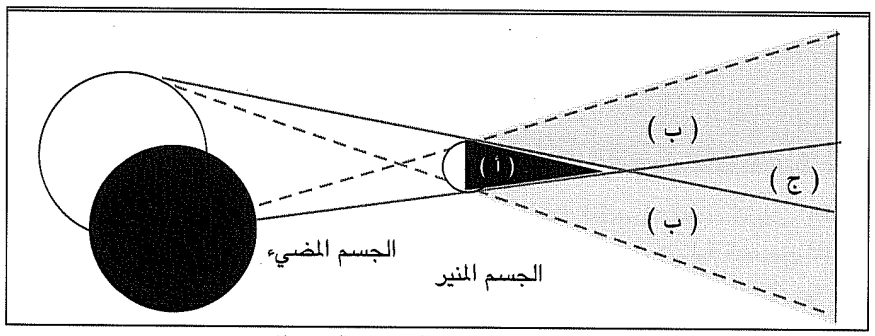

● شكل (٣) كيفية معرفة الرؤية من الجسم المضيء

حيث تبلغ مدته دقيقتان وثلاث عشرة ثانية بعرض ١١٢كم. ثم يتحرك بعد ذلك إلى بلغاريا باتجاه البحر الأسود ولن يعود إلى اليابسة إلا فوق تركيا في الساعة الحادية عشرة وإحدى وعشرين دقيقة بتوقيت غرينتش، حيث ستشهد أنقرة كسوفا جزئياً. وستشهد مدينة ديار بكر ومناطق الأكراد كسوفاً كلياً. ثم يتحرك الكسوف إلى سوريا وتشهد مدينة المالكين والرميلة كسوفاً كلياً، ثم يتحرك الكسوف إلى العراق في مدينة أربيل والسليمانية. أما مدينة الموصل فسيقسمها الكسوف الكلي إلى شطرين. ثم يتحرك الكسوف إلى إيران التي يظل فيها أكثر من نصف ساعة ينتقل من مدينة بختاريان وأصفهان إلى مناطق جبلية وصحراوية حتى يصل إلى بحر العرب ومنه إلى باكستان، حيث سيشاهد سكان كراتشي كسوفاً كلياً، ومن باكستان في الساعة الثانية عشر وثماني وعشرين دقيقة بتوقيت الهند إلى أن يصل الكسوف إلى الهند، وهي آخر بلدان مسيرة الكسوف، وسيشاهد سكان كلكتا كسوفاً جزئياً، ويودع الكسوف الأرض الساعة الثانية عشرة وست وثلاثون دقيقة بتوقيت غرينتش فوق خليج البنغال. ولن يرى سكان الكرة الأرضية الكسوف مرة أخرى إلا في العام ٢٠٠١ إن شاء الله.

ولمعرفة التوقيت المحلي لمناطق الكسوف نضيف قيمة خط عرض البلد بالساعات إلى زمن غرينتش بالنسبة للبلاد التي تقع شرق غرينتش، ونطرح قيمة خط عرض البلد بالساعات بالنسبة للبلاد التي تقع غرب غرينتش. ■

الهوامش:

1 - The Astronomical Almanac 1999.

2 - Astronomy and Astrophysics, ed, By G. Zeilic 1998. Saunders College Publishing.

3 - Fundamental Astronomy, ed By H.Karthunen and et. al 1994, spring Verlage.

ترجمات

إعداد : عبدالمنعم أحمد

مع استمرار القصف الجوي ضد يوغسلافيا

هل أخطأ الناتو الحساب في كوسوفا؟

نشرت «الإندبندنت» مقالاً بقلم «جون ديفيد سون» تناول فيه بالتحليل نتائج الضربات الجوية لحلف الناتو وتفاقم مشكلة اللاجئين الكوسوفيين وتساءل عما إذا كان الحلف قد أخطأ الحساب عندما بدأ ضرباته الجوية... يقول المقال:

كيف وصلنا إلى هنا، وماذا نفعل الآن؟

تختلف وجهات نظر المسؤولين البريطانيين الحاليين والسابقين حسب خلفياتهم العسكرية وخبراتهم، إلا أن هناك فكرة واحدة بدأت تحظى بقبول واسع. ألا وهي أنه ما كان ينبغي لنا أن نكون في الموقع الذي نحن فيه الآن.

وهناك وجهة نظر حادة تم التعبير عنها تقول: «إن العملية برمتها تتعارض والمنطق العسكري السليم» بينما وصفت وجهة نظر أخرى الأمر بأنه «لايصدق»، بل إنَّ بعض الطيارين الذين يقومون بمهمات يومية ضد يوغسلافيا، يُقال إنهم يتساءلون ما الذي تحققه هذه العمليات؟

ولقد بدأ الخبراء العسكريون، وكبار الجنرالات يدرسون بعناية الحجج المؤيدة، والمعارضة لاستخدام القوات البرية، أما أولئك ممن يتبؤون مناصب أصغر، فإنهم ولأسباب تعود إلى وظائفهم، وولائهم لمؤسساتهم، تجدهم غير مستعدين للحديث علناً، وهم يصرون على القول إن المشكلة أعقد من ذلك. فتدريبهم، والتاريخ العسكري الحديث برمته، يذكرانهم بأن الحملة الجوية لوحدها لن تحقق النجاح!

ويقول أحدهم «إن القوة الجوية تعبير يحمل التناقض وذلك حتى تتمكن قواتنا البرية من تنفيذ مهامها فالتفوق الجوي لوحده لا يعني أي شيء».

وحتى إذا ما وضعنا في الاعتبار أن استخدام القوة الجوية خيار اتخذه الناتو لأسباب سياسية، فإنهم يقولون: إنَّ الطريقة التي جرى بها لتنفيذ العملية ضمنت سقوطها في الفشل تقريباً، فهي حسب معايير الناتو ذاته، فإنه عندما تدخل في النزاع، كأن قد قسرته مسبقاً، ولكن مهما كان ترجيح جنرالات الناتو لكفة الضربات الجوية، وعلى الرغم من حجم «الموجودات» التي يستهدفونها، فإن تلك النتيجة لا يمكن تفاديها.

تفادي الكارثة الإنسانية

ففي صباح اليوم الذي أعقب سقوط أولى القنابل والصواريخ، صرح وزير الدفاع البريطاني جورج روبرتسون أن «الهدف العسكري لهذه العمليات واضح للغاية هو تفادي وقوع كارثة إنسانية وشيكة من خلال وقف الاعتداءات العنيفة التي ترتكبها حالياً قوات الأمن اليوغسلافية ضد ألبان كوسوفا، وتقييد قدرتها للقيام بمثل أعمال القمع هذه مستقبلاً.

وتشير آخر الإحصاءات البريطانية إلى أن هناك ٥٠٧ آلاف لاجيء غادروا الآن كوسوفا، من بينهم ٤٣٩,٥٠٠ غادروا منذ بداية الهجوم الجوي كما تشير تقديرات أخرى إلى أن إجمالي ألبان كوسوفا الذين تم تهجيرهم يبلغ ١,١ مليون شخص من بين قرابة مليوني نسمة، هم سكان البلاد في العام الماضي، فما الذي تم تفاديه؟

كما قال أحد العسكريين : «إن المبدأ الأول

في الحرب هو اختيار الهدف، وتحديده ولقد كنا مخطئين في كلا الحالين».

ويقول الآخرون: إن النتيجة كانت قيام دولة من العالم الثالث باللعب بأقوى تحالف شهده العالم. وإن أفضل ما في استطاعة المتحدث الرسمي القيام به هو إصدار تصريحات كثيرة تنم عن الدهشة بشأن الظروف التي كان يمكن توقعها، بل يجب توقعها.

أسلحة معروفة

وتعتبر يوغسلافيا، الدولة التي كانت تتبع الكتلة الشرقية السابقة أفضل بلد يستطيع حلف الناتو شن أول حرب ضده، لأنه لمواجهة مثل هذا العدو كان قد جرى تدريب الحلف منذ تأسيسه، فنُظم الأسلحة اليوغسلافية معروفة تماماً لديه، كما أن معرفته جيدة بـ«نظم الدفاع الجوي الموحدة» الشهيرة لابد أن تكون تطورت بعد انضمام كل من هنغاريا، وتشيكوسلوفاكيا، اللتان لديهما النظم نفسها تقريباً، إلى حلف الناتو.

ولقد أدى اقتصار الهجمات بصفة عامة، على استخدام صواريخ كروز، بسبب الأحوال الجوية السيئة التي استمرت مدة ثمانية أيام، إلى انتقادات جادة حيث قال أحد الضباط السابقين: «لقد ظل الناتو يدرس الأحوال الجوية للكتلة الشرقية السابقة مدة خمسين عاماً، وبالتالي كان عليه أن يدرك ما يمكن توقعه».

وفي تلك الحال لماذا لم يتم استخدام الطائرات التي تتميز بدقة إصابتها في جميع الظروف والأحوال الجوية، مثل طائرات بي١٠ ـ بي لانسر القاذفة، منذ البداية؟ وإذا ما وضعنا في الاعتبار أن معظم الأهداف هي منشآت عسكرية معزولة، مثل مستودعات الذخيرة، فلماذا لم تستخدم طائرات التورنادو التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني، التي تتميز بقدرة الطيران في ظروف انعدام الرؤية، وإسقاط «القنابل غير الذكية» بدقة عندما لا تكون هناك قدرة لاستخدام القنابل الموجهة بالليزر.

كما أن طائرات الأباتشي المروحية الأميركية التي كثر الحديث حولها مازلنا في انتظار وصولها ولكن إذا ما وضعنا في الاعتبار أيضاً أن القوات البرية العاملة في كوسوفا ستكون هدفاً دائماً لها فلماذا لا يتم استخدامها؟

خطأ الحساب

إنَّ حقيقة استدعاء المزيد من الطائرات إنما يكشف عن خطأ في الحساب بشأن الاحتياجات في المقام الأول، كما يعني ذلك أن الحملة لم تبدأ بداية جيدة، وأنها خسرت تفوقاً وميزة حيويتين، فقد تم تنفيذ ألفي مهمة طيران خلال الأيام العشرة الأولى من عملية قوة التحالف، وهو ما تم خلال الليلة الأولى من الحملة الجوية إبان حرب الخليج.

وبما أن كل أزمة تقع في البلقان تؤدي إلى حدوث مشكلة لاجئين، كان يجب أن يتم إعداد الخطط والإمدادات اللازمة قبل بداية العمليات، وذلك حتى لا يضطر الناتو إلى تحويل مصادره بعيداً عن مجهود الحملة الجوية، ولصالح الجهد الإنساني، ففي البوسنة ـ كما ذكر أحد المصادر ـ تعلمنا درساً قاسياً ألا وهو أن «السبيل الوحيد لوقف هذا النوع من التصرفات، هو التخلص ممن يقومون بأعمال القتل هذه».

وبما أن الجهود المتزايدة الموجهة ضد القوات البرية الصربية لم تأتِ بعد إلا بنتائج محددة، فقد كانت هناك حاجة لاتخاذ خطوات أكثر جذرية منذ البداية، ومازالت هناك حاجة ملحّة لهذا الأمر، ويقول البعض: إن هناك حلاً ظل يطبق لأعوام عدة، ألا وهو القيام بهجوم جوي ضخم على مطار من المطارات، مثل مطار «بريشتينا» وبعدها يجري نقل الجنود، والمعدات الخاصة بالعملية البرية جواً، يصاحبها هجوم مدرّع ينطلق من ألبانيا، ومقدونيا، وهذا الأمر يُمكّنْ من تخطي مشكلة شن غزو بري عبر الممرات الجبلية، كما أن التفوق الجوي لابد وأن يُمكّنه من تنفيذ هذه الخطوة بحد أدنى من المخاطر، وسيكون هناك بعض الأخطاء، حسب قول مؤيدي هذه الخطة، إلا إن الرغبة في خوض حرب إلكترونية لا يتعرض الحلفاء فيها لإصابات، قد أوصلت حلف الناتو إلى حافة الإذلال.

وقد يكون هذا القول غريبا، إلا أن هذا التفكير كان وراء معظم خطط الناتو، وتخصيصه للمصادر خلال العقد الماضي، ففي الصيف الماضي، أنزل الناتو ١٧٠٠ جندي فقط، تقودهم عناصر من لوائين من المظلات في جبال ألبانيا لإجراء مناورات استمرت مدة خمسة أيام، كما أرسلت قوات محمولة جواً من كل من الولايات المتحدة، وإيطاليا، وألمانيا، واليونان، شاركها مراقبون من عشر دول، للقيام بالعملية التي أُطلق عليها الاسم الرمزي «التجمع التعاوني ١٩٩٨م» وقد صرّح متحدث رسمي باسم وزارة الدفاع البريطانية في ذلك الوقت قائلاً: «إن العملية تهدف للإثبات لصربيا إمكانية حشد قوة ضخمة، وإرسالها للمنطقة وهذا التهديد لم يتم بعد تنفيذه وأنه ما لم يحقق الحشد الجوي المتزايد انتصاراً مهماً في القريب العاجل، فإنه لابد من إعادة النظر في هذه الخطة، حيث يقال إن عناصر في الجيش البريطاني، وبصفة خاصة، لواء المظليين، وغيره من القوات المحمولة جواً بدأ يتزايد إحساسها بعدم الارتياح بسبب عدم مشاركتها في المجهود الحربي، غير أن مشاركتها ستعرّض قادة الناتو، والسياسيين لاتخاذ قرارات صعبة، ولكن إذا ما أريد إنقاذ مصداقية الناتو، فإنه لن تكون لديهم خيارات كافية في نهاية المطاف. ■

إعداد : محمد هاني

الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي

صدر للدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، كتاب جديد بعنوان: «الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري»، ضمن سلسلة «المعرفة للجميع» الشهرية التي تصدر في الرباط.

يتناول الكتاب قضايا تستأثر باهتمام الرأي العام في البلاد العربية الإسلامية تندرج في إطار البحث عن حلول علمية واقعية وعصرية لمشكلات التقدم والتنمية في العالم الإسلامي الناتجة عن تعاظم التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة الإسلامية في شتى المجالات، وعلى مختلف المستويات، وبخاصة على الصعيد الحضاري والفكري والتربوي.

ويقول المؤلف إن مواجهة الأمة الإسلامية للتحدي الحضاري، هي مواجهة حضارية شاملة «تتطلب تضافر جهود الأمة الإسلامية قاطبة لمواجهتها، لا بالصدام، فلستُ ممن يؤمنون بصدام الحضارات، وإنما بالعقل المفكر، وبالحوار، وبالتعبئة الذاتية التي تُكسب الأمة القوة والمناعة وشدة البأس، لتحصين الذات، ولترسيخ الكيان الحضاري، وللدفاع عن الحقوق الثابتة والمصالح العليا.

ويؤكد المؤلف في الفصل الذي يحمل الكتاب عنوانه: «الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري»، على أن بناء المستقبل الحضاري للعالم الإسلامي، لابد وأن يقوم على قواعد راسخة، لتجديد أساليب الحياة العامة في المجالات والمرافق كافة، تجديداً شاملاً عميقاً في إطار من الحكمة وحسن التدبير.

ويبرز المؤلف أن الحياة العامة على صعيد العالم الإسلامي، تحتاج إلى ترشيد فكري وثقافي، يستند إلى قيم الحضارة الإسلامية.

يقع كتاب «الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري» في ١٥٩ صفحة.

الأخلاق في النقد العربي

في مقدم كتابه «الأخلاق في النقد العربي» من القرن الثالث حتى القرن السادس الهجري الصادر حديثاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - عمان - يشير الناقد الأردني غسان إسماعيل عبدالخالق إلى أن الفائدة المتوخاة من الأدب والفن كانت ومازالت مثار بحث واختلاف بين الفلاسفة والنقاد، فمن قائل: إن النافع هو المفيد، ومن قائل: إن المجتمع هو المفيد، ويرى عبدالخالق في كتابه الذي تشكل أطروحته لدرجة الدكتوراة بنيته الأساسية أن المسألة الأخلاقية في النقد الأدبي عند العرب لم تنل ما تستحقه من اهتمام الباحثين المحدثين مع أن بواكير الدراسات العربية الحديثة اتخذت من الأخلاق موضوعاً رئيساً لها حيث يشير في هذا الصدد إلى ما وصفه أحمد أمين في كتاب «الأخلاق» العام ١٩٢٠م.

يعرض عبدالخالق في سياق تمهيده لمفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً فيورد المواضع الذي ذكر فيها لفظ «أخلاق» في القرآن الكريم وكذلك الأحاديث النبوية التي تحض على مكارم الأخلاق، وتطرق بشيء من الإيجاز للحديث عن الجبريين والمعتزلة والقدريين وغيرهم وفي الفصل الأول من الباب الأول يتناول المؤلف الأصول الدينية للنقد الأخلاقي، مشيراً إلى أن الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين نظروا إلى ما يتفق والروح الإسلامية على أنه خير للجماعة الإسلامية، وما عدا ذلك، فإنه بمثابة الشر دون أن نعدم بعض صور مظاهر التسامح حتى أن بعض الفقهاء المتقدمين ضاقوا بأولئك الذين أرادوا تحميل الشعر أكثر مما يحتمل، ويتطرق الباحث في الفصل الثاني إلى الأصول الفلسفية للنقد الأخلاقي عند اليونان والحضارات المجاورة، ثم ينتقل إلى آراء الفلاسفة المسلمين في الأخلاق والشعر ليتناول بالتفصيل آراء الفارابي وابن مسكويه وابن سينا وابن رشد الذين أجمعوا على القيمة الأخلاقية الثاوية في النص الشعري والقيمة الفنية المتجلية فيه، وفي الباب الثاني بفصوله الثلاثة، يتناول المؤلف الآراء المختلفة للقيمة الأخلاقية للشعر العربي، وكيف اختلف رأي النقاد عن رأي الفلاسفة، والفقهاء ويوضح القضايا مثار الخلاف مثل قضية الصدق والكذب وقضية القصد والغلو، ويركز على عناوين رئيسة كالمتعة والفائدة ووظيفة الشعر ووظيفة النثر، في حين يتطرق إلى علاقة النقد بالوظيفة الأخلاقية للأدب.

وصايا وعظات

صدر عن دار ابن حزم في بيروت كتاب «وصايا وعظات قيلت في آخر الحياة» لمؤلفه: زهير محمود حموي في ٣٠٠ صفحة.

يعرض الكتاب مجموعة من أشهر وأطرف الوصايا التي قيلت عند الاحتضار انتخبها المؤلف من كتب الحديث والتاريخ والأدب والتراجم.

يتكون الكتاب من مقدمة تمهيدية تناول فيها المؤلف تعريف الوصية في اللغة والشرع ومشروعيتها في الكتاب والسنة والإجماع والمعقول وأنواع الوصايا والوصية في الأدب العربي والكتب التي تخصصت بها والسبب الدافع له لاختيار هذه الوصايا ومعيار الاختيار.

الفصل الأول: قدم فيه (٣٣) وصية من أشهر الوصايا وأشملها وأحسنها مع تعريف موجز بأصحابها مع عزوها إلى مصادرها.

الفصل الثاني: قدم فيه (٨) وصايا لبعض حكماء الجاهلية وفصحائها ممن تميزت وصاياهم بالفصاحة والبيان والحكمة.

الفصل الثالث:؛ قدم فيه (١٦) وصية من أغرب وأطرف الوصايا حيث لم تنتظم هذه الوصايا بالخط العام للوصايا التي اختارها فكانت خارجة عن هذا التنسيق من حيث التعبير أو المضمون أو كليهما معاً.

الفصل الرابع: قدم فيه مجموعة من الكلمات الأخيرة المختصرة للمحتضرين مما وقع من كلامهم أو تصرفهم أو إجاباتهم أو تعليقاتهم.

ذكر المؤلف أن الوصية مطلب إنساني جاء طلباً للزيادة في القربات والحسنات، وتداركاً لما فرط الإنسان في حياته وبياناً للحقوق، إن تعلق بالميت حق، وهي في تراثنا العربي والإسلامي على أنواع:

- منها «الوصايا الإلهية» الواردة في القرآن الكريم.
- ومنها «الوصايا النبوية» الواردة في كتب السنة.
- ومنها «وصايا الخلفاء والملوك والأمراء» لأبنائهم أو لولاتهم أو لقوادهم أو لقضاتهم.

ومنها وصايا الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم عامة»، ووصايا الأولياء للنساء عند الهداء خاصة.

ومنها «وصايا العلماء والوعاظ» للحكام والأمراء أو لتلاميذتهم.

ومنها وصايا المحتضرين «وما قالوه في آخر حياتهم، وهي موضوع هذا الكتاب.

كما ذكر المؤلف أن الذي حفزه لاختيار هذه المجموعة من الوصايا والعظات أمور عدة منها:

١ - تقديم نخبة مختارة من روائع النصوص الأدبية المميزة.

٢ - إبراز الجانب الإنساني والنفسي والشعوري للإنسان المحتضر لأن هذه الوصايا تعكس صورة صادقة لمشاعر الإنسان المودع وأحاسيسه وترصد النفس البشرية في أصدق أحوالها وأكثرها شفافية لذلك يمكن عدّ هذه الوصايا والكلمات من الوثائق النفسية التي يصح الاعتماد عليها في الدراسات النفسية التحليلية لأنها تعبّر بصدق عن الحال النفسية الحادة التي يواجهها الإنسان المحتضر عندما يودع الحياة وصخبها وضجيجها وعلائقها ليستقبل عالماً جديداً لم يدخله من قبل.

٣ - تقديم العبرة والعظة للقارئ من خلال هذه المعاني التي اشتملت عليها فهذه دعوة لقراءتها وتدبر معانيها.

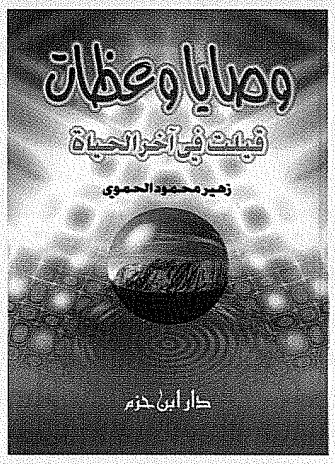

وقال: إن من الطبيعي أن تكون كل واحدة من هذه الوصايا صورة صادقة عن شخصية صاحبها واهتماماته وأسلوب نظرته للدنيا وانعكاساً معبراً عن قيم العصر السائدة في ذلك الوقت، حيث وجدنا بعض هذه الوصايا صيغت وكأنها وثيقة سياسية وبعضها صيغت وكأنها قطعة أدبية رائعة متسوفية لعناصرها وشروطها الفنية وتحس ببعضها كأنها دفقة شعور إنساني مرهف.

يحس الإنسان عند قراءة هذه الوصايا والعظات على مختلف اتجاهات واهتمامات أصحابها أنه أمام لوحة إنسانية صادقة وأمام ملحمة أدبية كل فصل من فصولها مهم، وكل كلمة من كلماتها مقصودة.

وعن الوصايا الغريبة قال انتظمت الوصايا في هذا الكتاب في نسق موضوعي واحد واجتمعت على أهداف متشابهة، يأتي في مقدمها الوصية بالإيمان بالله تعالى والاعتراف باليوم الآخر، والوصية بتقوى الله تعالى، والحض على الفضائل ومكارم الأخلاق والإحسان إلى الآخرين بالإضافة إلى ذكر بعض الرغبات الخاصة.

لكن الغريب في الأمر أن نجد هذا الخط المستقيم قد ينكسر، وربما انكساراً حاداً عند البعض، فيوصي عند موته بوصايا غريبة تتنافى مع رهبة الموت أو تتعارض مع جلالة الموقف!.

أخبار ثقافية

● يعقد في القاهرة يوم ٢٦ من ديسمبر المقبل ولمدة يومين مؤتمر الآثاريين العرب الثاني والذي يدور حول التواصل الحضاري من خلال الشواهد الأثرية.

كما يناقش المشاركون فيه من الدول العربية ما ثبت من خلال الاكتشافات الأثرية بأن الآلهة الفرعونية كانت تعبد في الجزيرة العربية والشام، ويؤكد ذلك اكتشاف شواهد على حضارة «آمون» في منطقة الناصر بالجزيرة العربية

● انتهت اللجنة التي شكلتها مشيخة الأزهر لدراسة إنشاء فرع لجامعة الأزهر في الولايات المتحدة الأميركية من أعمالها وقد أكدت اللجنة التي يرأسها الدكتور أحمد عمر هاشم في تقريرها أن الحكومة الأميركية لا تمانع في وجود فرع للجامعة على أراضيها لأن مثل هذه الجامعة ستعمل على تعميق الحوار بين الأديان ومحاربة التيارات المنحرفة والمعادية للإسلام.

● يستضيف المغرب أعمال الدورة ١٢ لمجلس مجمع الفقه الإسلامي في شهر نوفمبر المقبل.

العَالِم في عددها الجديد

صدر حديثاً العدد «السادس» من مجلة «العَالِم» التي تُعنى بالمفكرين والعلماء والمبدعين في العالم العربي ويصدرها المركز الوطني للدراسات الاستراتيجية بالرياض، ليتناول إحدى القضايا المصيرية المعاصرة وهي قضية «الشرق أوسطية» ليرصد من خلال هذا الموضوع الرئيس للمجلة الرؤى والأفكار والأطاريح المختلفة والمتعددة التي تناولت هذه القضية لتخرج المجلة بالتحذير المباشر والصريح من مخاطر «الشرق أوسطية» التي تستهدف تدمير الوطن العربي.

وفي الافتتاحية يحذر الدكتور محمد بن حمود الطريقي رئيس التحرير من هذا الاستدمار الجديد في الوطن العربي ونحن على أعتاب القرن الواحد والعشرين قائلاً:

«إن المتتبع للأحداث في العالم، يتأكد من تتابع الخطط واتصالها لسحق الشرق الإسلامي، وسحق الحضارة الإسلامية وسحق الإمكانات المستقبلية لنشوء قيمة إسلامية شرقية قادرة على إعادة الصراع مع الغرب».

وحتى لا يعيد التاريخ نفسه وحتى لا تداهمنا الخطط المقبلة مع «الشرق أوسطية »الغامضة يختتم رئيس التحرير مقالته بالدعوة إلى: التفكير بجدية وعلمية متناهية بخطط السلام المطروحة في الساحة العربية وبإمكان مجاراتها نداً لند، وبخطط إسرائيل لإذابتنا في «الشرق أوسطية والعولمة».

ويفتتح هذا العدد الحوار مع رموز الفكر في الوطن العربي بدءاً من الدكتور حسن ظاظا الذي يرى «أن الشرق أوسطية» ستشفل لأنها تعتمد على الأساطير... «وإن إسرائيل ستسقط قبل القرن الحادي والعشرين». وكذلك الدكتور إسماعيل فرحات الذي يتحدث في لندن مؤكداً أن الهدف من «الشرق أوسطية» هو السيطرة على منطقة الشرق الأوسط تحت غطاء التجارة والاقتصاد في ظل التبادل السلمي بين دول المنطقة والدولة العبرية. كما يذهب الدكتور محمد كرموص رئيس رابطة مسلمي سويسرا إلى القول القاطع: إن الهدف من «الشرق أوسطية» هو تثبيت إسرائيل وتحقيق حلم من «النيل إلى الفرات».

وتحتوي مجلة «العَالِم» على الكثير من الموضوعات الفكرية والثقافية الأخرى لترصد آراء المفكرين والمثقفين العرب حول مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة لتحاور المفكر محمود أمين العالم والدكتور محمد الرميحي والإذاعي القدير حمدي قنديل وغيرهم.

تحت عنوان قضايا ساخنة يرصد وزير الصناعة والكهرباء بالمملكة العربية السعودية الدكتور هاشم بن عبدالله يماني... الشكل المنشود لمنظومة البحث العلمي في دول مجلس التعاون الخليجي ليجيب عن الكثير من التساؤلات الحائرة حول مستقبل البحث العلمي ودوره في التنمية.

وفي زاوية فنون وثقافات: تجري مجلة العَالِم حواراً مع الإذاعي والمفكر أحمد فراج ليبوح لها بأسرار حياته ويرصد المحطات الفاصلة من الإذاعة إلى التلفاز وكيف أنقذه عبدالناصر؟ وكيف قُدّم الداعية

الإسلامي محمد متولي الشعراوي للمرة الأولى للناس من خلال برنامجه «نور على نور».

كما ترصد المجلة مشوار الرواية العربية منذ البداية وحتى الآن من خلال قراءة عميقة في فكر روادها على مستوى الوطن العربي لتجيب على هذا السؤال: هل أخفقت الرواية في دورها الحديث أم نجحت في أن تلعب دوراً إيجابياً؟ وذلك من خلال الرواد الأوائل والمعاصرين للرواية العربية.

ومن جديد مجلة «العَالِم» في عددها السادس أنها تضيف زاوية جديدة تحت عنوان سيرة ذاتية ليبوح من خلالها رئيس التحرير د. محمد الطريقي بأسرار حياته مسترجعاً شريط الذكريات بجرأة وشفافية يندر أن تتكرر... لكن الحقيقة تسمو فوق كل الآلام، ومن أجلها يقسم الدكتور الطريقي في زاويته «في رحاب الذاكرة» على مواصلة الكتابة رغم المعاناة قائلاً: «عندي الكثير مما أرويه، وقد أقسمت أن أروي».

ومع هذا العدد العامر بالكثير من الموضوعات والقضايا الساخنة تعيش عزيزي القارئ مع مفاجآت ثقافية وفكرية وإبداعية أخرى.

قاموس للمصطلحات الإسلامية

صدر أول قاموس شامل جامع للمصطلحات والتعابير الإسلامية بعنوان : «القاموس الإسلامي» من إعداد الباحث الإسلامي حمدي عبدالحميد، ويضم القاموس ٤٥٠٠ كلمة وهو مرتب بطريقتين «قاموس إنكليزي - عربي وقاموس عربي - انكليزي». وذلك حتى يستفيد منه الباحث الإسلامي والمستشرق الأجنبي على حد سواء وأورد معدّ القاموس كلمات غير إسلامية ذات صبغة دينية بهدف مساعدة المتحدثين عن الإسلام ويضم القاموس قائمة كاملة منفصلة بأسماء الله الحسنى بجانب رصد ما جاء في المراجع عن معانيها وصفحات منفصلة بأسماء الأنبياء وأسماء الشهور الهجرية بالعربية والإنكليزية كما ضم القاموس بعض الصور الخاصة بالمظاهر الإسلامية مثل صورة الكعبة وصورة ملابس الإحرام وصورة الحجر الأسود وصورة لطواف المقعدين وصورة الخمار وصورة لمقام إبراهيم عليه السلام، وقد رجع معد القاموس الإسلامي إلى مراجع عدة منها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، والقاموس المحيط والمعجم القانوني الفاروقي وقاموس الألفاظ الإسلامية وتفسيرات الشيخ محمد متولي الشعراوي وترجمة صحيح البخاري للدكتور محمد حسن خان.

لجنة تطبيق الشريعة في الكويت تنجز قانون الجزاء

انتهت اللجنة العليا لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في الكويت من إنجاز قانون الجزاء وتعديلاته وفقاً للشريعة الإسلامية وستقوم برفعه إلى سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت بعد مناقشته وإقراره نهائياً، وقال الدكتور خالد المذكور رئيس اللجنة: إن أعضاء اللجنة يقومون بمراجعة ومناقشة القانون الجديد لإقراره بشكل نهائي لرفعه إلى الأمير جابر الأحمد الصباح للاطلاع عليه، مشيراً إلى أن هذا القانون يشمل جميع الحدود الشرعية وقوانين العقوبات، مؤكداً أنه إنجاز تشريعي كبير.

وأضاف الدكتور المذكور أن اللجنة كانت قد انتهت أخيراً من إنجاز النظام التربوي الشامل لدولة الكويت وقامت برفعه إلى أمير البلاد مبيّناً أهمية هذا النظام.

وذكر أن أمير الكويت سيحيل النظام التربوي إلى مجلس الوزراء الذي يحيله بدوره إلى وزارة التربية للنظر فيه وبعد إقراره من قِبَل الوزارة سيطبق في المراحل الثلاث (ابتدائي ومتوسط وثانوي).

وأوضح الدكتور المذكور أن هذا النظام يشمل المناهج ومواصفات المعلم والكتاب الجيد والأنشطة الصحية واللاصحية، مشيراً إلى أن التنسيق بين الجهات المعنية سيزيد من نجاح النظام.

● د. خالد المذكور

ارتفاع معدل الجريمة في روسيا

ذكرت وكالة أنباء انترفاكس أن معدل الجريمة في روسيا ارتفع بصورة كبيرة هذا العام طبقاً للبيانات التي أعلنتها وزارة الداخلية.

وخلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام الحالي تم إبلاغ الشرطة بحدوث أكثر من ٧٥٢,٠٠٠ جريمة في جميع أنحاء البلاد مما يمثل زيادة في معدل الجريمة بنسبة ٢٠ في المئة بالمقارنة مع الفترة نفسها من العام ١٩٩٨م.

وفي الوقت الذي تمثل فيه عمليات السرقة نصف هذا العدد تقريباً، فإن عدد الجرائم الخطيرة ارتفع بنسبة ٣٠ في المئة، وتم تسجيل ٧٣٠٠ جريمة قتل تقريباً في الربع الأول من العام الحالي.

المفتي العام للسعودية يحذر من تداول نشرة «أدعية الامتحانات»

قبل وفاته - يرحمه الله - حذر المفتي العام للسعودية الشيخ عبدالعزيز بن باز من نشر «أدعية الامتحانات» المتداولة بين أوساط التلاميذ هذه الأيام لمناسبة قرب موسم الامتحانات النهائية، مشيراً إلى أن هذه النشرة لا أصل لها في الشرع، مطالباً بمصادرتها وإتلافها والتحذير منها ومن جميع البدع الظاهرة والخفية.

وفي تعميم على جميع المدارس السعودية، أكد الدكتور خضر عليان القرشي وكيل وزارة المعارف أهمية قيام معلمي العلوم الشرعية بواجبهم لتحذير الطلاب من هذه النشرة وخطرها.

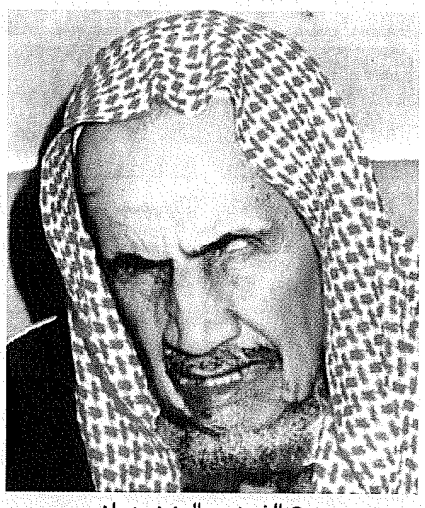

● الشيخ عبدالعزيز بن باز

حيث تشتمل على آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأدعية تقال في أوقات وأحوال معينة، منها دعاء ما قبل المذاكرة وبعدها وعند الامتحان وبدايته ونهايته وذلك من غير دليل شرعي على هذا التحديد.

وطالب وكيل الوزارة بتوجيه الطلبة العمل بالسنة والأذكار الموثّقة للعلماء المعروفين حتى لا يتعاطى الطلاب دينهم من المنشورات المجهولة، وتأكيد وجود الآيات والأحاديث في النشرة لا يعني سلامتها، وأن على المسلم أن يقوم بعرضها على أهل العلم قبل نشرها والعمل بها.

شيخ الأزهر يرحب بالاجتهاد في الدين ما لم يرد فيه نص صحيح

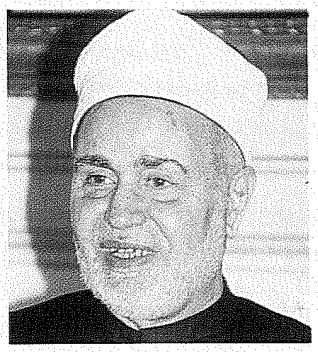

رحب الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر بالاجتهاد في الدين مادام لا يصادم نصاً صحيحاً، وقال إننا لا نقبل إلا الاجتهاد في حدود النصوص التي تقبل الاجتهاد ولا يكون في النص ذاته وإنما في فهم النصوص كما قال الله تعالى: (وامسحوا برؤوسكم).

جاء ذلك في المحاضرة التي ألقاها الدكتور طنطاوي في ختام الموسم الثقافي الذي أقامه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

وقال شيخ الأزهر إن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بأنها تقوم على الاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف وكل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه.

وقد استعرض شيخ الأزهر خلال المحاضرة نماذج من اجتهادات الأنبياء والرسل التي تدخل الوحي الشريف في تصحيحها وبخاصة قول نوح عليه السلام عن ابنه :

(ربي إن ابني من أهلي) فرد الله تعالى (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح).

ثم استعرض شيخ الأزهر عدداً من المسائل التي اجتهد فيها الفقهاء اجتهادات مختلفة، مشيراً إلى أن هذه الاجتهادات تعد مظهراً من مظاهر الرحمة الإسلامية وإنه لا يجوز التقليل من شأن اجتهاد ما دام لا يتصادم مع نص صريح في الإسلام.

١٣,١ مليون يهودي في العالم ثلثهم فقط في إسرائيل

التكاثر الطبيعي لليهود في العالم يعتبر من النسب الأكثر انخفاضاً في العالم، إذ إن نسبة تكاثرهم خلال السنوات الخمسين الأخيرة لم تزد عن (ثلاثة في الألف) ويبلغ عددهم اليوم ١٣,١ مليون نسمة يعيش نحو ثلثهم (٣٦ في المئة) منهم في إسرائيل.

هذا ما دل عليه آخر بحث ديموغرافي حول اليهود في العالم، أجراه «معهد اليهودية» التابع للجامعة العبرية في القدس، ونشر عشية احتفالات إسرائيل بالذكرى الـ٥١ لقيامها.

وعلى الرغم من كل المغريات والتسهيلات والدعم العالمي، لم يعش في إسرائيل سوى ٣٦ في المئة من اليهود، ومازالت الأغلبية تفضل الحياة بعيداً عنها، بحيث تتركز أغلبيتهم الساحقة في الولايات المتحدة.

وفي هذا الإطار تدل الإحصاءات الرسمية على أن عدد سكان إسرائيل يبلغ حالياً ٦ ملايين و ٦٧ ألف نسمة. ولكن هذا الرقم يشمل سكان القدس الشرقية المحتلة (١٩٠) ألفاً وهضبة الجولان السورية المحتلة ١٥ ألفاً، فإذا خصمنا هذا العدد، يكون عدد سكان إسرائيل في حدود ما قبل العام ١٩٦٧م أقل من ٦ ملايين (٥ ملايين و ٨٦١) ألفاً.

ويبلغ عدد اليهود في إسرائيل ٤,٨ مليون نسمة (٧٩ في المئة من العدد الرسمي و ٨١ في المئة من العدد الفعلي)، بينما يبلغ عدد الفلسطينيين في إسرائيل ما قبل ١٩٦٧م (عرب ٤٨) حالياً مليوناً و ٦١ ألف نسمة.

موجز أخبار

● ذكرت منظمة الصحة العالمية أن العالم يشهد سنوياً نحو خمسين مليون حالة إجهاض من بينها ثلاثون مليون حالة في دول العالم النامي.

وأوضحت النشرة الصادرة عن المقر الإقليمي للمنظمة في الإسكندرية أن المخاطر تحيط بعشرين مليون حالة إجهاض من بين الخمسين مليون حالة التي تقع في مختلف أنحاء العالم سنوياً، نظراً لظروفها غير الصحية، وأن نحو ٩٠ في المئة من بين تلك الحالات غير الآمنة تجري في دول العالم الثالث.

وأضافت: أن نحو ٧٠ ألف سيدة يلقين حتفهن كل عام نتيجة لعمليات الإجهاض غير الآمنة، كما أن العديد من النساء الأخريات اللاتي تكتب لهن النجاة من تلك التجربة يعانين طيلة حياتهن من العقم وأمراض مزمنة أخرى فضلاً عن الضعف البدني الدائم.

● قال المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية في مانيلا إن الوباء الفيروسي الذي قتل أكثر من ١٠٠ شخص في ماليزيا منذ أكتوبر المنصرم انتهى على ما يبدو.

وأضاف المكتب في بيان له أن قتل ماليزيا لنحو ٩٠٠ ألف خنزير في منطقتين لتربية الخنازير قضى فعلياً على انتشار فيروس الالتهاب الدماغي القاتل وأنهى الوباء.

وتحمل الخنازير الفيروس القاتل وقال البيان إن الأدلة تشير حتى الآن إلى أن الاتصال المباشر مع الخنازير المصابة يؤدي إلى انتقاله إلى الإنسان.

● وصل المخزون العالمي للألغام المضادة للأفراد إلى أكثر من ٢٥٠ مليون لغم، وتحتل الصين وروسيا قائمة الدول التي تملك أكبر مخزون من هذا السلاح.

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة تكفل عشرة آلاف لاجئ كوسوفي

قال عبدالمحسن المعوشرجي مسؤول مكتب الإغاثة التابع للجنة الكويتية المشتركة للإغاثة في ألبانيا إن اللجنة حالياً تكفل أكثر من ١٠,٠٠٠ (عشرة آلاف) لاجيء في مناطق مختلفة في ألبانيا.

وأوضح المعوشرجي أن اللجنة قامت بالتفاوض مع محافظ مدينة «فوشي كرويا» القريبة من مطار العاصمة الألبانية «تيرانا» وذلك لاستلام وكفالة معسكر جديد لألبان كوسوفا الذين يعانون الطرد والاضطهاد والعدوان الصربي.

وأوضح المعوشرجي أن المركز الذي تنوي اللجنة إعادة تأهيله وذلك بترميمه والذي يحتوي على أكثر من (٧٠٠) لاجيء أغلبهم من الشيوخ والنساء والأطفال، وأن اللجنة استعدت لتقديم ٣ وجبات يومية للاجئين فيه، إضافة إلى توفير الخدمات الطبية والإغاثية.

وأشار المعوشرجي إلى أعداد اللاجئين والمهجرين في منطقة «فوشي كرويا» والذين يزيد عددهم عن ٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمسمئة لاجيء» يعيشون مع عوائلهم بعد أن أمنت لهم اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة الوجبات اليومية الثلاث، إضافة إلى ثماني مراكز للاجئين منها أربعة تعمل اللجنة جاهدة لإعادة ترميمها على وجه السرعة لإسكان اللاجئين فيها بعد توفير المستلزمات الضرورية لهذه المراكز التي تحتاج إلى جهود بشرية وميزانية ضخمة لإعادة التأهيل والبناء.

وتجدر الإشارة إلى أن اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة بعثت أخيراً وفداً طبياً مكوناً من د. أحمد الشطي رئيساً، ود. عباس رمضان عضواً، والمهندس عبدالعزيز السميط عضواً، والذي يهدف إلى مسح المعسكرات التي تشرف عليها اللجنة الكويتية المشتركة مسحاً طبياً وذلك لرفع تقرير بالاحتياجات العاجلة لهذه المراكز والمعسكرات.

وتجد الإشارة إلى أن د. عمر العياط عضو الوفد الطبي سيبقى للإشراف على خدماتها الطبية اللازمة للاجئين والمهجرين.

رابطة العالم الإسلامي تجدد تبعية القدس للعرب والمسلمين

رحبت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بتعليق الإدارة الأميركية قرار الكونغرس القاضي بنقل السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس.

وقال الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله العبيد إن الشعوب الإسلامية رحبت بالإشارات الواضحة التي صدرت عن الإدارة الأميركية في شأن إبقاء السفارة الأميركية في تل أبيب حتى إلى ما بعد الموعد النهائي لنقلها إلى القدس في ٢٦ مايو الماضي الذي حدده الكونغرس العام ١٩٩٥م.

وأعرب العبيد عن تفاؤله بما أعلنته وزارة الخارجية الأميركية من أن الرئيس بيل كلينتون سيقرر قريباً هل سيستخدم سلطاته لإلغاء بنود القانون الذي اتخذه الكونغرس إلغاء «نهائياً لأنه قرار ظالم يسيء إلى جميع المسلمين، كما يسيء إلى علاقات أميركا معهم»، وأكد أن الشعوب الإسلامية تتابع الموقف الأميركي من هذه القضية وتعرف أن موقف الإدارة الأميركية يختلف عن موقف الكونغرس الذي يخضع للنفوذ الصهيوني.

وكانت رابطة العالم الإسلامي أعدت مذكرة وثائقية إضافية العام ١٤١٨هـ لرئيس وأعضاء الكونغرس أثبتت فيها تبعية القدس للعرب والمسلمين من النواحي العقدية والتاريخية بالإضافة إلى التأكيدات التي تضمنتها وثائق القانون الدولي.

ولفتت الرابطة إلى أن نقل سفارات الدول الأجنبية إلى القدس عمل عدائي ليس لشعب فلسطين فحسب، وإنما هو اعتداء على ارتباط القدس بالمسلمين وبمشاعرهم وعقيدتهم.

الهند خامس أكبر اقتصاد في العالم

احتلت الهند المرتبة الخامسة في العالم بأكبر اقتصاد من حيث القوة الشرائية بعد الولايات المتحدة والصين واليابان وألمانيا مما أنعش الآمال في أن تلحق بالصين مستقبلاً في حال تمكنها من زيادة معدل النمو الاقتصادي من نحو ٥ في المئة حالياً إلى نسبة تتراوح بين ٧ و ٨ في المئة.

وذكرت دراسة للبنك الدولي نشرت في نيودلهي أنه بحسب المعايير التقليدية التي تقوم على إجمالي الناتج القومي أو القيمة الإجمالية لجميع السلع والخدمات التي تنتجها الدولة فإن الهند تتراجع إلى المرتبة الثالثة عشرة كأكبر اقتصاد في العالم بمتوسط دخل فردي سنوي يبلغ ٣٧٠ دولاراً موضحة أن الحجم السكاني الهائل للهند يعد عاملاً مهماً في وضعها في المرتبة الخامسة في العالم كأكبر اقتصاد من حيث القوة الشرائية.

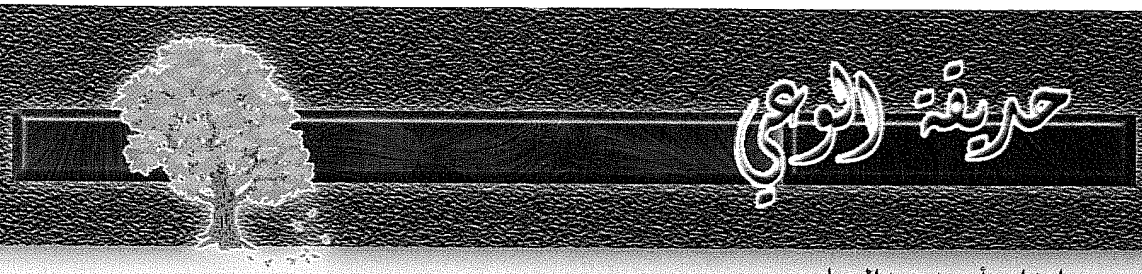

إعداد : أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال تعالى :

(قل يا أهل الكتاب لمَ تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون. قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون. يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين).

آل عمران: ٩٨ . ١٠٠

من هدي رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ :

أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة طعمة»

رواه الإمام أحمد

الفؤاد . . القلب

يخلط كثير من الناس بين هذين اللفظين (الفؤاد والقلب)، والعرب وضعت لكل معنى لفظاً لا يقوم مقامه غيره إلا مجازاً، ومن ذلك كلمة القلب وكلمة الفؤاد، ولكن عند التحقق من ذلك نجد من ذلك هذا غير ذاك، فالقلب هو العضلة المعروفة التي تقوم بضخ الدم إلى سائر أجزاء الجسم، أما الفؤاد فهو الحيز أو الفراغ الذي يشغله أو يملؤه القلب، أو هو غشاء القلب، قال الله تعالى حكاية عن أم موسى عليه السلام: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) القصص:١٠ والمعنى أن قلبها كاد يطير من مكانه لولا أن ثبتناه بالصبر وهذا كناية عن شدة جزعها وخوفها على ابنها وقيل: إن فؤادها أصبح فارغاً إلا من ذكر موسى.

لست راضياً عن نفسي

قيل للربيع بن هيثم: ما نراك تعيب أحداً؟ فقال: لست عن نفسي راضياً حتى أتفرغ لذم الناس ثم أنشد :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها

لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

جوهر العبودية لله تعالى

يقول د. محمد سعيد رمضان البوطي:

إن انتهاء الإنسان إلى حال تجعله مضطراً لمد يده إلى من يعينه في تخليصه من عذاب يعانيه، ثم لا يجد من حوله إلا الله جل جلاله، وهو جوهر العبودية القسرية التي فطر الله الإنسان عليها، وإن وقوفه في ضراعة وذل على أعتابه جل جلاله يدعوه ويسأله ويرجوه، هو جوهر العبودية الكسبية التي أمر الله الإنسان أن يمارسها.

إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

من أقوال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

لا تظن بكلمة خرجت من أخيك إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً.

لا تشاور في أمرك إلا من يخشون الله عز وجل.

ترك الخطيئة خير من معالجة التوبة.

العدل جنة المظلوم جحيم الظالم».

عاقبة الغيرة

الغيرة تضيق من آفاقنا وتحجب عنا مئات الفرص ولا تكشف من دنيانا إلا وجه غريمنا وهو يلوح لنا بالكسب الرخيص الذي انتزعه منا فنقضي حياتنا في مبارزة حقيرة على قطعة أرض أو امرأة ساقطة وتضيع أعمارنا بما فيها من إمكانات.

من هو العاقل ؟

قال عمرو بن العاص:

ليس العاقل الذي يفرق الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين. وليس الواصل الذي يصل ولكنه الذي يصل من قطعه.

وقال أيضاً:

ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته لأني كنت أضيق صدراً حين استودعته إياه!

مختصر من حياة رسولنا الكريم

ولد نبينا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول من عام الفيل. توفي والده قبل مولده. وتوفيت والدته آمنة بنت وهب وهو في السادسة من عمره، فعهد جده عبدالمطلب الذي تولى رعايته إلى حليمة السعدية بإرضاعه، وقد تولى عمه أبو طالب رعايته والدفاع عنه بعد وفاة جده عبدالمطلب. اشتغل صلى الله عليه وسلم بالرعي والتجارة، وعمل في تجارة لخديجة بنت خويلد التي تزوج بها فيما بعد. وكانت أول من أسلم من النساء. نزل عليه الوحي في رمضان وهو في الأربعين من عمره. عانى من عنت قريش وصدهم ومحاربتهم، وهاجر إلى المدينة المنورة بعد ١٣ سنة من نزول الوحي عليه، وعاش فيها ١٠ سنوات، خاض خلالها حروباً عدة مع قريش، منها معركة بدر، وأحد، والخندق وفي العام الثامن من الهجرة فتح مكة ودخلت قريش في الإسلام، وفي السنة العاشرة حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع. توفي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة في العام العاشر من الهجرة ودفن فيها.

لغتنا الجميلة

- الطَّرَب: يذهب كثير من الناس إلى أنه «الفرح» دون الجزع، وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة «الجزع» قال الشاعر:

وإراني طرباً في إثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

- الحشمة: يضعها الناس موضع الاستحياء، قال الأصمعي: وليس كذلك، إنما بمعنى الغضب، قال بعض فصحاء العرب: إن ذلك لما يحشم بني فلان، أي يغضبهم. ولكن الزمخشري جوّز استخدام الحشمة بمعنى الاستحياء قال: أنا أحتشمك، واحتشم منك، أي استحييي، وما منعني إلا الحشمة، أي الحياء.

- زكنتُ الأمر: يذهب الناس إلى معنى: ظننت وتوهمت، وليس كذلك، إنما هو بمعنى: علمت يُقال زكنت الأمر أزكنه. قال الشاعر:

ولن يراجع قلبي ودهم أبدا
زكنت منهم على مثل الذي زكنوا

أي علمت منهم مثل الذي علموا مني.

التغريب

التغريب في أبسط مفهوم له هو :

حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب وغرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين في حياتهم وتفكيرهم، وحتى تجف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية.

ويتطلب تحقيق ذلك إيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وذلك بإثارة الشبهات وتحريف التاريخ الإسلامي ومبادئ الإسلام وثقافته.

وإعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله، وانتقاص الدور الذي قام به في تاريخ الثقافة الإنسانية ومحاولة إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التي تتمثل في ماضي هذه الأمة، أو محاولة انتقاص القيم الإسلامية والغض من مقدرة اللغة العربية وتقطيع أواصر الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية..

أهداف التغريب للأستاذ : أنور الجندي

مثل شعري

للموت فينا سهام وهي صائبة
من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

أحذر الله

قال سيدنا علي - كرَّم اللهُ وجهه ورضي عنه :

يا بن آدم: إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره.

قالوا في العمل

- من عَلِمَ ولم يعمل ففساده أكثر من صلاحه.

- إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل، قال تعالى: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً)

- الكسل يجعل كل شيء صعباً، وأما العمل فيجعل كل شيء سهلاً.

- على المرء أن يسعى ويبذل جهده، وليس عليه أن تتم الرغائب.

الذليل من ظلم

شكا رجل إلى جعفر الصادق أذيّة جاره فقال: اصبر عليه، قال ينسبني إلى الذل، قال: إنما الذليل من ظلم.

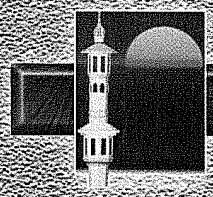

الفتاوى الشرعية

هاتف مباشر
خدمة الفتوى
149

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

ديون الزكاة الواجبة .. إخراج الزكاة عن أموال القاصر

عُرض السؤال المقدم من المدعو/ عبدالعزيز ونصه:

توفي والدي في بداية العام الميلادي الحالي ١٩٨٠م، وكان من بين الورثة أخي القاصر الصغير (من مواليد ١٩٦١م) وبعد عرض الأمر على المحكمة أصدرت حكماً بأن أكون وصياً عليه حتى يبلغ سن الرشد، وهذا القاصر يملك عمارة مسجلة باسمه منذ العام ١٩٧٣م أي على حياة والدي، وكنت ومازلت أتولى شؤونها، وأحصّل إيجارها، وأودعه في «حسابه التوفير» في أحد البنوك التجارية، ولا أذكر يوماً أخرج والدي عنها زكاة، ولا عن مجموع الإيجارات في دفتر التوفير، بل كانت تدخل فوائد التوفير إلى أصول المبالغ المتجمعة في الحساب، كذلك كان من بين تركة الوالد حساب توفير وحساب جار لا أظن أنه كان يخرج منها الفوائد والزكاة.

وأود أن أضيف كذلك بأن هناك شهادات أسهم باسم الوالد تخص جميع الورثة، وأخرى باسم القاصر تخصه بمفرده.

والسؤال الآن:

هل نستطيع إخراج متجمع الزكاة عن السنوات الماضية من التركة «حساب التوفير بعد استبعاد الفوائد - الحساب الجاري»؟ وهل تبرأ ذمة الوالد من إثم عدم إخراجها؟

وهل أستطيع كوصي على مال القاصر أن أخرج متجمع الزكاة عن السنوات الماضية من مال القاصر (حساب التوفير بإقصاء الفوائد)؟ كذلك هل مطلوب مني أن أخرج زكاة سنوية عن العمارة من الإيجار حالياً وما الطريقة؟

- وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

ديون الزكاة الواجبة على الوالد غير واجبة عليكم إلا إذا كان أوصى بإخراجها عنه، لأنها عبادة تحتاج إلى النية، ولعله أخرجها وأنتم لا تعلمون، ومع هذا فلو أخرجتم ما تظنون أنه كان واجباً على والدكم كزكاة فإن هذا يعتبر صدقة ويرجى أن يغفر الله لوالدكم إذا نويتم التصدق عنه.

وأنت مسؤول عن إخراج الزكاة عن أموال القاصر مدة وصايتك عليه، أما ما كان قبل ذلك فلست مسؤولاً عنه، وعليك إخراج الزكاة عن مال القاصر سواء كان إيراداً أو نقداً، بعد فصل المصاريف ونفقة القاصر، فما بقي بعد ذلك، فإن كان يبلغ نصاباً وحال عليه الحول فأنت مسؤول عن إخراج الزكاة عنه، وعليك أن تخلص القاصر من هذه الأسهم المشبوهة لكن بعد استئذان إدارة شؤون القصّر حتى لا تكون مسؤولاً مسؤولية جنائية، وعليك بعد الاستئذان أن تبيع هذه الأسهم المشبوهة بالسعر الخاص، على أن تتحرى قدر الإمكان لتعرف ما جاء من القدر الزائد على السعر الأصلي، نتيجة لمعاملة ربوية أو محظور، وتتخلص فقط من هذه الزيادة، بإنفاقها في مصرف خيري عام، ولا يجوز أن تتمول هذا القدر، ولا أن تحتسبه من زكاة القاصر. والله ولي التوفيق.

اشتراط الزوجة عصمتها بيدها

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي المقدم من المدعو/ صالح:

هل يجوز للمرأة أن تشترط على المتقدم للزواج بها أن تكون العصمة «عصمة الطلاق» بيدها؟ إذا كانت تخشى منه أن يعضلها أو كانت تخشى منه أن يحرمها أي حق آخر من حقوقها الزوجية، وهل تكون العصمة مطلقة أم مقيدة؟ وهل تطلق نفسها منها هي بنفسها بحيث تقول مثلاً «أنا طالق منك حسب الشرط الذي بيننا؟» وهل يجوز لها المطالبة بحقوقها بعد الطلاق؟ مثل «مؤخر الصداق»، وغير ذلك مما تحصل عليه الزوجة بعد طلاقة وهل يجوز لقاضي محكمة الأحوال الشخصية رفض الطلاق أو عدم إقراره؟ أرجو الإجابة على هذه الأسئلة مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة أو ما ورد فيها من أقوال العلماء، وجزاكم الله خير الجزاء.

- أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز للزوجة أن تشترط على من يريد الزواج بها أن تكون عصمتها بيدها ويجوز للزوج أن يفوّض إلى زوجته أن تكون عصمتها بيدها، وذلك بالوكالة عنه، فإذا طلقت نفسها وقع الطلاق، وبطلاقها نفسها تستحق ما قرره لها الشرع، والقاضي ينفذ أحكام الشرع، فلا يسوّغ له أن يخرج عنها. والله أعلم.

التخلص من المريض الميؤوس من شفائه

عرض على اللجنة أسئلة مقدمة من ـ لجنة خيرية، بالتعاون مع جمعية الأطباء المسلمين في جمهورية جنوب أفريقيا، طالبة إبداء الرأي فيها، نظراً لما يواجهه الأطباء المسلمون في مختلف بقاع الأرض من مشاكل بسبب عدم وجود فتاوى إسلامية حول هذه المواضيع. والأسئلة كالتالي:

هل القتل بدافع الرحمة، بالطريقة الإيجابية، مسموح به في الإسلام قياساً على قتل الحصان الميؤوس من شفائه بما يسمى «رصاصة الرحمة»؟ وهل مسموح القتل بدافع الرحمة بالطريقة التلقائية بفصل أجهزة التنفس ونحوها، أو بترك معالجة المرض لشخص ميؤوس من شفائه؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

القتل بدافع الرحمة، بالطريقة الإيجابية المذكورة حرام شرعاً. ومن أمثلة ذلك: إعطاء المريض بالسرطان، الميؤوس طبياً من شفائه، جرعة قاتلة «فوق المسموح بها» من مخدر قوي حتى تتوقف أنفاسه، وليس من ذلك فصل جهاز التنفس الصناعي عن مريض ميؤوس طبياً من شفائه، وقد سبق للجنة أن أجابت في هذا الخصوص بما يلي:

إن التخلص من المريض بأي وسيلة محرّم قطعاً، ومن يقدم عليه يكون قاتلاً عمداً لأنه لا يُباح دم امرئ مسلم، صغيراً أو كبيراً، صحيحاً أو مريضاً، إلا بإحدى ثلاث حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»، أخرجه البخاري، وهذا ليس من هؤلاء الثلاثة، والنص القرآني قاطع في ثبوته ودلالته أن قتل النفس محرّم قطعاً، لقوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الأنعام:١٥١، ويشترك في الإثم والعقوبة من أمر بهذا أو حرض عليه، وقياس حال هذا على الحصان الميؤوس من شفائه فيه امتهان لكرامة الإنسان، إذ الحصان يجوز ذبحه حتى ولو كان صحيحاً بخلاف الإنسان، فإنه معصوم الدم، ووصف الرصاصة القاتلة للحصان برصاصة الرحمة وصف لم يقم عليه دليل شرعي، فكيف نسمي الحقنة القاتلة للإنسان بهذا الاسم.

وأما بالنسبة للمريض بمرض ميؤوس منه، إذا طرأ عليه مرض آخر قابل للعلاج ويؤدي للوفاة فإذا أهمل، فإنه يطبق عليه الحكم الأصلي للتداوي، وهو عدم الوجوب من جهة الشرع، لأن حصول الشفاء بالتداوي أمر ظني، وهو مطلوب على سبيل الترغيب لا على سبيل الوجوب.

أما من جهة التعليمات الطبية والقرارات الرسمية المنظمة لها، فيجب شرعاً العمل بما تقضي به فيما لا يتنافى مع الشرع. والله أعلم.

متى يحكم بموت الإنسان

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

متى نستطيع القول: إن شخصاً قد فارق الحياة؟ أو متى يعتبر الشخص ميتاً؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

لا يحكم بالموت إلا بانتفاء جميع علامات الحياة، حتى الحركة والنفس والنبض، فلا يحكم بالموت بمجرد توقف النفس أو النبض أو موت المخ مع بقاء أي علامة من العلامات الظاهرة أو الباطنة، التي يستدل بها على بقاء شيء من الحياة، وذلك لأن الأصل بقاء الحياة، فلا يعدل عن هذا الأصل بالشك، لأن اليقين لا يزول بالشك، هذا ما انتهت إليه اللجنة مبدئياً، وهي ترى أن الأمر يستحق مزيداً من البحث المشترك بين الأطباء والفقهاء. والله أعلم.

الوعد بالزواج

حضر إلى اللجنة المدعو/ كامل وطلب الاستفتاء بالتالي:

لديّ ابنتنان وفي العام ١٩٧٨م طلب أخي ابنتيّ لابنيه وحيث إن الصغيرة كان سنها في ذلك الوقت ١٤ سنة، فقبلت أن أعطي الكبيرة لابنه الكبير التي سنها ١٨ سنة في ذلك الوقت، ووعدتهم إذا كبرت الصغيرة وأكملت دراستها أن أزوجها لابنه وهذا من دون مشورتها، واتفقنا على ذلك في أثناء العقد على ابنتي الكبيرة، والآن لما كبرت ابنتي الصغيرة وكلمتها بالموضوع لم تقبل ذلك لأن ابن أخي يعيش الآن في بلد آخر، وابنتي تعيش في الكويت منذ ولادتها، فهي لا ترغب في الذهاب إلى هناك، وقالت: إن أجبرت على الزواج به سوف أنتحر، وأنا أخشى إن لم أزوج ابنتي لهم بأن يطلقوا ابنتي الكبيرة من زوجها، فهل وعدي لهم يلزمني بتزويج ابنتي الصغيرة لهم، أرجو إفتائي وجزاكم الله خيراً ؟

ـ سألته اللجنة ما يلي:

كم عمر البنت التي يريد ابن عمها أن يتزوج بها؟ قال: لقد بلغت العام الحادي والعشرين.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن أمر زواج مثل هذه البنت هو حقها وحدها في بعض المذاهب الأربعة، فإن شاءت قبلت وإن شاءت رفضت، وليس لأحد إجبارها لا أبوها ولا غيره، والتهديد بطلاق أختها زوجة أخيه ليس مسوّغاً لأن تجبر على زواج من لا تريده. والله أعلم.

المفتونون بأهوائهم

بقلم : علي مدني رضوان الخطيب

هناك فصيل من البشر يكرهون الحق الذي أنزله الله على رسوله ﷺ لهداية الناس. (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) ومن ثم فهم يحنقون على من يسلكون الصراط السوي، بل يعادونه ويبغضونه كما قال عنهم ربهم (ويصدون عن سبيل الله) وأكثر من ذلك (ويبغونها عوجاً) وسر ذلك أنهم يجهلون الحق المبين، ومن جهل شيئاً عاداه (وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم)... ومثل هؤلاء قلما ينتفعون بوعظ أو يرقى إلى قلوبهم بيان، فهم لا يتهيبون من وعيد أو يتبصرون بالآيات والنذر، فهم عمي وصم وبكم في الظلمات، ولو أنزل الله لأمثالهم من الآيات الحسية والمادية ما يسد الخافقين ما اهتدوا إليها سبيلاً (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)...

(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)، غير أنك تجد أحدهم يحرك شفتيه يتشدق بالكلام مجادلة وسفهاً (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) ومن شقوة هؤلاء أنهم يظنون أنفسهم قد مكروا بأتباع الحق ونالوا منهم، والحق أنهم ما نالوا من إيمانهم وثباتهم ورجولتهم وأصالتهم من شيء (لن يضروكم إلا أذى) (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) وهؤلاء الشرذمة لا ولن يحصل أحدهم على قلامة ظفر من عافية أو راحة فليمتّعوا ما شاء لهم أن يمتعوا... ولكن!

(أفرأيت إن متّعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون) وما هم فيه ليس إلا استدراجاً لهم واستهانة بهم وهواناً بقدرهم لينالوا النصيب الأوفر والحظ الأكبر من الذلة والخزي والصغار فسنة الله قد خلت في عباده (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) هذا فليتأمل العاقل. ■

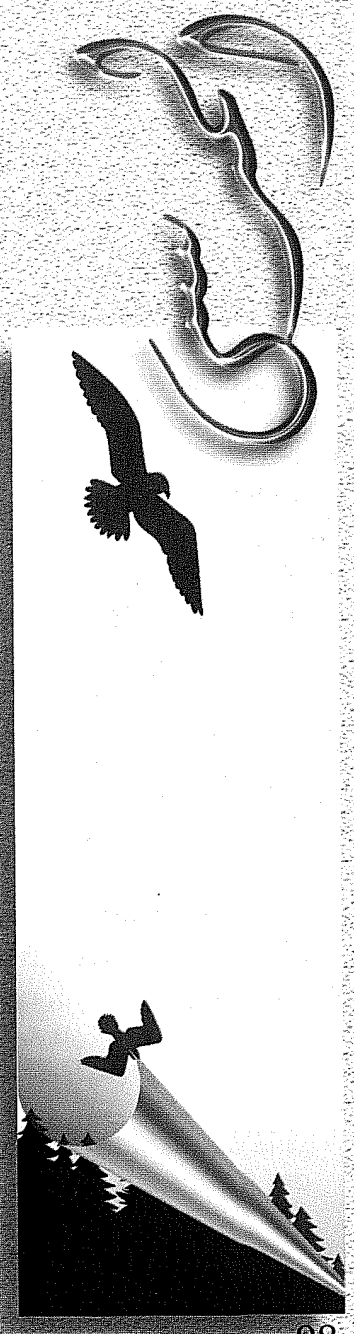

الوعي الإسلامي

شهرية جامعة

إسلامية

al-Waei al-Islami

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

اللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة

تشريد . إبادة وهتك أعراض .. دماء ودموع !!

كوسوفا تستغيث؟

فهل من معتصم يجيب؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم

تستقبل التبرعات في :

حساب كوسوفا : ٥/٣٦٥٨٣ بيت التمويل الكويتي

مقر اللجنة الرئيسي - الشرق - شارع أحمد الجابر - مبنى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية - الدور الرابع ت: ٢٤٤٥٧٢٠ - بيجر: ٩٣١٧٥٥٧

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية - بيت الزكاة - الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية واللجان التابعة لها - جمعية الاصلاح الاجتماعي واللجان التابعة لها - جمعية احياء التراث الاسلامي واللجان التابعة لها - جمعية النجاة الخيرية واللجان التابعة لها - جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية - لجنة الفلاح الخيرية - جمعية المعلمين الكويتية - الاتحاد الوطني لطلبة الكويت الجمعية الطبية الكويتية - جمعية الرعاية الاسلامية - الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية - جمعية بيادر السلام النسائية